المركز القومى للترجمة

لويس عوض

ميراث الترجمة

الراهب

دراما تاريخية فى ثلاثة فصول

تقديم

رمسيس عوض

الطبعة الثانية

الـراهـب

(مسرحية)

المركز القومى للترجمة

إشراف: جابر عصفور

سلسلة ميراث الترجمة

المشرف على السلسلة: طلعت الشايب

- العدد: ١٠٦٤/ ٢
- الراهب (مسرحية)
- لويس عوض
- رمسيس عوض
- ٢٠٠٩

هذه ترجمة

The Monk

A Historical Drama in three Acts

by: Louis Awad

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦

فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo

e.mail:egyptcouncil@yahoo.com   Tel.: 27354524 - 27354526

Fax. 27354554

الراهب
(مسرحية)

تأليف وترجمة: لـويس عوض
تصديـــــــر: رمسيس عوض

رقم الإيداع: ١١١٩٧ / ٢٠٠٩
الترقيم الدولى: 3 - 357 - 479 - 977 - 978
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز .

تصـــدير

قبيل وفاته فى سبتمبر عام ١٩٩٠ عهد إلىَّ شقيقى المرحوم لويس عوض بحفظ بعض أوراقه الخاصة ، وتاه عنى المكان الذى احتفظت فيه بهذه الأوراق نحو ستة عشر عامًا أو ما يزيد . وفجأة عثرت عليها ؛ فوجدت فيها عملين يستحقان الاهتمام : أولهما ترجمة عن اللغة الفرنسية لمسرحية «رقصة الموت» للكاتب السويدى الشهير سترندبرج ، وثانيهما ترجمة إنجليزية أعدها بنفسه لمسرحية «الراهب» التى نشرها عام ١٩٦١ عقب خروجه من المعتقل .

كان لويس عوض فى تلك الفترة من حياته يتجرع كأس الخسف والاضطهاد على يد زبانية النظام الناصرى . وفى اليوم المحدد للإفراج عنه انتظرت خروجه من بوابة سجن أبى زعبل فوجدته حطام إنسان ؛ فحزنت عليه حزنًا لا مزيد عليه . غير أن تجربة الاعتقال أوحت بتأليف مسرحية «الراهب» ، وبسبب إحساسه المزلزل بالاضطهاد لم يجد غير عصر الشهداء المسيحيين ينكفئ عليه ويستلهمه لعله يعزيه عما فعله بنو جلدته . ولعل القنوط منهم بلغ به كل مبلغ ، فقام بترجمة مسرحيته بنفسه إلى اللغة الإنجليزية ، ربما أملاً فى أن يجد من الأغراب من يستمع إلى أنينه .

مادام أهله قد تخلوا عنه ، وأذاقوه صنوف المر والعذاب . ويبدو أن مشاغل الحياة وعمله كمستشار ثقافى لجريدة الأهرام قد أنسياه هذه الترجمة الإنجليزية .

وعندما اكتشفت فى أوراق لويس عوض هذه الترجمة الإنجليزية لمسرحية «الراهب» اقترحت على الأستاذ الدكتور جابر عصفور الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة نشر نصها العربى وترجمتها الإنجليزية فى مجلد واحد فرحّب بهما مشكوراً . وأعتقد أن نشر مثل هذا العمل الفريد من نوعه ينطوى على نفع كبير لعشاق كتابات لويس عوض بوجه عام ولدارسى الترجمة بوجه خاص . ولا غرو ؛ فلويس عوض المؤلف الخلاّق هو الذى تصدى بنفسه لترجمة مسرحيته ، ومن ثم فهو أقدر على فهم روحها من أى مترجم آخر ، فضلاً عن أننا لن نجد مترجمًا إلى اللغة الإنجليزية فى مثل شموخ لويس عوض وعظمته .

وأملى أن تكون هذه الترجمة الإنجليزية درسًا للأجيال القادمة التى تُولى الترجمة من العربية إلى الإنجليزية اهتمامها .

والله ولى التوفيق

د. رمسيس عوض

القاهرة يونيه ٢٠٠٦

اشخاص المسرحية

الشخصية	الصفة
لوشيوس دومتيوس دومتيانوس ، الشهير بآخيل	والي الاسكندرية ونائب امبراطور روما ثم امبراطور الاسكندرية
الامير قسطنطين	ولى عهد بيزنطة
مانيتون : نبيل مصرى	كبير أمناء الوالى
روستيكان	قائد حامية الاسكندرية
افريكان	قائد حامية القصر
ديوجين بومبيان سفيروس	قواد فى الجيش الرومانى
ماركوس سكستوس	اميرال الاسطول الرومانى
ابيب : ضابط مصرى	ياور روستيكان
ارمان	ضابط رومانى بحامية القصر
فيلامون	ضابط مصرى بحامية القصر
دامون الارمنتى فريسكا	قائدان مصريان
شيبيو الاصفر	رسول دقيانوس
ابانوفر	راهب مصرى
آريوس	راهب مصرى
فاوستينا	زوجة آخيل
مارتا	راقصة مصرية
هاتور	كبيرة كاهنات ايزيس
فيلامينه : فتاة مصرية تفيته : فتاة مصرية مارينا : فتاة يونانية	وصيفات فاوستينا

ضباط . حرس . رسل . جنود . غوغاء

DRAMATIS PERSONAE

Lucius Domitius Domitianus (Achilleus), Constantinus, Manetho, Rusticanus, Africanus, Diogenes, Pompeianus, Severus, Marcus Sextus, Apepi, Armanus, Philammon, Damon, Frisca, Scipio, Panofer, Arius, Faustina, Martha, Hathor, Philammena, Tafeeta, Marina.

الفصل الاول

قاعة بقصر الوالى الرومانى دومتيوس دومتيان ، الشهير بآخيل ، فى الاسكندرية . نحن فى عام ٢٩٦ ميلادية . القاعة كورنثية الأعمدة فى أركانها الأربعة. زخارف القاعة بالسقف وعلى الأبواب كلها مذهبة . الباب الأيمن يفضى الى قاعة الاحتفالات والأيسر الى ديوان الوالى . باب مغلق فى الصدر يفضى الى قاعة العرش . على جانبى كل عمود طاقتان . الطاقات منحوتة فى الجدران وبكل منها تمثال نصفى من المرمر لاله من آلهة الرومان . التماثيل بالترتيب هى جوبيتر وجونو ثم مارس وفينوس ثم ابولو وديانا . العمودان الأماميان يجاور كلا منهما تمثال واحد من الداخل . فيما خلا هذا فالقاعة عارية تماما . اما أرضها فبلاطها مربعات جسيمة لامعة سوداء وبيضاء . أرمانوس، أو باختصار ، ارمان ، ضابط رومانى فى الحرس عمره نحو الأربعين . واقف بالباب الأيسر كامل السلاح حاملا حربة يدق بها الأرض .

تدخل فيلامينة ، وصيفة فاوستينا زوجة الوالى ، من الباب الأيمن . فيلامينة فتاة مصرية فى نحو الثالثة والعشرين . تتلفت فى حذر ، وحين يقع بصرها على أرمان تثبت فى مكانها مرتبكة .

ارمان (بتنغيم) : فيلامينة ، فيلامينة . . لا نحيفة ولا سمينة .

فيلامينة (تشير باصبعها) : هس . هل مولانا هنا ؟

أرمان (متلمظا) : لا أحد هنا . تعالى . تعالى هنا ، تعالى يا بطة .
(يفتح ذراعيه دون أن يتحرك من مكانه) : تعالى فى أحضانى .

فيلامينة : اخلع سيفك وارم الحربة احضنك ؟

ارمان : اخلع سيفى وارمى الحربة ؟

فيلامينة : نعم ، اخلع سيفك وارم الحربة .

ارمان (مقتربا منها وهو يقهقه) : عندى حربتان فايهما أرمى ؟

فيلامينة (فى خجل) : ابعد ياسافل . (فىعتاب) اسمع يا أرمان :
اذا لم تكف عن الكلام الداعر فلن أتزوجك . (تهز كتفيهــا)
ولكنك رومانى والدعارة فى دمك .

ارمان : يعنى المصريين ما شاء الله ؟

فيلامينة : لولا انى احبك ، يا أرمان . . (تتنهد)

ارمان (مقهقها) : تعالى . لا تخافى من الحربة . تعـــــالى . هاتى
(يحدث صوتاً بشفتيه معناه : قبلة)

فيلامينة : قلت اخلع سيفك وارم الحربة تأخذ (تحـــــدث صوتا
بشفتيها معناه قبلة)

أرمان (مقهقها) : الرومانى لا يخلع سلاحه ولو كان فى فراش فينوس

فيلامينة : والمصرية لا تعطى قبلتها الا اذا خلع مارس السلاح

ارمان : هل نسيت ان مارس اغتصب فينوس ؟

فيلامينة (ساخرة) : طبعا . انتم الرومان اساتذة فى الاغتصـــاب
حتى آلهتكم . .

ارمان (محذرا) : فيلامينة !

فيلامينة : اعذرني نسيت لحظة انك روماني .. واننا في قصر نائب الامبراطور . ومع ذلك كفى ثرثرة يا ارمان .. اخي فيلامون ينتظرك .

ارمان : اين فيلامون ؟

فيلامينة : عند الباب الكبير مع .. الراهب (تنطق كلمة «الراهب» بنشوة خاصة)

ارمان : كيف اترك مكاني ؟ الديدبان الآخر لن يأتي الا بعد ساعة .

فيلامينة : الدار أمان . لن تغيب اكثر من ربع ساعة . اما انا فعندي شغل كثير مع السيدة فاوستينا زوجة الوالي . هيا اسرع .

ارمان : طيب . طيب . طيب (يحتضنها ويقبلها دون ان يتخلى عن سلاحه . تسكره القبلة) فيلامينة .. يا حيـــاتي .. متى نتزوج ؟ (يضمها بعنف فيحس بجسم صلب بين طيات ثيابها فيتركها غاضبا) ما هذا ؟ ماذا تخفين تحت ثيابك ؟

فيلامينة (في تحد) : ارمان .. أنت تعرف جيدا ماذا اخفي تحت ثيابي .

ارمان : سامحيني يا فيلامينة . حبك يشتد في قلبي كل يوم رغم معتقداتك السخيفة . متى نتزوج يا حبيبتي ؟

فيلامينة (تبتعد عنه وتنظر الى السماء شبه حالمة) : عندما تعرف ان الله واحد يا ارمان . عندما يأذن الله .. (تضحك) أو يأذن جوبيتر .

ارمان (في امتعاض) : وما شأن جوبيتر بالزواج ؟ آه من المسيحيين .. المسيحيين . انهم يدخلون جوبيتر في كل شيء . اطلبي بركة فينوس يا غبية .

فيلامينة : اسرع . أسرع . اذا أردت أن تتزوج فأسرع .

ارمان (متأففا) : الاله الواحد ! الاله الواحد ! (يخـــرج من الباب الأيمن)

(فيلامينة تتلفت يمنة ويسرة فى حذر وتطل من الباب الايسر ثم تتنفس الصعداء . تخرج من ثيابها صليبا خشبيا طولـه نحو ٣٠ سنتيمترا وتضعه على تمثال جوبيتر ثم تركع وتضم يديها وتصلى متطلعة الى الصليب)

فيلامينة : ابانا الذى فى السموات . فليتقدس اســـمك . فليأت ملكوتك . فلتكن مشيئتك . كما فى السماء كذلك على الارض. (يخفت صوتها تدريجيا حتى يتلاشى ثم يرتفع من جديد) : painyôt ait khain ni-viouwwee maraif-toovo enjai paikran, maraissee enjai taik-mait-ooro (ينخفض صوتها) Pait aihnâk maraif shopi, em-evreety khain et-vai, naim heejain pi-kâhi (يتلاشى صوتها تدريجيا) Pain-öyk entai rassti meef nân em-vo-oo .. (بصوت مسموع) Ameen (تظل تتمتم لحظات)

(تنهض وتخفى الصليب فى ثيابها وتخـــرج صورة صغيرة للعذراء محدثة نفسها وهى تفتش فى ثيابها : « اين صـــورة العذراء ؟ .. اين صورة العذراء ؟ » تتجه الى تمثال ديانا وتضع الصورة فوق راسها . تركع وتصلى)

فيلامينة : يا مريم .. يا بتول .. من اجل ابنك الحبيب ، افتحى عينى ارمان ليرى ان الله واحد ، وان المسيح (يتلاشى صوتها وتتمتم لحظات ثم يرتفع صوتها) علميه ان يتـــرك الاوثان . باركى حبنا من اجل ابنك الحبيب .

(وقع اقدام فى الخارج . جلبة ونقاش . تنهض فيما يشـــبه الذعر وتخفى الصورة فى ثيابها . يدخل من الباب الأيمن ارمان

وفيلامون . أرمان ، عليه امارات الغضب ، يعود الى مكانـه بالباب الايسر . فيلامون ضابط مصرى فى حرس القصر يناهز الثلاثين وزيه رومانى كزى أرمان . يقف بالباب الايمن) .

فيلامينة (تسرع الى فيلامون) : اتفقتم ؟

(فيلامون لا يجيب ويشير بيديه وراسه وكتفيه بما معناه : لم نصل لنتيجة)

فيلامينة : فيلامون ! ماذا حدث يا فيلامون ؟

فيلامون : قلت : كل واحد على دينه . قال : لا .

أرمان (بجفاف) : الراهب يشترط ان اصبح مسيحيا (يمد شفتيه فى تأفف) مستحيل .

فيلامون : الراهب يقول : أوامر جديدة .

أرمان (مقتربا منهما) : قلت نتزوج فى معبد فينوس . قال تتزوج فى الكنيسة . قلت : لا المعبد ولا الكنيسة . . نتزوج عند مسجل العقود . قال : تتزوج فى الكنيسة . قلت : اذن نتزوج فى المعبد وفى الكنيسة . قال : تتزوج فى الكنيسة ولا تتزوج فى غـير الكنيسة . (غاضبا) ماذا يظن هذا الـ . . . (يكتم غضبه فى كبرياء) انا رومانى . انا ابقى على دين جوبيتر . دين اجدادى كل واحد على دينه والاولاد يختارون . هل رأيت تسامحا أكثر من هذا ؟ من منا المتعصب : الرومان أم المصريون ؟

فيلامينة (مخاطبة أخاها) : ماذا جرى يافيلامون؟ الم يتزوج يوحنا الفيومى من ابنة عمه الوثنية نفى ست ؟

فيلامون : معروف . معروف . لكن الراهب ابانوفر يقـول ان المجمع المقدس افتى منذ أسبوع بأن المسيحيين لا يتزوجون الا من المسيحيين .

فيلامينة : يعنى ان مارية المسكينة لن تتـــزوج من آبيـــب ياور روستيكان .

فيلامون : لا . لا . التحريم فى زواج المصريين بالاجانب فقط . امـا بالنسبة للمصريين فالمجمع المقدس منقسم على نفسه . غبطة البطريرك ومعه اقلية يرى منع المسيحيين من الزواج بالوثنيين على الاطلاق ، ولكن الراهب أبانوفر اثار ضجة وخرج مـن الاجتماع صائحا : هذا ضد الوطن . هذا ضد الوطن .

أرمان : هذه فتنة . تمرد على جلالة الامبراطور . من الحاكم هنا ؟ امبراطور روما أم المجمع المقدس وشراذم الرهبان وجماعاتكم السرية التى تلتقى فى الخرائب وفى مدينة الموتى وتتكلم عـن معبود جديد مصلوب يصعد الى السماء ؟ لو علم الوالى بهذا لأمر باعتقال البطريرك نفسه . الزواج المختلط سنة وضعها الامبراطور كونستانس خادم جوبيتر الأمين منذ ثلاثين سنة يوم زار مصر ونزل بمدينة الرها وفتن بجمال هيلانة المصرية واصطفاها من الدير واجلسها على عرش بيزنطة ، ورزق منها مولانا الامير قسطنطين . ويوم اصطحبها الى معبد فينوس لم نسمع رهبانكم يقولون : تزوجها فى الكنيسة (تسمع اقـدام فى الخارج)

فيلامون (محذرا) : اسكت . ارجع مكانك (يأخذ كل مكانه)

(يدخل من الباب الايمن روستيكان قائد حامية الاسكندرية الرومانى مائة فى المائة ، وهو فى نحو الخمسين ، وخلفه ياوره ابيب ، وهو ضابط مصرى وسيم الطلعة شديد الدهـــاء فى الثلاثين ، انخرط فى الجيش الرومانى واكتسب ثقة روستيكان وبعد القائد يدخل مانيتون ، كبير امناء الوالى ، وهو شيخ وقور بطىء الحركة تجاوز السبعين ولكنه واضـــح القوة بالنسبة لسنه ، طويل اللحية ابيضها ، مهيب المنظر . مانيتون

يحمل طروس البردى . عند دخول روستيكان يؤدى أرمان وفيلامون التحية على طريقة الرومان) .

روستيكان (لأرمان وفيلامون) : الليلة تقبضان عليه .

أرمان (فى حيرة) : على من يا سيدى ؟

فيلامون (فى حيرة وفى نفس الوقت) : على من ياسيدى القائد ؟

روستيكان : على الراهب يا غبى . على الراهب يا غبى .

فيلامون (جزعا) : أبانوفر ! (فيلامينة تنكمش بحركة عصبية ثم تكتم ألمها . أرمان يبدو عليه فرح صبيانى)

روستيكان (ملاحظا يخاطب فيلامون باستهزاء) : عندك اعتراض ؟ هل أنت منهم ؟

فيلامون (بسرعة) : لا . لا يا سيدى . انا فى خدمة مولانا الامبراطور . وفى خدمة سيدى الوالى . تحت امرك يا سيدى .

أرمان (متهللا ولكن بصوت خفيض) : الحمد لله يا جوبيتر ! (يرنو الى تمثال جوبيتر)

روستيكان : ماذا قلت ؟

ارمان : لا شىء يا سيدى القائد .

روستيكان (مخاطبا فيلامون) : هل انت مسيحى ؟

فيلامون (مترددا) : نعم يا سيدى .

أبيب (متدخلا) : ولكنه مخلص لمولانا الأمبراطور .

روستيكان (للمانيتون بأدب متكلف مشيرا الى أوراقه) : ارجوك .. بمجرد وصول السيد الوالى تعرض عليه أمر اعتقال الراهب لتوقيعه . الخيانة . الفتنة . الخيانة انتشرت فى كل مكان .

فى القصر نفسه . ربما فى ديوان الوالى . ولكن شكرا للآلهة (يضع يده على مقبض سيفه) الجيش لا يزال سليما . لو كان الامر بيدى لفتكت بهذا الراهب . بالبطريرك نفسه . بكل المسيحيين . (ينسى نفسه) بكل المصريين !

ابيب (مبستما فى ادب) : سيدى !

مانيتون (هازئا) : لا اظن مولانا الامبراطور يرضى عن هذا الكلام .

روستيكان : عفوا يا ابيب . لم أقصد الاوفياء من امثالك . . ومن امثال (مخاطبا مانيتون بنظرة استفهام غامضة) . . مانيتون ؟

مانيتون : كلنا فى خدمة الامبراطور يا روستيكان .

روستيكان : ماذا تعبد يامانيتون ؟

مانيتون : الا تعرف ؟

روستيكان : ذكرنى .

مانيتون : اعبد توت ، مثل ياورك الأمين أبيب .

روستيكان : ولماذا انتشرت الفتنة فى شيعة الاله توت ؟

أبيب (مصححا فى أدب) : الفتنة انتشرت فى كل الشيع يا سيدى القائد .

روستيكان : انت على حق يا ابيب . توت . آمون . بتاح . المسيح. فلاسفة افلوطين . الخونة منبثون فى كل شيعة. فى كل مكان. سأطهر منهم البلاد . ولكن افظعهم جميعا المسيحيون . انهم يزدادون بسرعة مرعبة . روما نفسها امتلأت بهم . الرعاع فى كل مكان يلتفون حولهم . حتى حاشية الامبراطور اندسوا فيها . ولكنى سأجتثهم (يضع يده على مقبض سيفه) . سأجتثهم قبل ان يفتك السرطان بالامبراطورية . (يخرج من الباب الأيسر ووراءه ياوره . يسمع نفير بعيد) .

مانيتون (يتنهد) : ايتها الآلهة ! ارفعى هذا البلاء .

ارمان (مقطبا) : ماذا تقول يا سيدى ؟

مانيتون (متلجلجا) : أقصد الفتنة . أقصد بلاء الفتنة .

فيلامينة : الوالى !

فيلامون : الوالى آخيل !

ارمان : الوالى دومتيوس دومتيان . انه رومانى لحما ودما . أنتم اهل الاسكندرية تسمونه آخيل لتفرروا به .

فيلامون : اخفض صوتك !

ارمان : دعنى أتكلم .

فيلامينة : سيدتى فاوستينا ، زوجة الوالى .

(تدخل فاوستينا زوجة الوالى الرومانية ، جميلة، متفطرسة، عمرها نحو ثلاثين سنة ، وخلفها الوصيفتان تفيتة المصرية ومارينا اليونانية ، وكلتاهما نحو خمس وعشرين سنة، ومعها هاتور كبيرة كاهنات الربة ايزيس ، امرأة فى الخمسين ، أطلال جمال رائع قديم ، تكلم فاوستينا فى وثوق بيديها وحركات رأسها ، وصوتها غير مسموع . فيلامينة وفيلامون وارمان ومانيتون يحيون فاوستينا .)

فاوستينا : فيلامينة . هل ارسلت الدعوات لسيدات البلاط ؟

فيلامينة : نعم يا سيدتى . منذ الصباح .

فاوستينا : كيف حالك يا مانيتون ؟

مانيتون : بخير يا فاوستينا .

فاوستينا : وثوبى الجديد ؟

فيلامينة : وصل يا سيدتى . وأزلت منه الطيات المصرية عند الخصر

فاوستينا (مخاطبة هاتور) : من الآن فصاعدا : الأزياء من روما . كفى مجاملة للمصريين يا هاتور .

هاتور (فى برود) : اذا شئت يا فاوستينا .

فاوستينا : تفيتة . فيلامينة . مارينا . اعددن الستائر فى قاعة الاحتفالات . لا . انتظرى يا فيلامينة (تخرج تفيتة ومارينا من الباب الأيمن . مخاطبة هاتور) ومن الراقصة فى حفلة الليلة ؟

هاتور : مارتا .

فاوستينا (فى انزعاج وغضب) : مارتا ! مارتا المسيحية ؟ الم تجدى الا هذه البغى المسيحية ؟

هاتور : انها ليست مسيحية .

فاوستينا : ولماذا تسمى نفسها مارتا ؟

هاتور : اسمها الاصلى مريت آمون ، حبيبة آمون ، فسماها الناس مارتا . ومع ذلك فهى أحسن راقصة فى الاسكندرية يا فاوستينا .

فاوستينا : لا ، لا ، ياهاتور . هى تعيش من السحر الاسود . الرعاع يسجدون امامها . السادة يقبلون قدميها . حتى نبلاء الرومان يتركون زوجاتهم ويشربون الخمر فى حذائها . هل سمعت الاغانى البذيئة التى يغنيها الجنود ؟ « المسيح عنده فردوس جميل . ادخلوا الفردوس مع مارتا » . انها امرأة خطرة .

هاتور : لا داعى للتهويل يا فاوستينا . انت تعرفين ان المسيحيين يكرهون الحب . مارتا تعلمت الرقص المقدس فى معبد ايزيس . انا بنفسى علمتها كل الشعائر منذ ان جاءت بها امها وهى فى

التاسعة (تتنهد) كانت اذكى بنت عندى . ولما تعلمت كل شيء تركتنا . قالوا انها عشقت صاحب حـــان مسيحى فى حى كليوبترا . ولكنى عرفت بعد ذلك انها مجنـــونة بشيئين (تضحك) الفن والرجال .

فاوستينا (غاضبة) : أنا أعرف أنها امرأة خطرة . سيرتها على كل لسان . لماذا يتعلق بها رعاع المدينة ؟ مانيتون . اطلب مـــن الوالى ان ينفيها من الاسكندرية .. لا .. لا .. من البلاد .

مانيتون (حائرا) : مارتا امرأة معقدة ، ولكنها لم ترتكب جريمة .

فاوستينا : قلت اطلب من الوالى أن ينفيها .

مانيتون : ماذا يقول الناس ؟

ماتور : مارتا بنت طيبة توزع اموالها على الفقراء .

فاوستينا : لهذا يجب وضع حد لها .

ماتور : وهل هذه جريمة ؟

فاوستينا : يقولون انها تشفى المرضى .

ماتور (تضحك) : لا بأس . هذا يوفر على الوالى ارسال الاطبـــاء لأحياء الفقراء

مانيتون : السيدة فاوستينا على حق . هذا ينشر الخرافات بـين البسطاء ، سمعتهم يقولون ان مارتا قديسة تتجول فى الظلام . تدخل الاكواخ قبل الفجر وتترك كل يوم زاد النهار .. ولكن النفى شيء آخر .

ارمان (باحتقار) : سيدتى هذه دعايات مسيحية .

فاوستينا : سنرى . سنرى . هذا أمر يامانيتون . فيلامينة !

فيلامينة : سيدتى .

فاوستينا : هل ايسيدور بين المدعوين ؟

فيلامينة : نعم يا سيدتى . والسيدة زوجته . ارسلت الدعوة الى معهد التربية .

فاوستينا : الغى الدعوة .

مانيتون : لا . لا . مدير جامعة الاسكندرية يحضر دائما حفلات البلاط .

فاوستينا : قلت الغى الدعوة . سنعلم هذا المشاغب كيف يزعج مولانا الامبراطور بالعرائض ويطالب بمجلس تشريعى فى الاسكندرية (ساخرة) ويقول انه منحة فرعون لشعبه من قديم الزمن اخذها الرومان .

فيلامينة (حائرة) **:** ولكن سيدى الوالى ..

فاوستينا : سيدى الوالى رجل طيب . يطعم الافاعى . هيا بنا يا فيلامينة نراجع قائمة الضيوف (تتنهد) كانت فيلامينة تقوم بكل هذه الاعمال التافهة . اما الآن فلا بد ان اراجع كل شىء بنفسى . لابد . لابد من الحذر (ينخفض صوتها) حتى السقاة . حتى الطهاة . اتبعينى يا فيلامينة (تخرج فاوستينا ومعها هاتور من الباب الايسر تتبعها فيلامينة . يسمع نفير بعيد)

فيلامون : الوالى آخيل .

أرمان (هازئا) **:** آخيل ! آخيل ! اسمه دومتيوس دومتيان ، ابن روما ، نائب دقيانوس امبراطور روما . ولكن حيلكم لن تنطلى عليه . انتم تقولون له : (يغير صوته مقلدا المنافقين) « انت فى بأس آخيل ! انت فى قوة هرقل !» ولولا خوفكم من سيفه لقلتم له : « انت فى جبروت جوبيتر رب الارباب ! » ولكن دومتيان النبيل لن تنطلى عليه حيلكم لانه رومانى لحما ودما .

فيلامون (بخبث) : تماما مثل مولانا دقيانوس .

أرمان (ينظر اليه فى شك) : ماذا تقصد يا فيلامون ؟

فيلامون (بخبث) : هل اخطأت ؟

مانيتون (لارمان) : لا تعرض يا ولدى . كلنا خدام الامبراطور .

فيلامون : الغضب يعميه .

ارمان (يسترسل) : طبعا . انا ضابط صغير لا يصح له ان يتكلم فى حضرة مانيتون كبير الامناء ، ولكن هى الحقيقة . ألم تخدعوا قبله الوالى اميليان المسكين وتعلنوه امبراطورا على الاسكندرية ؟ الم تتوجوه فى قاعة العرش (يشير الى قاعة العرش) وتجعلوه يرفع سيفه على مولاه الامبراطور جاليان ؟ اين اميليان المسكين الآن ؟ هيكل عظمى بلا رأس واسمه فى سجل الخونة . لا زلت اذكر اميليان النبيل ، ذا الجبهة العالية ، يسير فى ردهات القصر فينحنى له الجميع ، رجالكم والنساء (حالما) كنت يومئذ صبيا فى الثامنة حين ادخلنى زوج امى فى حاشية الوالى . وفى يوم تتويجه على كرسى الاباطرة فى هذه القاعة المشئومة ، رأيت اميليان يلبس ارجوان الملك . كنت أحمل المبخرة واسير خلف الكاهن وأرتل مع الصبيان هذه الاغنية الفظيعة : « المجد لك يا فرعون . . »

فيلامون (ينسى نفسه) : « يا ملك الأرضين . الاسكندرية تاجك . مصر عرشك . الدنيا موطىء قدميك . »

أرمان (يشتد استهزاؤه) : فرعون ! فرعون! أين فرعون الآن ؟ بعد سنة واحدة . . خرائب . خرائب . الاسكندرية كلها حرائق وخرائب .

مانيتون (متأسفا) : خمسون الفا من الابطال الاشداء سقطوا عند أسوار الاسكندرية . فى الميناء . فى الشوارع . على الأبواب .

ارمان : نعم . خمسون الفا من العصاة المصريين والخونة الرومان والمرتزقة من كل جنس وملة سقطوا فى ساحة العار . رأيت زوج امي يسقط عند باب القصر ، ولولا ان امي هربت بي الى صفوف الفازى ثيودوت ، حامل سيف الامبراطور ، لمته خائنا بين الخونة .

مانيتون (يهز راسه فى ذكرياته الحزينة) : ما زلت اذكر هذه المدينة الحزينة ، وجنود ثيودوت المخمورة بالدم والنبيذ تملأ الشوارع .

فيلامون : تذبح الشيوخ والنساء .

مانيتون : تحمل الاطفال على الحراب وكأنها تحمل الاعلام .

فيلامون : تضرم النار فى الكنائس والاديرة

مانيتون : حتى معابد الآلهة المصرية العريقة لم تسلم من الدمار . ربطوا خيولهم فى معبد بتاح الكبير . وبعد ان احرقوا معبد ايزيس اجلسوا على هيكل الربة العظيمة بغيا قبرصية ، عارية كما ولدتها امها وقدموا لها القرابين وهم يقهقهون ويسخرون (يتصبب عرقا ويصيبه دوار) .

فيلامون : كيف ننسى ؟

مانيتون (ينسى نفسه) : والوباء ! كيف ننسى ؟ (مستدركا) لا . لا . دعونا من هذه الذكريات الحزينة . كلنا خدام الامبراطور . كلنا اوفياء لروما . (نفير قريب . يعتدل كل فى وقفته . مانيتون يخاطب ارمان وفيلامون) كفى شجارا يا ولدى . كلنا اخوة . (يدخل ايبب من الباب الايسر ليأخذ مكان ارمان)

ايبب : القائد روستيكان ارسلنى لاحل محلك . . (هامسا) بسببه المهمة . الراهب ابانوفر عنده موعد مع الوالى . اياك ان تقبض عليه فى القصر . انتظر حتى يخرج .

مانيتون : لو قبضت عليه وهو ضيف الوالى تلوث شرف الامبراطورية وتسبب لنا متاعب شديدة (بتهكم) مع الغوغاء الذين يعبدونه.

أبيب (لارمان) : سارسل لك الامر بعد توقيعه (يسلم مانيتون بردية ملفوفة . يخرج ارمان من الباب الايسر . فيلامـــون يهم بالانصراف فيشير له مانيتون بالبقاء)

(يدخل من الباب الايمن القائدان المصريان دامـون الارمنتى وفريسكا فيما يشبه العجلة)

دامون : معذرة . تأخرنا . هل وصل الوالى ؟

مانيتون : مرحبا يا دامون . مرحبا يا فريسكا .

فريسكا : متى يصل ؟

مانيتون : نحن فى انتظاره .

(يدخل من الباب الايسر الوالى دومتيان الشهير بآخيــل ، وهو رومانى فى نحو الخمسين هادىء الطبع ، ومعه الامـــير قسطنطين ابن الامبراطور كونستانس ، وهو فى نحو الثالثة والعشرين ، ممشوق القامة وسيم الطلعة ، وافريكان قائد حامية القصر ، وهو من مواليد الاسكندرية ولكنه مجهـــول الجنسية ، والأغلب انه مغربى . الكل يحيون بالتحية المصرية. تقع عين مانيتون ودامون وفريسكا على الامير قسطنطين . يندفع مانيتون اليه ويقبل يده)

مانيتون : مولاى الامير قسطنطين !

دامون (يحملق فيه) : ولى عهد بيزنطة !

قسطنطين (مشيرا بيده) : لا ! لا ! لا !

فريسكا : ابن هيلانة المصرية !

دامون : الامبراطورة الحزينة

فريسكا : كل القلوب تأسى لها .

مانيتون : لولا ان دقيانوس الغادر أرغم اباك على طلاقها وزوجه من ثيودورا لكانت هيلانة المصرية تجلس اليوم على عرش الامبراطورية .

قسطنطين : ولكنها الآن .. واأسفاه (يتنهد) منزوية فى قصرها الصغير على ضفاف البسفور .

مانيتون : تبكى بيتها المحطم .

فريسكا : وتلعن ثيودورا التى اغتصبت مكانها فى بيت ابيك ، مولانا الامبراطور كونستانس .

دامون : تتأسى بالمجد الغابر .

مانيتون : وتحلم بالمستقبل الغامض .

آخيل : كفى . كفى . هذا دامون الأرمنتى

قسطنطين : سمعنا كثيرا بشجاعتك مع قبائل ابريم يا سيدى القائد (ينحنى دامون) .

آخيل : وهذا فريسكا

قسطنطين : وانت يا سيدى ، ولاؤك لآخيل حديث الجميع (ينحنى فريسكا)

آخيل : الامير قسطنطين جاء الى هنا خفية . اياكم ان يذاع النبأ . هو مقيم فى جناح افريكان (يشير الى افريكان) باسم الضابط نرسيس ، وسيعود بعد غد الى بلاط دقيانوس فى نيكوميديا .

مانيتون : كيف حال مولاتى الامبراطورة ؟

قسطنطين : تحييك ، وتحيي شعب مصر ، وترجو ان تلتفوا حول آخيل وان تعملوا بوصاياها .

مانيتون : كل اوامرها نافذة يا سيدى الامير .

آخيل (يومىء لابيب أن يقترب) : ما أخبار روستيكان يا ابيب ؟

أبيب (مقتربا) : كل يوم يزداد هياجا وضراوة ، يؤلب الرومان على المصريين جهارا ويهين آلهتنا فى كل مناسبة . اما المسيحيون فهو يتشنج كلما جاء ذكرهم : انه يجهز لهم مذبحة فى حى النبى دانيال يوم الأحد القادم . اوامره لى ان اذهب على راس عشرين فارسا الى كنيستهم هناك وتقتحم الكنيسة بحجة التفتيش على جندى مسيحى هارب من الجيش ، وان نحطم الهيكل ونقتل من نستطيع ثم نضرم النار فى المكان .

آخيل (مطرقا) : يوم الأحد يوم بعيد .

مانيتون (يبسط لفائف البردى) : وهذا امر اعده روستيكان بالقبض على الراهب أبا نوفر .. وهو يطلب توقيعه . وسيدتى فاوستينا تطلب نفى الراقصة مارتا من البلاد .. آه .. وروستيكان له طلب آخر غريب . يطلب اصدار امر .. لا .. قانون .. يحتم على جميع المسيحيين ان يسموا انفسهم ومواليدهم بالاسماء الجديدة الغريبة التى يأخذونها عن كتابهم المقدس : لوقا . متى . مرقص . يوحنا . زكريا . مريم . مارتا .

آخيل : طلب غريب !

مانيتون : وان يدق كل مسيحى وشم الصليب على معصمه .

قسطنطين : وما غرضه من ذلك ؟

مانيتون : هو يقول بهذا يسهل تمييزهم وحصرهم . يقول ان اتباع المسيح يسمون انفسهم اتوم . اباهور . ابا نوفر . فكيف

يمكن تمييزهم من أتباع آمون وتوت وبتاح ؟ وهو يطلب أيضا حظر اتخاذ المصريين لاسماء يونانية او رومانية ويعتبر هـذا وقاحة منهم .

قسطنطين : هذا الرجل مجنون .

آخيل : حتى الامبراطور نفسه لا يستطيع ان يصدر هذا القانون . ومع ذلك فهذه فكرة زوجتى فاوستينا .

مانيتون : وهو يقول اذا استمر الشغب على هذا النحو فسيطالب باعتقال البطريرك نفسه وكل اعضاء المجمع المقدس ، وبسحب التصريح الامبراطورى الذى حصل عليه المسيحيون باقامة شعائرهم علنا ، ولو ادى الامر ان يسافر بشخصه الى نيكوميديا لاقناع دقيانوس .

آخيل (هازئا فى هدوء) **:** أو الى روما لاقناع السناتو . وربما جاء دقيانوس بشخصه الى الاسكندرية ليقتنع .

مانيتون (يبسط الامر باعتقال ابانوفر) **:** امر اعتقال ابانوفر .

آخيل (يأخذه ويتمعنه) **:** لا بأس . الريشة (مانيتون يناوله الريشة فيوقع الامر ويناوله لافريكان وهو يهمس فى اذنه ، فيناوله افريكان لفيلامون . فيلامون يأخذ الامر على مضض)

افريكان (هامسا وهو يضحك) **:** اراك تتردد يا فيلامون . اذا اصدر المسيح امرا والوالى امرا فايهما تطيع ؟

فيلامون (مرتبكا) **:** المسيح .. اقصد الوالى .. اقصد المسيح .

افريكان (ضاحكا وبنظرة خاصة) **:** اذا داومت على هذا الارتباك أرضيت الوالى .. وأرضيت المسيح !

فيلاميون (مبتسما) **:** فهمت يا سيدى .

آخيل (بجد وهدوء) **:** والامر الآخر ، هل اعددته ؟

مانيتون (يبسط الورقة) : نعم ، يا آخيل .

(آخيل يأخذ الورقة ويتمعنها ويهم بتوقيعها)

مانيتون (محذرا) : هل تدبرت الامر جيدا ؟

آخيل (يبتسم ويهز راسه طويلا علامة الايجاب ويوقع الامر ويسلمه لافريكان) : وبقية الاوامر ؟ (افريكان يسلم الورقة لأبيب)

أبيب (مندهشا فى فرح بعد أن يقرأ الورقة) : بحق توت العظيم ! اقبض على روستيكان ! (الكل يلتفت اليه ، بعضهم عاجبا) هذه مفاجأة كبرى .

مانيتون : تمالك نفسك يا أبيب ، هذه ليلة المفاجآت ، وامامك اعمال كثيرة . انا اعرف انك تنتظر هذه اللحظة بفارغ الصبر ، ولكن تمالك نفسك (يبسط ورقة فيوقعها آخيل ويسلمها لافريكان) وهذا امر بعزل روستيكان وتعيين أفريكان فى مكانه (يخرج من ثيابه ورقة أخرى كبيرة يوقعها آخيل . آخيل يسلم الورقة لافريكان ، فيسلمها افريكان لدامون الارمنتى)

آخيل (لدامون) : دامون . راجع الاسماء ٣٨ اسما . تقبض عليهم بعد حفلة الليلة .

دامون : فورا يا سيدى .

آخيل : وانت يا فريسكا . لا تترك اللازاريتا حتى تسلم الحامية الشرقية تماما .

فريسكا : مؤكد . مؤكد .

(يدخل ضابط من الباب الايمن ويعلن : «الراهب ابانوفر» قيومىء الوالى براسه . ينصرف الضابط ويدخل ابانوفر وهو راهب فى نحو الأربعين ذو لحية كثة سوداء يلبس جبة سوداء وعلى كتفيه عباءة سوداء وعلى راسه قلنسوة سوداء.

ومع أبانوفر راهب شاب تجاوز العشرين بقليل فى مثل زيه.
يؤديان التحية على الطريقة المصرية) .

آخيل : ماذا قال غبطة البطريرك ؟

ابانوفر : قال انه لا يستطيع . قال هو يخدم بالروح ولا يخـــدم بالجسد . ولكنه سيصلى من أجلك يا آخيل . قال انـــه سيصلى وحده فى المحراب ويصوم ثلاثة أيام (تقع عينه على الامير قسطنطين : ذاهلا) مولاى الامير ! (يسرع اليه ويقبــل يده)

آخيل (يحذر باصبعه على شفتيه ثم يشير الى الراهب الشـــاب) : ومن صاحبك هذا ؟

ابانوفر (لا يزال متطلعا الى قسطنطين) : ربما استطاع مولاى الامير قسطنطين ان يقنع ابانا البطريرك (ملتفتا الى آخيـــل ثم الى الراهب الشاب) هذا . . آريوس ، هو هديتى اليك يا آخيل. الراهب آريوس . ألمع رهبان الجيل الجديد . انهم لا يحبونه كثيرا فى المجمع المقدس . افكاره الدينية لا تعجبهم . ولــكن هذا الراهب الشاب شعلة من نار حين يخطب فى الجمــوع : يبكى فتسيل الدموع على الخدود ، ويصرخ فتلتهب الدماء فى العروق . وهو يستطيع ان يجادل الاحبار وحـــده عشر ساعات دون أن يتعب . ان فيه روحا من الله (يهز كتفيــه) ولكنهم لا يحبونه كثيرا .

قسطنطين (باهتمام) : وماذا يغضبهم فى افكاره الدينية ؟

آريوس (رافعا اصبعه كأنه على المنبر) : أنا اقول أن الله لم يتعذب فى المسيح . اقول ان المسيح الذى صلب وتعذب كان بشرا من لحم ودم ، والجســد مجرد ظل . . مجرد مظهر . اما جوهر المسيح فهو روح الله وكلمة منه ، والجوهر لا يصلب ولا يتعذب

انا اقول انهم ما صلبوه الا فى الظاهر فقط . اقول ان المسيح الكلمة رفع الى السماء، أماالمسيح البشر فصلب على الأرض، ولكن العامة تتوهم ان روح الله تعذب فى جسد المسيح ، وان المسيح صعد الى السماء روحا وجسدا .

(آخيل وقسطنطين وفيلامون يبدو عليهم الاضطراب)

قسطنطين : لا عجب انهم يكرهون افكاره .

آخيل (مخاطبا ابانوفر) : ولماذا جئت به يا ابا نوفر ؟

ابانوفر : لانه ساعدى الايمن فى تنظيم المقاومة الشعبية .

آخيل : وما راى المجمع المقدس ؟

ابانوفر (فى حسرة) : عشرون مع البطريرك وعشرون معى . ابونا البطريرك يقول : المسيحى لا يحمل السلاح . المقاومة السلبية هى طريق الخلاص . اقول : الرومان يزرعون الشر فى البلاد. ولابد من اقتلاع شرهم . فيجيب : المسيح قال : «سمعتم انه قيل للقدماء عين بعين وسن بسن . اما انا فأقول لكم : لا تقاوموا الشر بالشر . من لطمك على خدك الايمن ادر له الايسر ايضا . » اقول : ابغضوا اعداء البلاد ، فيجيب : سيدى وسيدك قال : « سمعتم انه قيل للقدماء :احب قريبك وابغض عدوك . اما انا فأقول لكم : احبوا اعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، احسنوا الى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون اليكم» . «طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض» . «طوبى لكم اذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلى كاذبين» . اقول : الرومان ينهبون اموالنا ، فيجيب : المسيح قال : « من اخذ منك رداءك فاعطه قميصك ايضا» . اقول : الرومان يسخرون المصريين ، فيجيب : المسيح قال : «من سخرك ميلا فاذهب معه ميلين» : لقد تعبت معه . تعبت . تعبت . تعبت

(فيما هو يتلو هذه الآيات يجثو قسطنطين على ركبتيه ثم

يحذو آخيل وفيلامون حذوه ويتمتمون بالصلاة ، وبعد أن يفرغ ينهضون)

قسطنطين (يدفن وجهه فى راحتيه) : كفى ! كفى ! الدين شىء والدولة شىء آخر .

ابا نوفر (مخاطبا آخيل فى ذهول) : سيدي الوالى ! انت واحد منا !

آخيل (يومىء فى حزن عميق) : نعم ، نعم ، (ينظر الى مانيتون ودامون وفريسكا وابيب بنظرة ساهمة ثم يتجه كالسائر فى نومه الى تماثيل الآلهة الرومانية القريبة منه واحدا بعد واحد ويمسحها فى رفق وهو يقول) ما اسعدك يا مانيتون ! انت تعبد ربك جهارا . وانت يا ابيب ، انت تمشى رافع الراس الى معبد ربك توت . اما انا فأعبد ربى فى الخفاء .. كلما خلوت الى نفسى .. فى مخدعى .. حتى فى مخدعى اخاف شر زوجتى فاوستينا ، وفى ردهات القصر أتلفت يمنةويسرة لكيلا يرانى أحد . انا الوالى .. نائب الامبراطور دقيانوس، على أن أظهر التقديس لهذه الأوثان لأن الامبراطور يعبد آلهة روما . ما أشقانى ! ما اشقانى !

قسطنطين : وانا يا آخيل ، هل اقل عنك شقاء ؟ امى التقية هيلانة ارضعتنى من المهد الايمان بالله الواحد وبمخلصنا المسيح . ومع ذلك فأنا أخفى عقيدتى وأمشى فى موكب العبد دقيانوس وأحرق البخور لأوثان روما . ولو افتضح امرى لفتكوا بى .. ولكن هيلانة المصرية علمتنى ان البس مائة قناع وقناع حتى يشاء الله أن تنفذ كلمته .

آريوس (بصوت رهيب) : المسيح قال ايضا : « ما جئت لالقى سلاما على الأرض بل سيفا » .

ابانوفر : نعم ولكن البطريرك لا يفهم هذا . انه يعيش فى برج عاجى . يتكلم عن قوة الضعفاء .. عن القوة العزلاء . عن الانتصار

بالروح . من حسن الحظ ان اعوانى فى كل مكان سيحملون السلاح . ولكنه وعد ان يساعدنا من طريق آخر . وعد بأن يأمر كل جندى مسيحى بان يلقى السلاح ويهرب من جيش الامبراطور .. ان يعيش للمسيح .

قسطنطين : من أجل هذا نقاتل .

ايبب : عفوك يا مولاى . من اجل مصر نقاتل (الكل ينظر اليه)

آخيل : غدا يعبد كل ربه فى سلام . افريكان . بعد ان نفرغ . امض مع الراهب الى مكتبى وأدرس معه الخطة . أعطه كل ما يطلب من سلاح لتوزيعه على رجاله . كلمة أخيرة يا ابانوفر .

ابانوفر : نعم يا آخيل .

آخيل (فى حزم) : ارفع سلاحك على الاعداء وحدهم .

ابانوفر : هذا ما افعل .

آخيل : لا . لا . روحك الجامحة بحاجة الى زمام قوى . انت تشكو من الاضطهاد . وتوقع بغيرك الاضطهاد . لقد أثبت لى روستيكان انك المسئول عن الشغب الذى حدث فى معبد جوبيتر وجونو .

ابانوفر : آلهة الرومان آلهة الأعداء .

آخيل : اعلم اذن انها آلهة الكثيرين من رجالى .

ابانوفر : (لا يجيب) ...

آخيل : لهذا وقعت امرا باعتقالك .

ابانوفر (مأخوذا) : ولكن ...

آخيل : دبر امرك مع أفريكان حتى الصباح ، ثم اختبىء ، وحذار ان يراك جندى بعد الشروق فى الاسكندرية . آخيل يحكم بقانون واحد : حرية العقيدة للجميع . حريةالعبادة للجميع، العدل والمساواة للجميع . اين كنا يا مانيتون ؟

مانيتون : هذا نداء للجنود الرومان المحرجين فى ولائهم بين آخيل ودقيانوس ، ان يلقوا السلاح لنضمن لهم الامان .

آخيل (يوقع) : وأين ورقة تيماجين ؟

مانيتون (يبسط الورقة الاخيرة) : وهذا قرار بتعيين الامير تيماجين حاكما على طيبة والصعيد . أما بقية الأوراق فهى فى الديوان .

آخيل (يوقع) : ارسل نسخة من هذا القرار الى كل من يعنيه الأمر .

مانيتون : هل أبلغ دقيانوس ؟

آخيل : ابتداء من الغد لن يعنى دقيانوس فى نيكوميديا من نعين من رعايانا فى مصر المستقلة . هل انت مستعد يا أفريكان ؟

أفريكان : الاستعداد كامل . القواد الثلاثة أجريبا وليسياس ومكسيموس موزعون على أبو قير وكليوبترا والميناء . والقائد المصرى فريسكا سيرابط فى مستشفى اللازاريتا ، ودامون الارمنتى سيحتل كرموز ، وفيلق الفرسان سينتشر من باكوس الى الميناء تحت امرة اغابيوس ، أما أوامر الاعتقال فسينفذها أبيب وفيلامون بتوجيه دامون الأرمنتى . بقية الخطة عند سيدى الوالى .. (ينحنى أمام آخيل) أقصد عند مولاى الامبراطور .

آخيل : مهلا ، مهلا ، يا أفريكان .

أفريكان : الرسائل كلها وردت ؟

آخيل : الخطة منسقة تماما . الكل يهبون فى وقت واحد .جوليان فى قرطاجنة وكاما فى موريتانيا وخمسون من قبائل البربر والطوارق تتحرك من الصحراء وتناوش الرومان فى جبال أوراس وأطلس .

أفريكان : رسول جوليان يقول انه سيحاصر قرطاجنة قبل أول الشهر .

آخيل : ويؤكد أنها ستسقط فى يده .

قسطنطين : الأمل كبيز .. الأمل كبير .

أفريكان : اذا كانت روما لا تعرف كيف تحكم نفسها ..

مانيتون : فلتترك كل شعب يحكم نفسه .

قسطنطين : الأسطول الصغير الموالى للامبراطورة هيلانة أبحر من بيزنطة سرا منذ أسبوع ، وسيصل غدا الى أبو قير . تسع قطع .

أفريكان : والملابس اللازمة أرسلناها مع الأعلام المصرية للبحارة .

قسطنطين : فى سرية تامة بحسب الاتفاق ؟

آخيل : نعم ، نعم ، حتى لا تحدث أزمة بين هيلانة ودقيانوس . الاسكندرية مضمونة فى أربع وعشرين ساعة .

مانيتون (يهز رأسه فى حزن وانزعاج) : المشكلة ليست فى الاسكندرية .

قسطنطين : أين المشكلة ؟

مانيتون : تكلم يا آخيل .

آخيل : لا تقلق يا مانيتون (يربت على كتفه)

مانيتون : المشكلة فى أسوان والعريش .

آخيل (مخاطبا قسطنطين) : آخر أخبار تيمـــاجين المصرى أن رؤساء قبائل ابريم عاهدوه على عدم التحرك من ســواحل البحر الأحمر وغزو الأقصر كما فعلوا أيام ثورة اميليان .

افريكان : والنوبيون عاهدوه على عدم التحرك شمال أسوان .

آخيل : وقد أرسلنا له المال اللازم لارضاء قبائل ابريم ، وتبرع أمراء الصعيد بالمال اللازم لتهدئة النوبيين .

افريكان : والأمير تيماجين جهز مع الأمير تادرس قوة منخمسين الف جندى .

مانيتون : ستين ألفا .

افريكان : موزعة بين اخميم وابيدوس ، والقيادة فى مدينة قفط ، وبمجرد وصول الأنباء سيتحرك الى الأقصر ويحاصرحاميتها ويحكم فى طيبة والصعيد باسم الامبراطور آخيل .

مانيتون (فى كآبة) : وهل تثق فى ابن زنوبيا ، ملكة تدمر ؟

قسطنطين : وهب اللات ؟

مانيتون : نعم .

افريكان : من ناحية وهب اللات فأنا أضمن أنه لن يهاجم العريش

مانيتون (ساهما) : وهب اللات . النوبيون . قبائل ابريم (يتنهد) والإسفاه .. كل هذا يذكرنى بثورة اميليان المسكين .

افريكان (مؤنبا) : مانيتون .

مانيتون : هل اصمت يا آخيل ؟

قسطنطين : بل تكلم .

مانيتون : اذن استعدوا للمزاد . دقيانوس يرشو النوبيين وقبائل ابريم ليغيروا على أسوان والاقصر ، وآخيل يرشـوهم ليلزموا الحياد . ترى ماذا يحدث لو زادت رشوة دقيانوس على رشوة آخيل ؟ ينضمون لدقيانوس . هل نسيتم أن دقيانوس هو الذى أقطع النوبة لقبائل النوبيين المتجولة فى صحراء ليبيا ليحموها من قبائل ابريم ؟

آخيل : باختصار مانيتون كان يرى الانتظار .

قسطنطين : الى متى ؟

مانيتون : حتى ندرب جيشا من الفلاحين ، مائة الف على الاقـل . لن يحرر مصر الا المصريون هل نسيتم اميليان ؟ كان اميليان قويا ، فى قوتك يا آخيل ، ولـكنه ذكر الاسـكندرية ونسى الصعيد . نعم ، طرد الرومان . ولكنه لم يحسب حسـاب احباش اكسوم المغيرين على الصعيد . فلمـا استولوا على اسوان وطيبة سحب اكثر جنوده من الاسكندرية لسحقهم وطردهم الى ما وراء الشلال ، فترك الاسكندرية شبه عزلاء ، وهكذا استردها ثيودوت وأشاع فيها الدمـار . والامير تيماجين ؟ لماذا فشل ؟ بعد سبع سنوات ، سبع سنوات فقط ، من مأساة أميليان ؟ تيماجين النبيـل ، كان يطوف بنفسه القرى والضياع يذكى روح الوطنيـة فى الفلاحين والامراء ، فلما اجتمع له عشرون الف مقاتـل ، ثار على الامبراطور كلوديوس واستنجد بزنوبيا ملكة تدمر فارسلت اليه قائدها زبدا على راس سبعين الف مقاتل .

دامون (يتدخل فى حماس) : وسحق تيماجين وربـدا جيش الوالى فروبوس عند بابليون فانتحر فروبوس تخلصا من العـار ، واوشكت مصر ان تستقل .

مانيتون : نعم ، اوشكت . فى كل مرة اوشكت . وهل استقلت ؟
لا . لا . ماذا اجدى يا ولدى ؟ ماذا اجدى ؟

فريسكا : لولا جشع زنوبيا لكنا اليوم احرارا . الم يتفق تيماجين مع زنوبيا على أن تكون مصر للمصريين وتدمر للتدمريين ؟

مانيتون : نعم . ولكن ماذا حدث ؟ زنوبيا بسطت سلطانها على مصر ورضيت بأن تحكمها باسم اوريليان امبراطور روما . باعتنا زنوبيا لاوريليان ، فعين ولدها وهب اللات واليا علينا ، فصفى جيشنا ، وطارد اميرنا ، وسك العملة فى الاسكندرية ظهرها بصورته ووجهها بصورة الامبراطور . ثم ازداد جشع وهب اللات فأعلن ان مصر ضيعة من ضياع تدمر ، وتحدى الامبراطور ، وسك العملة بصورته وحده . فخرج اليه اوريليان وخرب مصر وتدمر جميعا ، وأسر زنوبيا ، وساقها الى روما فى موكب العار مكبلة بالاصفاد .

ابيب : سيدى فريسكا على حق . لولا جشع زنوبيا لكنا اليوم احرارا .

مانيتون : وانا اقول لولا سذاجة تيماجين لما كنا اليوم عبيدا . اجنبى يطرد اجنبيا . بديهى . يحل محله . انا لا اعتمد على الحلفاء . انا اعتمد على نفسى وعلى الآلهة .

آخيل : لا لا يا مانيتون . انت متشائم . لو علمت هذه الملكة العظيمة ان الكفاح المشترك هو سبيل الحرية لما نزلت بكم كل هذه الكوارث .

ابيب : بستين الفا نحمى الجنوب .

مانيتون : حماس الشباب . تقصد بالاحلاف نحمى الجنوب . لم تمض ثلاث سنوات على فشل تيماجين حتى اشعل فيرموس نار الثورة فى الاسكندرية من جديد ، وطرد الرومان

واعلن استقلال مصر . ولكنه اخطأ نفس الخـــطأ .. نفس الخطأ : اعتمد على جنود تدمر وعلى قبائل ابريم . انا اقول وهب اللات ينسحب من العريش ويحرر بلاده . يحرر انطاكية وتدمر .

افريكان : ولكن .. ربما احتجنا اليه .

قسطنطين : مانيتون على حق . افتحوا فى سوريا جبهة ثانية .

آخيل : اكتب يا مانيتون لوهب اللات ان يتحرك الى سوريا ويحاصر تدمر ، وان يحاول الاستيلاء على الترسانة ومصانع السلاح التى انشأها دقيانوس فى انطاكية وحمص ودمشق . واكتب للامير تادرس ان ينقل قيادته الى تانيس ليدافع عن العريش. تيماجين وحده يدافع عن الصعيد . تادرس معبود المسيحيين، وهم يتبعونه الى الموت دون تردد .

مانيتون (ساهما وهو يهز راسه) : ولكن اتباع امون وبتاح وتـــوت لا يتبعونه الى الموت دون تردد .

ابيب (بتأفف) : سيدى مانيتون لا يرى الا ظلاما .

مانيتون (غاضبا) : تأدب يا فتى .

ابيب : لو سمعنا كلامه لما فعلنا شيئا .

مانيتون (مستنجدا) : سيدى الوالى .

آخيل : هذه حكمة الشيوخ يا ابيب .

مانيتون : البلاد ممزقة . خمسون شيعة وشيعة . كل شـــيعة لا تثق فى الاخرى . الكل يكرهون الرومان ، ولكن كل شـــيعة تريد ان تحرر البلاد لحسابها . الكل يسأل : ما مصيرنا اذا استولى هؤلاء على السلطة .

ابانوفر : أيد خفية تعمل فى الظلام: تؤلب المصرى على المصرى. أتباع توت يمقتون اتباع آمون . أتباع آمون يمقتون اتباع بتاح الجميع يمقتون المسيحيين . والفلاسفة يمقتون الجميع . الآلهة الاجنبية ملأت المدينة . انهم اليهود.. يهود الاسكندرية يعملون فى الظلام . يتجسسون لدقيانوس ..

مانيتون : اهدأ يا ابانوفر . لا تصب الزيت على النار .

آخيل : غدا يعيش الكل فى سلام . المصرى والاجنبى فى سلام . حرية العقيدة للجميع . حرية العبادة للجميع . العدل والمساواة للجميع .

مانيتون : من اجل هذا نحارب .

آخيل : مانيتون . بلغ اباكير كبير كهنة آمون وابانوب كبير كهنة توت واورى كبير كهنة بتاح ان يسافروا الى الريف فورا .. قبل بزوغ الفجر ليؤلفوا القلوب حول الامير تادرس .

افريكان : لا يا آخيل .. هل نسيت حفلة التتويج ؟

آخيل : يمكن ان يرسلوا من ينوب عنهم .

افريكان : لا . لا . فليسافروا بعد التتويج . آخيل سيجلس على عرش فرعون . لابد من حضورهم شخصيا ، والا استهانت الرعية بسلطانك .

مانيتون : ماذا تقول يا افريكان !

ابانوفر (بصوت راعد) : عرش فرعون لا يجلس عليه الا مصرى .

آريوس : عرش فرعون لا يجلس عليه الا قسطنطين .

مانيتون : ستلبس تاج الامبراطور لا تاج فرعون يا آخيل .

آخيل : نعم ، نعم . سأحكم باسم مولاتى هيلانة المصرية .

ابانوفر : حتى يعود الينا قسطنطين .

ابيب (بصوت رهيب) : ويجلس على عرش اجداده .

آريوس (بصوت رهيب) : هذا ما وعدنا به الشعب .

آخيل : نعم ، نعم .

ابانوفر (بحماس) : قسطنطين !

آريوس : سيف الله المسلول .

قسطنطين : لن اعود اليكم حتى اجلس على عرش ابى كونستانس النبيل ، واحكم بالحق والعدل من بريطانيا الى اسبانيا ، واسترد عرش روما الذى اغتصبه السفاح مكسيميان وهو تركة اجدادى ، ثم اطرد العبد دقيانوس من بيزنطة المجيدة عرش امي القديسة هيلانة المصرية . وبعد ان اوحد العالم تحت صولجان واحد انقل عاصمة ملكى الى الاسكندرية والبس تاج اجدادى الفراعنة .

ابيب (كالحالم) : المجد لك يا فرعون .

فيلامون : يا ملك الارضين .

مانيتون (بتحمس) : الاسكندرية تاجك .

ابيب : مصر عرشك .

فيلامون : الدنيا موطىء قدميك .

مانيتون (يفيق ويكلم نفسه بصوت خفيض) : هكذا كنا نغنى لاميليان (تسمع جلبة شديدة قرب الباب الايمن وصوت امراة ثائرة تصرخ : «اترك ذراعى» «لابد أن اراه» مختلطة باصوات رجال : «مستحيل» «ارجعى .. ارجعى» تدخل الراقصة مارتا فى ثياب الرقص مندفعة وهى تصرخ «سيدى الوالى !

سيدى الوالى ! »ومن ورائها حارسان يبدو عليهما الارتباك وفى ملبسهما اضطراب نتيجة لغضب الراقصة . مارتا بنت جميلة عنيفة تجاوزت العشرين تفيض بالحيوية والانوثة ، متقلبة المزاج ، يمكن أن تكون كاسرة كالنمرة ، ووادعة كنسيم الربيع . كل من فى القاعة يضطرب لدخولها الا آخيل وقسطنطين ، فهما يبتسمان فى هدوء)

آخيل (يصرف الحارسين باشارة من يده) : اتركوها فى سلام (يخرج الحارسان من الباب الايمن) تعالى . اقتربى . من انت ؟ ماذا تريدين ؟

مارتا : سيدى الوالى ؟

آخيل : انا الوالى .

مارتا (ترتبك لهدوئه) : انا .. انا مارتا .. الراقصة مارتا

آخيل (يتأملها) : آه .. سمعنا عنك كثيرا .. انت فى الاسكندرية أشهر من الوالى .

مارتا (فى خجل) : عفوا يا سيدى .

آخيل : وماذا تريدين من الوالى .

مارتا (يعود اليها غضبها) : منعونى من الدخول . اتفقت معى هاتور كاهنة «الربة» ايزيس (تعض شفتها السفلى) اتفقت معى ان ارقص الليلة فى حفلة البلاط . وجئت ومعى الرجال والآلات والبنات المساعدات ، ولما اردنا دخول قاعة الاحتفالات تعرض لنا الحراس وقالوا انى ممنوعة من دخول القصر بأمر فاوستينا ، اقصد سيدتى فاوستينا زوجتك . ارادوا ان يخرجونى بالقوة . ولكن (فى كبرياء) انا مارتا .. (تتقلص يداها) .. مارتا .. كاسرة كالنمرة .. (تخطر فجأة امام

الوالى فى ايقاع هادىء جدا وقد عقدت يديها خلف شعرها فى اغراء) ناعمة كنسيم الربيع .

آخيل : واضح . واضح . ولكن اذا كانت سيدتك فاوستينا تفضل راقصة أخرى ، فيجب ان تفهمى .

مارتا (تعود الى غضبها) : تفضل؟ تفضل؟ (فى كبرياء) انا أحسن راقصة فى الاسكندرية . المسألة ان مارتا .. مسيحية (تظهر صليبا ذهبيا صغيرا معلقا على صدرها فى تحد شيطانى) هذا هو .. هل رأيت ؟ لا مكان فى البلاط لراقصة مسيحية . هذا رأى فاوستينا . كل المصريين يعرفون ذلك . واذا كان هذا رأى آخيل ايضا فليتكلم بصراحة . الاسكندريةتنتظر الجواب

آخيل (ينظر الى قسطنطين والآخرين حائرا) : ماذا أقول ؟ العادة جرت أنى لا أتدخل فى مثل هذه المسائل . ولكن اهدئى يامارتا . سترقصين الليلة فى حفلة البلاط (تسمع من قاعة الاحتفالات انغام ايقاعية ناعمة وخافتة . مارتا تتحرك امام الجميع بعرض المسرح فى رقصة ايقاعية قصيرة تستغرق دقيقتين ، وتنتهى عند قدمى الوالى . الوالى يأخذ بيدها وينهضها ويربت على يدها) .

آخيل : قولى للاسكندرية ان فى البلاط مكانا لراقصة مسيحية .

(تقترب مارتا من الامير قسطنطين كأنما تجذبها اليه قوة سحرية ، وتتفرس فى وجهه بمزيج من الدلال والجد العميق . تضربه على خده بمنديل حريرى صغير) .

مارتا : ومن يكون هذا الفارس الجميل ؟

آخيل : كم انت محبة للاستطلاع يا مارتا ؟

مارتا (كمن يقرأ الغيب) : اقرأ فى عينيه اسرارا عظيمة !

آخيل : تقرئين الغيب الى جانب الرقص !

مارتا : نعم ، تعلمت الكهانة فى معبد ايزيس . اقرأ فى عينيه انـــه سيغير وجه الدنيا .

ابانوفر (ينتحى جانبا ويتمتم بصوت مسموع وعيناه تنتقـــلان كالمسحور من مارتا الى السقف) : رؤيا ! رؤيا !

افريكان : ماذا يقول ؟

ابانوفر : ارى حمامة سوداء .. قادمة من المشرق .. من معبـــد الشمس .. ظمآنة .. رفرفت على وجه المياه .. سقطت فى البركة المقدسة .. خرجت منها بيضاء .. ناصعة .. كثلوج الجبال .. كالروح القدس .. جطت على مذبـح الرب .. لا تبرحه .. تغنى انا القربان ! انا القربان !

افريكان : انه يهذى .

آخيل : ماذا تقول يا ابانوفر ؟

ابانوفر : لا شىء يا سيدى . لا شىء .

مارتا (كالمسحورة كأنها تفهم ما يقول) : آمين . آمين .

افريكان : ما معنى هذا ؟ ما معنى هذا ؟ ويل لنا من الكهان .

آخيل (مبتسما) : هيا استعدى للحفلة يا مارتا . امض معهـــا يافيلامون واجعلهم يكرمون وفادتها وعد لنا سريعا (تنحنى مارتا وتتراجع بظهرها الى الباب الايمن . آخيل ينظـر الى قسطنطين ثم الى مارتا) كلمة أخرى يا مارتـــــا .. قولى للاسكندرية .. ان تلمس ... مكانا بين هذه الآلهة (يشير الى تماثيل الآلهة . مارتا تنحنى انحناءة عميقة وتخرج يتبعهـــا فيلامون) .. تقدم يا ابيب .

ابيب (يتقدم نحوه) : سيدى .

آخيل : بعد الحفلة مباشرة تبدأ الاعتقالات .. تبدأ بروستيكان .

ابيب : بالتأكيد يا سيدى

آخيل (فى تؤدة كأنه يملى) : وانت يا مانيتون . اكتب رسالة بشأن روستيكان الى دقيانوس امبراطور روما . قل اننا عزلناه واعتقلناه بعد ان ثبت لدينا انه ، وهو قائد حامية الاسكندرية، يهين آلهة المصريين ، ويعمل على الاخلال بالامن بدلا من العمل على اقراره فى المدينة ، وانه يتحدى كل يوم الامر الامبراطورى القديم الذى يخول لابناء كل ملة اقامة شعائرهم الدينية فى حرية مطلقة ، وانه يدبر المذابح للمسيحيين ويرسل جنوده المخمورة لتدنيس كنائسهم وتخريبها . ولا تنس ان تذكر الاتاوات التى كان يفرضها على سراة المصريين ليعفيهم من عدوانه . اذكر كل شىء بالتفصيل . .

(جلبة فى الخارج . يدخل فيلامون من الباب الايمن على عجل لاهثا شاحب الوجه)

فيلامون : سيدى . سيدى . لقد قتل روستيكان . وجدوه صريعا على درج القصر وفى ظهره خنجر (الاضطراب يسود الجميع)

آخيل (بعد صمت) : لا تكتب شيئا يا مانيتون (يهز رأسه آسفا) ستظن روما اننا قتلة سفاحون . فى الصباح سنتدبر ما نقول . والى ان يأتى الصباح ، فليجر كل شىء حسب الخطة المرسومة .

(ستار)

الفصل الثانى

بهو فى قصر رأس التين ، بابان على اليمين وعلى اليسار ، فى الصدر باب يؤدى الى شرفة تطل على حديقة القصر . بجوار كل من الجدار الأيمن والأيسر مائدة من الرخام ضيقة مستطيلة ذات أرجل عالية مخروطة مقوسة ، وفوق كل مائدة مرآة جسيمة عليها دنان وكئوس فضية ضخمة . فى الصدر أريكتان من الرخام ، وفى الأركان فوتيلات من المرمر . أعمدة البهو أربعة وروعانية . فى نهاية الجدار الأيمن قبو عالى السقف يفضى الى دهليز ، ويقابله مثيله تماما فى الجانب الأيسر . القادة الرومان سويروس وديوجين وبومبيان وأركان حربهم ، وماركوس سكستوس أميرال الأسطول الرومانى فى الاسكندرية ، وروفينوس ، كبير كهنة جوبيتر فى هيئة اجتماع ، يناقشون تسليم القصر .

بومبيان : والموقف فى أبو صير ؟

سويروس : فى منتهى السوء .

بومبيان : وفى قفط ؟

سويروس : أسوأ .

بومبيان : اذا ضاعت قفط ...

ديوجين : اذا ؟ اعتبرها ضاعت ..

بومبيان : اذن لن يمكن تحويل تجارة الهند الى طريق ليبيا .

سويروس : نحن انتهينا في داخل البلاد يا بومبيان منذ أن استسلمت حامية طيبه . ولم يبق لنا الا هذا الجناح من قصر رأس التين .

ديوجين : انا اقول لابد من اخلاء هذا البهو . المصريون استولوا على حديقة القصر وعلى الاسطبلات والمطابخ .

سويروس : وعلى الديوان الكبير والديوان الخاص .

ديوجين : لم يبق لنا الا البرج وجناح الشاطىء ، واذا دافعنا عنهما نزفنا باستمرار .

سويروس : بومبيان ! رأيي أن نسلم القصر وننضم الى آخيل .

بومبيان : هذا جنون يا سويروس . الامبراطور دقيانوس أبحر بأسطوله من نيكوميديا . اذا ثبتنا يومين جاءت النجدة .

سويروس (باحتقار) : انت تعرف رأيي في امبراطورك المبجل أنا لن أحارب تحت راية هذا العبد الدلماسى .

بومبيان : لا تذكرني يا سويروس .

سويروس : آه .. تذكرت . هذا العبد الأجنبى اشتراه عمك أنولينوس من سوق النخاسة .

بومبيان : نعم ، نعم في ديوكله . بالقرب من قوله ، مسقط راسه ، عمي اشترى اباه وامه بخمسين قطعة من الفضة . الأسرة كلها : الثلاثة بخمسين قطعة : الأب والأم والابن . نعم ، نعم ، وهو الآن سيد الدنيا . اتعرف انهم ينادونه

الآن بصاحب الجلالة ؟ يوليوس نفسه واغسطوس العظيم لم ينتحل لنفسه هذه الألقاب الالهية . ولكن دقيانوس تعلم هذه الأبهة الجوفاء من ملوك المشرق منذ حروبه مع الفرس. وقد عشنا لنرى الرومان يساسون كعبيد المشرق .

سويروس : الطاغية قضى على الجمهورية .

ديوجين : وحطم السناتو .

سويروس : وصادر حريات الرومان ، وشتت أشرافهم .

بومبيان (يتنهد فى حزن) : أكثر من هذا . نقل عاصمة الامبراطورية من روما الى آسيا الصغرى . ديوجين ! سويروس ! كفى ، كفى . هذه أفظع جريمة ارتكبها هذا العبد الأجنبى ... . ومع ذلك فرأيى لن يتغير . سأحارب تحت لوائه الى أن يقضى جوبيتر بيننا وبينه .

سويروس : أنا رومانى حر . ولن أحارب من أجل حكم الأغوات فى امبراطورية المشرق .

روفينوس : أنا روفينوس كاهن الاله الأكبر جوبيتر ، أكثركم حقدا عليه ، ومع ذلك أقول لكم — من أجل روما — قاتلوا تحت رايته . من زعزع دين جوبيتر ؟ دقيانوس . من زعزع مكانة الآلهة العظيمة ؟ دقيانوس . من نشر المسيحية اللعينة فى الامبراطورية فتركها تسعى كالحية الرقطاء تنفث سمومها فى كل مكان ؟ دقيانوس . ومع ذلك أقول : من أجل روما قاتلوا تحت رايته .

سويروس : روفينوس . أنا سمعت أن زوجته بريسكا اعتنقت المسيحية سرا .

روفينوس : نعم ، بريسكا مسيحية . وبنته فاليريا مسيحية أيضا . هذه ليست مجرد اشاعات . هذه حقائق .

أتعرفون أن أربعة من خصيان قصره فى نيكوميديا من المسيحيين ؟!

بومبيان : من ؟ من ؟

روفينوس : لوسيان وجورجون ودوروتيوس واندراوس . انها الحية بريسكا ، واللعينة فاليريا ملأتا الوظائف العامة بالمسيحيين .

بومبيان : وضباط القصر يا روفينوس ؟

سويروس : نعم ، نعم ، نصفهم من المسيحيين .

روفينوس : واأسفاه ! زال مجد الآلهة ! دقيانوس ترك للمسيحيين الحبل على الغارب وأباح لهم عبادتهم علنا فطفوا وبغوا وامتلأت بهم الأكواخ والقصور .

بومبيان : حتى الجيش أشاعوا الفتنة فيه . لعلكم سمعتم بحكاية الضابط مارسيل ؟..

سويروس (يضحك) : الذى قطعوا راسه ؟

بومبيان : نعم . قالوا انه وقف خطيبا بين جنوده فى موريتانيا ، وخلع درعه وألقى بسلاحه على الأرض ، وأعلن فى رجاله أنه لن يطيع الا يسوع المسيح (ضحكات صفراء .. أصوات تأفف) والفتى مكسيميليان فى قرطاجنة ..

سويروس : سمعنا عنه . سلمه أبوه للتجنيد ولكنه رفض أن يلبس عدة الجنود لأن هذا يتعارض .. مع ضميره (يشير اشارة تدل على أن راسه قطع . ضحكات صفراء وأصوات تأفف) مالك صامت يا ماركوس سكستوس ؟

بومبيان : ماركوس سكستوس يفكر فى اسطوله العزيز .

ماركوس سكستوس : لا تضحكوا يا سادة .. هذه مأساة .. لو انتشرت هذه الروح الخبيثة بين الجنود لما عرفنا كيف نحمى الامبراطورية من البرابرة .

(يظهر ارمان وفيلامينا بالباب الأيمن فلا يلتفت اليهما أحد)

روفينوس : بدأت اشتبه فى أن دقيانوس .. (ينخفض صوته كمن يطلق سرا) مسيحى .

أصوات : مسيحى !

ديوجين : لا . لا .. أنتم لا تفهمون دقيانوس .. كل ما يشغله هو السلطة . هو يقدم القرابين لجوبيتر وآلهة روما ارضاء للرومان ، وهو يتغاضى عن مفاسد المسيحيين ارضاء لعبيد الامبراطورية ، ولكنه فى قرارته لا يقدس الا شيئا واحدا .. هو دقيانوس . هو هادىء فى الظاهر ، ولكنه فى الواقع أقسى من صاحبيه مكسيميان وجاليريوس . هو لا يأخذ بالعنف ما يستطيع أخذه بالسياسة واللين . ولكنه أضرى من النمر اذا وجد مقاومة فعالة . وكلما أراد أن يبطش بأحد كلف مكسيميان أوجاليريوس بتدبير المذابح والاغتيالات ، ثم تدخل هو كالأب الرحيم ليصلح ما أفسده صاحباه . هكذا انتهى هذا العبد الدلماسى الى عرش الامبراطورية .

روفينوس : انتهوا الى قرار . انتهوا الى قرار .

بومبيان : انا مع دقيانوس .

سويروس : انا رومانى حر (يضع يده على مقبض سيفه) لن أعود الى روما حتى يسقط الطاغية دقيانوس .

ديوجين : وأنا مع سويروس . ما دامت عاصمتى ليست روما ، فلتكن الاسكندرية . انا مع آخيل .

روفينوس (مخاطبا الاميرال) : وسيدى الاميرال ؟

ماركوس سكستوس : انا مع آخيل ، لان آخيل مع روما .

بومبيان : كيف ؟ كيف ؟ الم تقل ...

ماركوس سكستوس : نعم ، نعم ، ولكن آخيل بحاجة الينا لنحميه من الذئاب المصريين .. آخيل بحاجة الى رومان .. هل فهمت ؟

بومبيان (مفكرا) : آه ...

روفينوس : انا مع بومبيان .

أرمان (يشهر سيفه) : وأنا مع بومبيان !

بومبيان : ارمان ..

ديوجين : ارمان ..

أرمان (يتقدم مع فيلامينا) : نعم هربت من اللازاريتا . هربتنى فيلامينة وهربت معى .

روفينوس : المصرية !

فيلامينة (فى اشمئزاز وكبرياء) : نعم المصرية . افضل من الرومانيات . انا اتبع زوجى فى كل مكان .

أرمان : الرعاع ملأوا راس التين . اذا لم تسرعوا الى البرج دهمكم الرعاع .

بومبيان : والجنود ؟ ماذا نفعل بهم ؟

سويروس : انهم رومان احرار . لا اكراه فى الولاء . من اراد ان ينضم لآخيل يبقى فى البرج .

بومبيان : ومن اراد ان ينضم لدقيانوس ؟

ماركوس سكستوس : سأعطيهم قطعة من الاسطول ليبحـــروا عليها

بومبيان : اتفقنا ..

أرمان : هيا .. هيا ..

بومبيان : لا . انا باق . غيرت رأيى . ماركوس سكستوس رجل حكيم . اذا انفرد المصريون بآخيل أصبح تحت رحمتهم .

أرمان : ماذا افعل ياسيدى القائد .

بومبيان : ابحر فورا مع روفينوس الى دقيانوس . انه بحاجة الى خبرتك .

(تخرج الجماعة على عجل من الباب الأيسر ويدخل من الباب الأيمن فى الوقت نفسه أربعة من الجنود الرومان)

الجندى الأول : انت مع آخيل ؟

الجندى الثانى : انا مع روفية المصرية .

الجندى الأول : وانت ؟

الجندى الثالث : انا مع نفسى .

الجندى الرابع : وانا مع الجميع .

الجندى الثانى : هذه مشكلة . كيف تحلها ؟

الجندى الرابع : بسيطة . احارب مع الغالب .

الجندى الثالث : وانا لا أحارب أبدا (يشير اشارات معناها انه دائما يروغ من القتال)

الجندى الأول (مقطبا) : انا مع دقيانوس .

الجندى الثانى : وماذا تنتظر ؟ هيا .. اجر .. قبل أن يأتى المصريون .

الجندى الأول : وماذا ستفعلون ؟

الجندى الثانى : بمجرد وصولهم طبعا نلقى السلاح (ينصرف الجندى الأول من الباب الأيسر)

الجندى الثالث : روفية بنت حلوة (يشير الى الموائد الرخامية ويصيح : « نبيذ ! نبيذ ! » فيندفع الجميع الى الدنان والكئوس ويشربون بشراهة) .

الجندى الثانى : ... لوز ..

الجندى الثالث (للرابع) : عندك صاحبة ؟

الجندى الرابع : هىء ، هىء، هىء ، خمس! أربع مصريات وواحدة يونانية !

الجندى الثالث : يا خبر !

الجندى الثانى : هذه مشكلة ! كيف تحلها ؟

الجندى الرابع (يخرج عملة من جيبه ويمثل بها) : بسيطة . ارمى العملة .. ان وقعت امبراطور .. الليلة مع مارية ، وان وقعت طرة ، الليلة مع صوفية ، وان وقعت على سنهـا ، الليلة مع روزينة .

الجندى الثانى (مبهورا فى ترقب) : والباقى .. والباقى ..

الجندى الرابع : يوم الفلس .. الليلة مع خرستينة .

الجندى الثالث : والخامسة ؟

الجندى الرابع : ياسمينة ؟

الجندى الثالث : اسمها ياسمينة ؟

الجندى الرابع : هذه زوجتى التى أهرب منها (يبدأ فى الغناء)

ماريه غاليه عليه
صوفيه بنت طريه
روزينة حلوه سمينه
خرستينه خيرها علينا ـ
ياسمينة شاويش الينا

(يدخل ابا نوفر وآريوس وأبيب من البـاب الأيمن شاهرى السيوف على رأس جماعة من الغوغاء المسلحين . يبدأ قتـــال لا يستغرق دقيقتين ، ويلقى الجنود الرومان سلاحهم ، منهم من يصيح : نحن معكم)

أبا نوفر : اتركوهم . انهم سكارى .

أبيب (مشيرا للجماعة) : اتبعونى .

أبا نوفر : تقدم بحذر يا أبيب .

الجندى الثانى : كلهم فى البرج . وفى جناح الشاطىء .

أبا نوفر : الى البرج .

الجندى الثانى : لا داعى للهجوم .

أبانوفر : ماذا تعنى ؟

الجندى الثانى : سويروس وديوجين والاميرال مع آخيل .

أبيب : ماركوس سكستوس ؟

الجندى الثانى : نعم ، نعم ، وحق جوبيتر .

ابانوفر : هذه معجزة .

الجندى الثانى : فاوضهم على تسليم القصر .

ابانوفر : آريوس . لا . لا . ابيب . اذهب مع الجماعة . أطلب من ديوجين أن يقابلك خارج البرج (يخرج أبيب من الباب الايسر وخلفه الجماعة والجنود الرومان . يبقى أبانوفر واريوس وحدهما) يدخل فيلامون من الباب الايمن لاهثا فى فزع شديد يتبعة ثلاثة جنود مصريين شاهرى السلاح)

فيلامون : ابانوفر ! الويل لك يا ابانوفر ..

ابانوفر : ماذا جرى ؟

فيلامون : الم تعرف ؟

ابانوفر : ماذا جرى ؟ ماذا جرى ؟

فيلامون : البطريرك .

ابانوفر : اين هو ؟

فيلامون : لما رأى جموع المصريين تحمل السلاح وتخرج عن طاعته ثار وصرخ بأعلى صوته فى الهيكل : هذا من عمل ابانوفر .. عليك اللعنة يا أبانوفر .. لن تدخل الملكوت يا أبانوفر .

ابانوفر : يا الهى ! أنا .. ملعون !

فيلامون : انه يقول لكل من صادفه : ابانوفر يحب الدماء . ابانوفر جسد بلا روح .. ابانوفر روح نجسة هائجة تهيم على وجه الارض ولن تستقر الا فى قاع الجحيم ..

آريوس : هل قال عنى شيئا ؟

فيلامون : لا يا آريوس ، ولكن دورك آت لا ريب فى ذلك .

ابانوفر (لا يزال كالمذهول) : يا الهى ! لعنة الكنيسة !

فيلامون : ويقول انك تفسد دين المسيح .

ابانوفر (حالما) : ماذا فعلت ؟ الفداء .. الفداء : هذا دين المسيح
أنا أقول : كل مصرى يفدى مصربدمه يدخل الملكوت .

فيلامون : ويعلن أنك مطرود من سلك الرهبان .

ابانوفر (ينظر الى ثيابه غاضبا) : مستحيل ! لن يجردنى احد من
من مسوح الرهبان . (ينظر الى بنصر يده اليسري حالما)
وهذا الخاتم الحبيب الذى لبسته يوم زفافى لمريم العذراء ..
لن اخلعه حتى أموت .

آريوس (ساخرا) : أبونا البطريرك يهذى ! يريد ان يخرج الرومان
بالصوم والصلاة ! سمعته مرة يقول : الله وحده سيرسل
عليهم ضرباته ويطهر منهم البلاد ، وما علينا الا أن نبتهل
وننتظر مشيئة الله . وحين سألته : لماذا لم يرسل الله
عليهم ضرباته حتى الآن ؟ نظر الى فى ارتياب وقال : أتحاكم
الله يا آريوس ؟ لو لم تكن خطاة مثل الرومان باولدى
لخلصنا الله من شرهم منذ زمن بعيد .

ابانوفر : البطريرك على حق . أنت تحاكم الله يا آريوس .

آريوس : ماذا دهاك يا أبانوفر ؟

وفر : لكنه ينسى أننا احدى هذه الضربات التى يرسلها الله على
الرومان . بالخطاة يضرب الخطاة ! الله السلام يأذن بالحرب ،
الله الفضيل يأذن بالرذيلة ، الله الرحيم يترك الوحوش
الكاسرة . هذه عدالة الله : يعاقبنا فى الارض وفى السماء .
لا تفكر كثيرا ، والا وقعت فى الحيرة ، فى الحيرة الكبرى :
الكامل .. كيف يخلق الناقص ؟ الخير كيف يخلق الشر ؟

مرة .. سمعت راهبا فى مثل سنك يقول : من يرى الشر ويستطيع أن يزيله ولا يزيله فهو شرير ، سمعته يهـذى قائلا : الله ... لماذا لا يزيل الشر ؟ اهو ناقص فى الخير ؟ اهو ناقص فى القوة ؟ قلت اهدأ يافتى .. لحكمة خلق الله الشر .. لحكمة ترك ابليس يعيث فى الوجود . أتعرف بماذا أجاب ؟ قال : اذن هو يلعب بنا .. اذن .. نحن دمى نتحرك على مسرحه وهو يحرك الخيوط . قلت : لا . لا . الله يتعذب معنا لأنه فينا . قال : اذن هو الخالق والممثل والمشاهد . قلت : لا تفكر كثيرا .. العقل ليس نورا يهدى .. العقل ضباب يتوه فيه الأحياء .. الايمان هو كل شيء الله فى قلبك . اتبع قلبك . لا تسل أين السبيل . اتبع قلبك ياآريوس . أنا أقاتل بالايمان . والبطريرك يسالم بالايمان . أحدنا سيذهب الى الجحيم . ربما كلانا . هيا الى القتال .. لا تضيعوا الوقت .. الى القتال . فيلامون خذ رجالك والحق بأبيب ..

فيلامون : أبانوفر ..

أبانوفر (مستطلعا) : نعم ؟

فيلامون : للمرة العاشرة ، أريد وعدا بتأمين فيلامينة .

أبانوفر : أنا لا أعد بشيء .. الا العدالة .

فيلامون : اكتب لأخيل .

أبانوفر : لا ، لا . لا وساطة للخونة .

آريوس : هيا يا أبطال . الى النصر وراء أبانوفر ، بطل الأبطال ، الشعب كله يهتف : أبانوفر والحرية ! (يخرج فيلامون من الباب الايسر تتبعه الجنود . وما ان يختفوا حتى تدخل مارتا من الباب الأيمن فى اندفاع حاملة علما ووراءها جمهرة

من أبناء الشعب المسلحين . مارتا تلبس جلبابا أســـود كالفلاحات)

أصوات : مارتا والحرية !

أبانوفر (محييا مارتا) : الشعب كله يهتف مارتا والحرية !

آريوس : مارتا وأبانوفر !

مارتا (صائحة) : مصر والحرية . لا تذكروا الا مصر والحريــة
(الجمهرة تهتف : « مصر والحرية »)

أبانوفر : الى برج القصر ياأبطال .

مارتا : الى جناح الشاطىء ياأبطال .

أبانوفر : لا ، الى برج القصر يامارتا .

مارتا : هل استوليتم على جناح الشاطىء ؟

أبانوفر : لا ، لا ، هذا آخر ما نهاجم .

مارتا : وما الحكمة ؟

أبانوفر : فى البرج ألف وخمسمائة رومانى فيهم ثلاثة قواد .

مارتا : ديوجين وبومبيان ؟

أبانوفر : نعم ، وسويروس

مارتا : هذا أدعى . تقطع عليهم الطريق فلا يهربون .

أبانوفر : لا ، لا .

مارتا : اذا استولينا على جناح الشاطىء حصرناهم فى البرج .

أبانوفر : هناك مفاوضات لتسليم القصر .

مارتا : مفاوضات ؟ مفاوضات ؟ اقتلوهم عن بكرة أبيهم .

أبانوفر : لا يامارتا . ربما انضموا الينا .

مارتا : لسنا بحاجة اليهم .

أبانوفر : سنحتاج للاسطول .

مارتا : الاميرال معهم ؟

أبانوفر : نعم . دقيانوس تحرك من اللاذقية منذ أسبوع . معه مائة قطعة . دقيانوس بشخصه يقود الحملة .
(الجمع يهيج .. لغط .. هتاف : « يسقط الطاغية . يسقط السفاح » . مارتا تشير لهم بالهدوء) .

أبانوفر : ماركوس سكستوس معه عشرون قطعة . اذا انضموا الينا ربما منعنا الحصار .

مارتا : كما ترى .

أبانوفر (متطلعا الى وجهها فى حنان بالغ) : : مارتا ... عيناك ..

مارتا (تحول عنه وجهها) : نعم يا أبانوفر

أبانوفر : ملتهبتان .. أكنت تبكين ؟

مارتا : (تمسح عينيها بكمها) لا ، لا .

أبانوفر : أنت متعبة يامارتا .

مارتا : نعم ، نعم .

أبانوفر : يجب أن تستريحى .

مارتا (جانبا بصوت هادىء غامض) : الراحة الكبرى (لأبانوفر) بعد النصر نستريح .

أبانوفر : فيلامون وأينب عند البرج ، الحقى بهما ، فليقاتل الشعب مع الجيش .

مارتا : وموضوع فيلامينة ؟

ابانوفر (غاضبا) : قلت لا شفاعة للخونة .

مارتا (تحاول تهدئته) : فيلامينة بنت مجنونة .

ابانوفر : ستحاكم محاكمة عادلة .

مارتا : تتركها للرعاع ؟ سيمزقونها اذا قبضوا عليها .

ابانوفر : قلت ستحاكم بالعدل .

آريوس : لا تدافعى عن مجرمة . .

مارتا : انا أطلب لها الرحمة .

ابانوفر (فى قسوة) : العدل فوق الرحمة .

مارتا (تتنهد) : الحب أعمى يا أبانوفر .

ابانوفر : نعم ، نعم ، الحب أعمى يامارتا (يصيبه اعياء ويترنح فيخف اليه آريوس ويسنده من ساعده)

مارتا (فى لهفة) : مالك ؟ ماذا أصابك ؟

آريوس : أنت مريض يا أبانوفر .

ابانوفر : لا ، لا ، مجرد وعكة .

آريوس : وجهك شاحب .

مارتا (تضع يدها على جبينه) : جبينك ملتهب . أنت محموم (تمسح عرقه)

ابانوفر (يفيق ويعتدل) : نعم يا مارتا . الحب أعمى . الحب أصم . الحب أبكم . الحب لا يعى ولا يفهم الا نفسه . (يصرخ) هكذا حبى لمصر . . انه أعمى واصم وأبكم . انه

لا يعى ولا يفهم الا نفسه . فيلامينة هربت الى معسكر الاعداء . لا رحمة للخونة .

مارتا : فكر فى اخيها المسكين .

ابانوفر : كفى . كفى .. هيا .. هيا .

(تخرج مارتا وجماعتها من الباب الأيسر ، ينفرد ابانوفر وآريوس . ابانوفر يعود اليه الاعياء ، يكاد يتهافت ، فيسنده آريوس) .

آريوس (بصوت عال) : طبيب ! طبيب ! الينا بطبيب .
(تحدث حركة عند الباب الأيمن. راس يطل ثم ينصرف لتلبية النداء)

ابانوفر (فى حزن) : لا ، لا . ان مابى لاينفع فيه طب ولا يرجى منه شفاء .

آريوس : ماذا بك ؟ ماذا بك ؟

ابانوفر (يشير الى قلبه) : قلبى . قلبى

آريوس (بصوت عال) : طبيب ! طبيب !

ابانوفر (يضحك ضحكا عصبيا) : هذا جنون . جنون . جنون .

آريوس : ماذا ؟.. تكلم .

ابانوفر : انت لا تفهم . لا تفهم . لن تفهم .

آريوس : ماذا ؟.. تكلم

ابانوفر (يتجول فى الفرفة محملقا فى الفراغ ومشيرا الى السقف والأركان) : الشيطان ! الشيطان ! انظر ! انظر !

آريوس (مبهوتا) : ماذا دهاك يا أبانوفر ؟

ابانوفر : الا تراه ؟ انه هنا .. يسبح فى الهواء .. هنا .. يقبع فى أركان الغرفة .. هنا .. يلبد فى السقف . الا ترى ؟ (يمسك عباءته) ههنا .. فى هذه العباءة . فى هذه العباءة (مشيرا الى الباب الأيسر) لا ، لا .. انه خرج ، خرج من الباب .

آريوس : أنت محموم . تماسك . سيأتى الطبيب بعد قليل .

ابانوفر (يضحك ضحكا أجوف) : تعال يا بنى ..

آريوس (يقترب منه) : أتريد شيئا ؟

ابانوفر : هل اعطوك فى الدير سر الاعتراف ؟

آريوس (عاجبا) : نعم . لماذا تسأل ؟

ابانوفر : لا بأس . أنت أصغر منى بعشرين سنة . ولكن .. لا بأس .. لا بأس .. تعال أعترف على يديك .

آريوس (متراجعا) : ابانوفر !

ابانوفر (متلعثما) : تعال .. نصل من أجل مارتا .

آريوس : نعم .. انها تستحق الصلاة (يتمتم) .

ابانوفر : لقد عرفت رجالا كثيرين (يتمتم)

آريوس (ينظر الى السماء) : رحمة الله واسعة .

ابانوفر : اثبت مكانك (يجثو أمامه) .

آريوس (ذاهلا) : ابانوفر .

أبانوفر : صل من أجلى ياولدى .

آريوس : ابانوفر !

ابانوفر : نعم ، نعم ، ابانوفر عاشق .. هل سمعت ؟ عاشق . انا عاشق .. انا احب مارتا ، منذ رايتها فى قصر آخيل . اتذكر كيف رقصت أمام آخيل ؟ (فى ألم) أمام قسطنطين؟ جسدها .. كان يتلوى كالحية . الايقاع . الايقاع .. أتذكر الايقاع ؟ عطرها .. أيقظ جسدى .. كألف وردة حمراء ، لا ، لا . انها فتنة . كألف حية تلتف حول جسدى . تهصره . تهصره . تهصره . لم أعد أصلى ياولدى (ينظر الى الخاتم فى بنصره الأيسر) يامريم .. عفوك عميم .. (يجهش بالبكاء)

آريوس : يا الهى ! لعنة البطريرك !

ابانوفر : لعنة الكنيسة !

آريوس : انهض ، انهض يا أبانوفر (يأخذ بيده وينهضه) هل بحت لمارتا بشىء ؟

أبانوفر (مطرقا) : لا . انها تجهل كل شىء .

آريوس : انت تخون عهدك مع الله .

ابانوفر : سأخلع مسوح الرهبان .

آريوس : لا . لا . لا تيأس من رحمة الله . اترك كل شىء . اعتكف فى الدير ، وصل كثيرا .. كثيرا .

ابانوفر : اترك كل شىء ؟ محال . لابد من انجاز ما بدانا .

آريوس (مطرقا) : نعم . نعم .

(يظهر فيلامون فى الباب الأيسر)

فيلامون (فى مظهر الحائر) : رسول من عند دقيانوس ، يطلب أبانوفر .

أبانوفر : دقيانوس !

فيلامون : هكذا يقول .

أبانوفر : هل فحصت أوراقه ؟

فيلامون : أبيب فحصها .

أبانوفر (يمشى خطوات) : اسأله يا آريوس عما يريد .

فيلامون : هو يطلبك شخصيا ياأبانوفر .

أبانوفر : اعطوه الأمان . أسطول الرومان .. هل وصل ؟

فيلامون : لا شىء فى الافق .

آريوس : خديعة .. اطردوه . اقبضوا عليه .

أبانوفر : لا ، لا . اعطوه الأمان . اذكروا حرمة الرسول .

آريوس : لا شك انه يهدد ويتوعد .

أبانوفر : لماذا لم يذهب الى آخيل ؟

(يدخل ضابط رومانى . فيلامون ينتظر بالباب)

الضابط : من منكما أبانوفر ؟

أبانوفر : انا هو .

الضابط (يخرج من ثيابه رسالة مختومة يفضها أبانوفر) : مولاى الامبراطور ينتظر الجواب .

أبانوفر : اين مولاك الامبراطور .

الضابط : اسطول روما ينتظر خارج الميناء .

آريوس : كذب . كذب . لا شيء خارج الميناء .
الضابط (بأدب) : وراء الأفق ياسيدى الراهب .

أبانوفر (يقرأ على مهل بصوت مسموع) :

« من دقيانوس امبراطور روما العظيمة الى الحبر التقى ابانوفر :

سلامنا اليك ، وسلام الرومان الى المصريين . أما بعد ، فقد انتهى الينا ما يدور فى نفوسكم من قلق وتذمر ، وأحاط علمنا بما ترزح تحته مصر العزيزة ، جوهرة الامبراطورية ، من الظلم والطغيان . فليعلم المصريون أن عدالة روما لا تنام ، وان لها سيفا مسلولا لن يعود الى غمده حتى يعود لكل ذى حق حقه ، ويعبد كل ربه فى سلام .

وقدتأكد لنا أنمشاكل أبنائنا المصريين المخلصينللامبراطورية المجيدة لا يدركها الا مصرى من أهل البلاد . ولما كنت يا ابانوفر موضع ثقة شعبنا العزيز فى مصر ، فقد عزلنا ابن روما الظالم العاصى دومتيوس دومتيانوس ، الشهير عندكم بآخيل ، ورأينا أن نقيمك مكانه واليا على الاسكندرية ومصر كلها ، بشرط تسليم هذا الخائن وحاشيته المتمردة وكل من اشترك فى اغتيال خادمنا الأمين روستيكان لعدالة روما ، وبشرط أن يستقر الأمن فى ربوع مصر العزيزة . فان كنت بحاجة الى يد ضاربة فأسطولنا ينتظر خارج الميناء رهن اشارتك » .

آريوس : اذن .. الاسطول وصل !

أبانوفر (يقهقه فى سخرية) : الماكر ! الماكر ! دقيانوس الماكر . انه يساوم .

آريوس : قلق . تذمر . انه لا يعترف بالثورة . انه يتكلم كأنه لا يزال سيد البلاد .

أبانوفر : انه يرشونى يا آريوس ! ها ! ها ! ها ! سلم .. نجعلك واليا على مصر ! ها ! ها ! ها !

الضابط : مولاى الامبراطور لم يذكر التسليم .

أبانوفر : هذا أفظع .. مولاك يطلب منى الخيانة .. أن انضم اليه وافتك بالوطنيين .. حتى يستقر الأمن فى ربوع مصر العزيزة ..

الضابط : أليس هذا ما يطلبه المصريون ؟ ان يحكمهم مصرى ابن مصرى ؟

أبانوفر (فى تهكم ماكر) : ماذا نكتب ياآريوس ؟

آريوس (يدرك تهكمه) : نجيبه الى طلبه .

أبانوفر (كأنه يملى) : اكتب يا آريوس : الى سيدى ومولاى وتاج رأسى دقيانوس العظيم ، قيصر المشرق وامبراطور العالمين . باسم مصر المذنبة أقبل طرف ردائك .. لا ، لا . لا يكفى . أقبل موطىء قدميك (ينفجر ضاحكا) ها ! ها ! ها ! ها !

الضابط (غاضبا) : أنت تسخر من مولاى الامبراطور .

أبانوفر (مهدئا) : لا تغضب . لا تغضب .

الضابط : اذن أنت ترفض .

أبانوفر (يملى بلهجة جادة) : اكتب يا آريوس ، قل : ان الأمن مستتب فى ربوع مصر العزيز ، تحت راية مصر العزيزة ، ان الاسكندرية كلها تهتف: عاش الامبراطور آخيل، وأبانوفر أيضا يهتف : عاش الامبراطور آخيل . اكتب ان آخيل اختاره المصريون فلا يعزله الا المصريون . اكتب .. ان فى مصر قضاء نزيها يحاكم قتلة روستيكان .. لا تنس أن تقول ان ابانوفر راهب مسكين فقير الى الله لا يطمع فى شىء من

متاع الدنيا (يعض شفته) أقصد .. لا يطمع الا فى ملكوت الله (يحملق فى آريوس ويقول بمرارة) أليس كذلك ياآريوس؟ (ينصرف آريوس الى الباب الأيمن) آريوس ! ابدأ الرسالة: من مصر المستقلة المحبة للسلام (يخرج آريوس)

(يدخل من الباب الأيمن اثنان من النوتية وجندى مهرولين صائحين : « أسطول روما ظهر فى الأفق . أسطول روما » فيشير لهم أبانوفر بالهدوء)

الضابط (محذرا) : فكر جيدا يا أبانوفر .

أبانوفر (مزمجرا) : هل أنت مكلف أيضا بالتهديد ؟

الضابط : لا ، لا . ولكن مولاى الامبراطور يحب السلام .

أبانوفر (بلهجة تحد شيطانى) : قل لمولاك الامبراطور : اذا كان يريد آخيل فليأت بنفسه ويأخذه (يخفف لهجته) لا ، لا . قل لمولاك أن يعود الى بلاده ان كان يحب السلام . يا رجال !

(يبادر اليه من البابين جمهرة من الجنود والمدنيين المتحمسين) الى البرج ، الى البرج .. وراء فيلامون (تخرج الجماعة وهى تنشد « المجد لك يافرعون .. » يدخل آريوس حاملا صحيفة وريشة . يتمعن فى الصحيفة ثم يتناول الريشة ويوقع وهو يهمهم : « جميل .. جميل » ويسلمها للضابط الرسول . (مخاطبا آريوس) أخرج معه يا آريوس . اياك أن يتعرض له أحد (يخرج آريوس والضابط الرومانى من الباب الايمن . أبانوفر وحده يخاطب نفسه) مارتا على حق . لا مفاوضات . اليوم نرفع راية مصر على برج القصر .

(تدخل مارتا من الباب الايسر . وتمشى الى أبانوفر فى هدوء غريب)

مارتا (فى استحياء) : أبانوفر ، يا أبتاه !

أبانوفر (بحنان) : مارتا !

مارتا : باركنى يا أبتاه .

أبانوفر : ماذا أرى على وجهك ؟

مارتا : أترى شيئا ؟

أبانوفر (عاجبا) : نعم ، هالة من ضياء .

مارتا (متهللة) : هذه نعمة ربى .

أبانوفر (عاجبا) : أكنت تصلين ؟

مارتا : باركنى يا أبتاه .

أبانوفر (يشيح بوجهه عنها وهو يتعذب) : باركك الله . برحمته يبارك الخطاة .

مارتا (فى خجل) : نعم ، كنت أصلى ، لماذا تنفر منى ؟

أبانوفر (يتفرس فى وجهها) . ماهذا الهدوء الغريب ؟

مارتا (كالحالمة) : أرى النور .

أبانوفر : أى نور ؟

مارتا : أنا سألتها . .

أبانوفر : سألت من ؟

مارتا : العذراء . طبعا العذراء . الا تفهم ؟ رأيتها وسألتها .

أبانوفر : أنت . رأيت . . العذراء ؟

مارتا : نعم . . رأيت العذراء .

ابانوفر (يتشكك فى عقلها) : اين ؟ اين ؟

مارتا : منذ هنيهة . اغفيت ثم صحوت . الم تقل انى متعبة ؟ الم تقل يجب ان تستريحى ؟

ابانوفر : نعم ، هذا ما قلت ..

مارتا : وهذا ما فعلت .. خرجت الى حديقة القصر لاستريح ، وهناك رقدت تحت شجرة التين واغفيت ، وفى نومى رأيت العذراء .. فى رداء اخضر .. لماذا تعلموننا الخطأ ؟

ابانوفر : فى رداء اخضر ؟

مارتا : نعم ، لم تكن فى رداء ازرق كما تقولون .. كانت فى رداء اخضر ، وكان فى جبينها هلال ، عليه ثلاثة نجوم .

ابانوفر : هذه ليست العذراء .

مارتا : هل رايت العذراء ؟

ابانوفر : لا ، لا ، فى الصورة فقط .

مارتا : انا رأيت العذراء ، وكانت فى رداء أخضر ، تبتسم وتومىء لى . اشارت لى أن اقتربى .

ابانوفر : وهل قالت شيئا ؟

مارتا : فاقتربت وسألتها : هل فات الأوان ؟

ابانوفر : الأوان ؟ اى أوان ؟

مارتا : فأجابت : لا . سألتها : هل هناك امل ؟ فأومأت وهى تبتسم قائلة : نعم ، نعم .

ابانوفر : عم تتحدثين يا مارتا ؟

مارتا : العذراء قبلت توبتى .

أبانوفر (يلوح بيديه أمام عينيها كأنها نائمة يريد ايقاظها) : سحر . سحر . أنت مسحورة يامارتا .

مارتا (بصوت مجلجل) : العذراء قبلت توبتى (تخفض صوتها) رفعت اصبعها الى السماء وقالت : ولدى ، ان عفا عفوت، وان عفوت عفا . فركعت امامها وقبلت طرف ثوبها .

أبانوفر (فى حيرة) : تباركت يا رب .

مارتا : فلما سألته ..

أبانوفر (فى حيرة) : أنت .. سألته ؟

مارتا : نعم . جاء وسألته .. الا تصدقنى ؟

أبانوفر : نعم ، لا ، لا ، اقصد نعم ، نعم .

مارتا : من الأعالى جاء ، وانحنى ، وأخذ بيدى قائلا : انهضى انهضى ! من أجل المجدلية مغفورة لك خطاياك .

أبانوفر (مرتاعا كمن يرى الشيطان) : المسيح !

مارتا (بفخر) : انه الآن سيدى ومولاى .!

أبانوفر (فى ارتياع) : مارتا ! هذا تجديف !

مارتا (تبتسم فى هدوء) : اتعرف من كان يشبه ؟

أبانوفر : حذار يا مارتا ! حذار !

مارتا : كان يشبه الامير قسطنطين . عيناه زرقاوان من زرقة الغدير . ذوائبه الشقراء تدلت على كتفيه . لحيته الذهبية كأمواج الذهب . خيل الى انى اخاطب الأمير قسطنطين . قلت مبهورة الأنفاس : يا سيدى ! لماذا لم تتجل لى قبل الآن ؟ منذ أن وقعت عليك عينى اضاء الحب فى قلبى كما

يضيء البرق حالك الظلمات . فلما فارقتني سهدت الليالي وطال بكائي وتقرحت عيناي . فهل تقبل هواي ياأميري الجميل ؟. فابتسم وربت على يدي وأجاب: ان قبلت خاتمي هذا فأنت عروسي . قلت : ومنذ الآن أنت سيدي ومولاي . انظر (تريه يدها اليسرى) أليس جميلا هذا الخاتم ؟

أبانوفر (يحملق في يدها ممدودها ولا يرى الخاتم) : أي خاتم ؟ أنا لا أرى شيئا ! ماذا دهاك يا مارتا ؟

مارتا (كمن يفيق من حلم) : أبانوفر .. بعد أن نستولى على القصر .. سأدخل الدير .

أبانوفر : ماذا تقولين ؟

مارتا : سأدخل الدير !

أبانوفر : أنت ؟

مارتا : نعم أنا !

أبانوفر (في ضحك هستيري) : ها ها ها ها ! مارتا في الدير ! ها ها ها ها . مارتا في الدير . أظنك ستذهبين الى الدير ببدلة الرقص ومعك آلات الطرب وفرقة الراقصات! (مقطبا) هذا تجديف . تجديف . تجديف . هل تفهمين ؟

مارتا : لا . لا . لا .

أبانوفر : أتظنين الدير كمعبد ابزيس ؟ هل نسيت من أنت يامارتا ؟

مارتا (تحاول أن تركع أمامه فيمنعها) : ساعدني يا أبتاه .

أبانوفر (وهو ينهضها بيده) : لا . لا . لا تعترفي . ذنوبك كثيرة بعدد رمال البحر ، بعدد نجوم السماء ، لا تعترفي . لافائدة

ســأصـــلى من أجلك . هذا كل ما أملكه . ماذا دهاك يامارتا ؟

مارتا (تتنهد) : الحب ياأبانوفر !

أبانوفر : الحب ؟ وأى جديد فى هذا ؟ أنت ولدت بمعبـد الحب (يمسح شعرها برفق اختلط فيه الحنان والاشـــتهاء) تغمضين عينيك على الحب .. تفتحين عينيك على الحب . أنفاسك من أنفاس الحب .

مارتا : لا . لا . لاتذكرنى بآثامى . هذا شىء مختلف .

أبانوفر : سنرى .. سنرى .

مارتا : من أول نظرة أحببته يا أبانوفر !

أبانوفر (فى لهفة) : من ؟

مارتا : قسطنطين .

أبانوفر (يتراجع) : قسطنطين !

مارتا : لا تتركنى ..

أبانوفر : مارتا !

مارتا : من أول نظرة .. عرفت .. انى أسيرة هواه . كم بكيت وبكيت ، حتى جف الدمع فى عينى ، وأشواك الندم نبتت فى قلبى .. أدمتنى كالحراب . أصلى للمسيح فأرى وجـه قسطنطين !

أبانوفر : كفى ، كفى .

مارتا : ثم حل فى نفسى سلام غريب . خرجت من هذا الجحيم . حبه طهرنى . لم أعد أفكر فى جسدى . أتعرف بماذا نحس حين نخرج فى البلل بعـد انقطـــاع المطـر ؟ هـكذا انتعش

جسدي .. وانتعشت معه روحي . عرفت أن دموعي غسلت ذنوبي عرفت أن الله قبل توبتي : فنذرت نفسي للمسيح بعد أن ينتهي القتال .

أبانوفر : كفى . كفى ياساقطة .

مارتا : ابانوفر !

أبانوفر : أنت لا تحبين المسيح . أنت تحبين قسطنطين .

مارتا : أنت غاضب يا أبانوفر !

أبانوفر : هذيان . هذيان . قسطنطين في بيزنطة . أمير الأمراء . وأنت هنا ..

مارتا : قلها .. أميرة البغايا .. أعرف انه عال كالسحاب ، بعيد كالسراب ، طاهر كثلوج الجبال . لهذا هدأت نفسي . وهذا سر سعادتي . لأني أحب بالروح لا بالجسد . هل فهمت الآن ؟

أبانوفر (برفق) : هيا .. هيا ، عودي الى الجماعة .. سأصلي من اجلك يا مارتا (تخرج مارتا من الباب الأيسر تشيعها حشرجة ابانوفر) كل شيء الا الدير ! كل شيء الا الدير ! (يدخل أبيب وفيلامون من الباب الأيسر ثم القواد : ديوجين وبومبيان وسويروس وجماعة من الضباط الرومان ، وفي وسطهم فاوستينا وفيلامينة . أحد الضباط يحمل علماً رومانيا)

أبانوفر : السيدة فاوستينا ! (ينحني بتهكم) .

فاوستينا (في غضب وكبرياء) : ايها المصري القذر (لغط)

ديوجين (يتدخل) : لاداعي ياسيدتي .

فاوستينا : صمتا ايها الخائن .

سويروس : أنت الآن على أرض مصرية يافاوستينا

فاوستينا (بتأفف) : سويروس بطل جاليا .. يسلم القصر (تغطى وجهها بكفها) بالعار ! (منتفضة) خونة ... كلكم خونة .

ديوجين : انت مازلت زوجة آخيل يافاوستينا .

أبانوفر : دعوها تفرج عن غضبها .

فاوستينا (باحتقار) صنيعة المصريين ، أنا لم أعد زوجته . ستجرون جميعا فى موكب النصر فى شوارع روما . ستقطع رءوسكم . وأنت أيها الراهب القذر ، ستصلب على طريق كابوا مع العبيد وقطاع الطرق وتنهش جثتك الطيور .

أبانوفر : لا بأس . لا بأس (مخاطبا الجماعة) : هل اتفقتم ؟

أبيب : القائد ديوجين .

أبانوفر : مرحبا . مرحبا يا سيدى بومبيان .
(بومبيان ينظر اليه فى استعلاء ولا يجيبه)

فيلامون : والقائد سويروس .

أبانوفر : من لا يعرف البطل سويروس ؟ هل اتفقتم ؟

أبيب : على كل شيء .

فيلامون : والعلم المصرى يرفرف الآن على البرج .

أبانوفر (يدور حولهم ويتفحصهم بنظرة مستفهمة) : اذن قبلتم .

ديوجين : نعم قبلنا .

أبانوفر : ستذهب فورا الى آخيل .

ديوجين : الى آخيل ؟ لا أنا باق هنا مع رجالى .

بومبيان : ورجالى يدافعون عن القصر .

أبانوفر : لا ، لا ، الرومان يذهبون الى آخيل .. فورا .

ديوجين : قلت أنا باق هنا مع رجالى .

أبانوفر : وأنا قلت رجالى يدافعون عن القصر .

بومبيان (متهكما) : رجالك .. لا تحدثنا عن رجالك . جماعات من الغوغاء يحملون المدى والبلاطى ..

أبانوفر (هائجا) : ومع ذلك هزموكم .. لن أسمح .. لن أسمح (يحدث اضطراب بين الحاضرين)

فيلامون : اهدأ يا أبانوفر . سيدى ديوجين على حق .

أبانوفر : اسكت . أنت قاصر .

أبيب (يتدخل) : الحصار بدأ يا أبانوفر ، هذه ليست معركة للمدنيين .

أبانوفر : عرفنا .. عرفنا . حصار أو لا حصار ، لابد من تغيير القيادة .

بومبيان : نحن لسنا أسرى يا أبانوفر .. نحن جئنا ..

أبانوفر : باختياركم .. نعم .. نعم (يفكر)

سويروس : نحن رومان . دقيانوس خرج على روما فخرجنا نحن على دقيانوس

أبيب : سيدى ديوجين على حق .

أبانوفر : سلم العلم يا سويروس .

بومبيان : لا .. علم الرومان يبقى فى يد الرومان .

سويروس : لسنا أسرى ، نحن أنصار .

أبانوفر : أنصار . أنصار . نحن هنا رعايا .. كلنا رعايا لآخيل امبراطور الاسكندرية .

ديوجين : فليكن .. فليكن .. لن نضيع الوقت فى الجدال .

سويروس : آخيل سيد البلاد . سأسلمه العلم بنفسى .

أبانوفر . وأين الباقون ؟

ديوجين : أبحروا الى دقيانوس .

أبانوفر : أبحروا الى دقيانوس ؟ ماذا اسمع !

فيلامون : نعم ، ابحروا الى دقيانوس

أبانوفر : كم عددهم ؟

فيلامون : ارمان وروفينوس وعشرة ضباط وثلاثمائة جندى ، الباقون فى البرج .

أبانوفر (غاضبا) : لماذا لم تقبضوا عليهم ؟

بومبيان (ساخرا) : نقبض عليهم ؟ انهم رومان . أحرار . اختلفنا فى الرأى .. هم يخدمون روما تحت راية دقيانوس ، ونحن نخدم روما تحت راية آخيل .

أبانوفر (ثائرا يتجول فى الغرفة) : الأفاعى .. الأفاعى .. مارتا كانت على حق.. رومان يخدمون روما.. تحت راية آخيل (مهددا بقبضته) أبيب ! فيلامون ! اقبضوا عليهم . ليس هنا رومان . آخيل نفسه يخدم مصر تحت راية مصر ..

بومبيان : خديعة ! خديعة ! نحن أسرى !

(الضباط الرومان يبادرون الى سيوفهم فيشهروتها)

أبيب (هادئا) كل سيف فى غمده . انت حاد الطبع يا أبانوفر .

أبانوفر (يقدر الموقف رائحا غاديا) : عفوا . عفوا . أبيب

أبيب (يتقدم) : نعم يا أبانوفر .

أبانوفر : اتستطيع أن تدافع عن البرج ؟

أبيب : بالمدنيين ؟

أبانوفر : حتى يأتى آخيل ..

أبيب : متى ؟

أبانوفر : هو فى طريقه الينا .

أبيب : نعم . أستطيع .

أبانوفر : وانت يافيلامون . أنت تدافع عن الشاطىء . عن واجهة القصر (لأبيب وفيلامون) اجلوا الرومان عـــن القصر . المصريون يدافعون عن الساحل والرومان ينسحبـــون الى الداخل . لا يبقى فى راس التين الا المصريون . هذه اوامر تنفذ بمنتهى الدقة . من يقاوم اذبحوه . مزقوه .

سويروس : اسمع يا أبانوفر : أنت جاهل . انت لا تفهم شيئا فى فنـــون الحرب . ألا تعرفأن الـروماني الواحـد بخمسـة مصريين ؟ تحمل المسئولية . ستسقط الاسكندرية بعـــد أسبوع واحد من الحصار. ولولا اننا نقاوم الطاغيةدقيانوس لكان لنا معك شأن آخر . انت تنسى أنك رجل مطارد .. أليس هناك امر بالقبض عليك ؟ نحن لا نتعرض لك فى هذا الوقت الحرج لأنك رجل .. مفيد .. حرصا على شعور الغوغاء .

أبانوفر (فى ملاطفة) : لا تغضب ياسيدى القائد سويروس ... افهم الموقف .. انها الضرورة .

سويروس : اية ضرورة ؟

أبانوفر : فلنتكلم بصراحة · أنتم رومان ونحن مصريون، أنتم حلفاء، ولكنكم .. رومان .. ربما اختلفتم الآن مع دقيانوس ، ولكن غدا .. ربما اصطلحتم مع دقيانوس . كيف أترك القصر فى أيديكم ؟ لا القصر ولا أسوار المدينة . القصر والأسوار فى يد المصريين .

سويروس : باختصار .. هل نحن أسرى ؟

أبانوفر : لا ، لا .. (معاتبا) أنت شكاك يا سويروس (يمد له يده) كلمة شرف .. من شرف مصر . خذ الحامية الرومانية وانسحب بها الى قصر آخيل .. وهو يتصرف بك كما يشاء . ربما طلب اليك أن تدافع عن القصر الملكى .. أو عن قلب المدينة . كل شيء الا الشاطىء والأسوار . هل رأيت ؟ أنت حر طليق . انت ورجالك . لا تتحدث اذن عن غدر المصريين . قلت كلمة شرف . اترفض يدى ؟

سويروس (غاضبا) : نعم .. أرفض يدك .

ديوجين : بومبيان كان على حق .

سويروس : لا ، لا . آخيل سيضع كل شيء فى نصابه (يهم الرومان بالخروج)

أبانوفر : ديوجين . قبل أن تذهب . أتعرف دقيانوس ؟

ديوجين : نعم .

أبانوفر : شخصيا ؟

ديوجين : شخصيا . لماذا تسأل ؟

أبانوفر : أتعرف انه ماكر ؟

ديوجين : ربما ..

(فيلامون يقترب منه ويهمس فى أذنه)

أبانوفر : قل لسيدك آخيل (يفكر) لا داعى .. لا داعى .. هيا انطلق قبل أن ينصب حولك حبائله (يهمون بالانصراف) سيدتى فاوستينا تنتظر ..

(ينصرف الرومان وأبيب من الباب الأيسر . يهم فيلامون وفيلامينة بالانصراف فيستوقفهما أبانوفر . يسمع نفير)

أبانوفر : لحظة يافيلامون ..

فيلامون : تحت أمرك ..

أبانوفر : فى طريقك .. سيدتى فاوستينا .. ضمها مع أسرى الحرب .

فاوستينا (تبصق احتقارا دون أن يخرج لعاب)

أبانوفر (بهدوء) : هى رومانية .. وسنمنحها امتيازات الأعداء .

فاوستينا (تشير بيدها احتقارا)

أبانوفر (بتهكم) : واذا استمرت فى احتقارنا فسنعاملها معاملة المصريين .. الخونة .. لا تنس انها زوجة آخيل ، وآخيل الآن .. مصرى .

(يهم فيلامون بالخروج مع فاوستينا من الباب الأيسر . فيلامينة تتبعهما)

ابانوفر (يستوقفها) : الى أين يافيلامينة ؟

فيلامون (قبل أن يختفى) : اتركها فى حراستى .

ابانوفر : هيا انصرف (يختفى فيلامون) .

فيلامينة : أنا اتبع أخى .

ابانوفر (جادا) : هذه حكمة .

فيلامينة : اتركنى الحق بأخى .

ابانوفر (متهكما) : من علمك هذه الحكمة ؟

فيلامينة : اتركنى أذهب .

ابانوفر : هل علمك أرمان درسا فى حب الوطن ؟

فيلامينة (فى تحد) : أنت مخطىء يا أبانوفر ، انا اردت اللحاق بأرمان . ولكن الجنود ثاروا وقالوا : لا نساء فى السفينة .

آبانوفر : آه .. هذا هو السبب (يتنهد فى تهكم) الحب .. دائما هو السبب .

(يدخل آخيل ومعه مانيتون وحرس . أبانوفر ينحنى محييا وفيلامينة تحيى)

آخيل (مبتسما) اسمع كلاما عن الحب .

أبانوفر (متهكما) : مولاى الامبراطور . فيلامينة بنت شجاعة فيلامينة تعترف .. ستعترف أمام المحكمة (بلهجة قاسية) بالخيانة !

فيلامينة (فى كبرياء) : نعم سأعترف . افعلوا ما تشاءون . أنت تسمى هذا خيانة . متى كان الحب جريمة . أنا لا أفهم

فى السياسة . قتال . قتال . قتال . لا أرى حولى الا القتال . مصر . روما . مصر . روما .. كل هذا لا يعنينى .. بعد أن هربنا ، اختبأنا فى الكنيسة ، ارمان قبل الصليب، تناول الأسرار المقدسة : تزوجنا أمام الكاهن ، كنا نحلم بالأطفال . بأسرة سعيدة . بيتى هو عشى .. مملكتى ، وطنى .. رومانى ، مصرى .. ماذا يهم ؟ هو انسان ، هو حبيبى ، وهو يحبنى .. هذا يكفى ، يكفى ، يكفى ..

أبانوفر (بلهجة القاضى) : الحب ليس حبا الا اذا باركه الله .. عدو الوطن عدو الله .

مانيتون : فيلامينة أخطأت .

أبانوفر : بالعدل ستحاكم .

مانيتون : لا ، لا . أنا التمس حياتها من مولانا آخيل .

أبانوفر : قلت بالعدل ستحاكم .. أمام محكمة الشعب .. لتكون عبرة للخونة ..

مانيتون : ابانوفر ! أتتركها للرعاع ؟!

أبانوفر (ينظر الى السماء) : أتركها للعدالة .

مانيتون : ربما كان لآخيل رأى آخر .

أبانوفر : رأى آخيــــل من رأى الشعب (آخيل رائح غاد يفكر فى امتعاض)

مانيتون : من يحكم البلاد؟ أبانوفر أم آخيل ؟

أبانوفر : الشعب يحكم البلاد .

فيلامينة (متهكمة) وأبانوفر يحكم الشعب (تتعذب فى صمت وكرامة) : افعل ما تشاء .. سأقف أمام الشعب واصرخ

بأعلى صوتى : نعم . اقتلونى . أنا مجرمة .. وجريمتى هى الحب ! الحب لا يعرف الأوطان . الحب لا يعرف الأديان. الحب لا يعرف الأسمال والارجوان . الحب لا يعرف ما رسم الانسان . لأنه من جوهر الرحمن .

أبانوفر : هيا خذوها ... (يدخل حارس . يهمس أبانوفر فى اذنه)

الحارس : نعم . نعم . بالتأكيد .

أبانوفر : اتبعيه يافيلامينة .

فيلامينة (تنظر اليه فى ارتياب) : الى أين ؟

أبانوفر : هو يعرف . لا تخافى ..

فيلامينة : سأنتظر مع مولاى آخيل .

أبانوفر : لا . لا . (آخيل يدير ظهره ويقف كالتمثال)

فيلامينة : سأنتظر حتى تأتى مارتا .

الحارس (يجذبها من ذراعيها) : هيا بنا

فيلامينة : لا ، لا ...

الحارس (يجذبها بخشونة نحو الباب الأيمن) : هيا بنا ... هيا بنا ..

فيلامينة : فليكن دمى لعنة عليك ياأبانوفر .

أبانوفر (بصوت خائف حنون) : لا تخافى .. لا تخافى .

فيلامينة (مستغيثة وهى تخرج من الباب الأيمن) : مارتا ! مارتا ! مارتا !

(يتلاشى الصوت تدريجيا . تدخل مارتا على عجل من الباب الأيسر وقد بلغتها أصداء الاستغاثة. يثبت بصرها على الباب الأيمن)

مارتا : هذا صوت فيلامينة ..

أبانوفر : نعم .

مارتا : ماذا فعلت بالبنية ؟

أبانوفر : لا شيء .

مارتا : ولماذا تستغيث ؟

أبانوفر : لأنها ذاهبة الى السجن .

مارتا : أبانوفر !

أبانوفر : قلت كل شيء يجرى فى عدالة .. لا تخافى .

مارتا (حائرة تفرك يديها) : اطلق سراح فيلامينة .

أبانوفر : دعينا من هذا .

آخيل (فى برود) : هل انتهيت.؟

(مارتا تتنبه الى وجود آخيل فتحيى تحية عميقة قائلة مولاى آخيل)

أبانوفر : لا . لا .

آخيل : تكلم .

أبانوفر : سيدتى فاوستينا .

آخيل (بحركة اضطراب) : أين هى ؟

أبانوفر : قبضنا عليها

آخيل (يخفى وجهه فى راحتيه لحظة ثم يقول بصوت خفيض) :
أرسلها الى القصر الملكى .

أبانوفر : هى مع الأسرى .

مانيتون : ابانوفر ! انها لا تزال .. جلالة الملكة .

أبانوفر : لا ، لا . انها لم تحضر حفلة التتويج . رفضت تاج
الاسكندرية . هربت للرومان .

مانيتون : اذن سلمها لزوجها آخيل .

أبانوفر : نحن فى حالة حرب . مكانها مع الأسرى .

مانيتون (مهددا) : أيها اللعين ..

آخيل (فى ألم بالغ) : كفى . كفى . أبلغه الأخبار يامانيتون .

مانيتون : آخر الأخبار : حامية الرومان فى أبو صير استسلمت
للامير تادرس ، وحامية قفط استسلمت للامير تيماجين .
أربعون الفا استسلموا فى قفط وأبو صير .

أبانوفر : تباركت يا رب ! كل البلاد فى أيدينا . أخيرا تحقق ..
الحلم الكبير (يتمتم بصلاة قصيرة)

آخيل : هل صحيح ما سمعت عن ديوجين وسويروس ؟

أبانوفر : صحيح .

آخيل : كيف تجليهم عن البرج ؟ الا تعلم أن الأسطول ..

أبانوفر : نعم .. ولكنهم رومان .

مانيتون : لماذا لم تنتظر أوامر مولانا آخيل ؟

ابانوفر : وهل اتركهم لمساومات دقيانوس ؟

آخيل : ومن يدافع عن القصر ؟

ابانوفر : أيبب وفيلامون .

مانيتون : برعاع الاسكندرية ؟

آخيل (لمانيتون) : دعه وشأنه . كل المدنيين يجلون عن القصر . سأقود الجيش بنفسي . هيا يا مانيتون .. هيا (في عتاب ومرارة) ابانوفر ملك غير متوج (حارس ينفخ فى النفير عند الباب الأيسر ، ينصرف آخيل ومانيتون من نفس الباب)

مارتا : ابانوفر .. آخيل غاضب عليك .

ابانوفر (بعد اطراق) : ربما ، ربما .

مارتا : ماذا كان ينتظر ؟ انت تؤدي الواجب

ابانوفر : هو حانق بسبب فاوستينا .

مارتا : انه يغار من سلطتك .

ابانوفر : لا ، لا . سيشكرني حين يعرف كل شيء . فلنشرب نخب النصر . (يملأ كأسين كبيرتين مصنوعتين من الفضة من الدنان القائمة فوق المائدة ويعطى كأسا لمارتا . يرفع كأسه) فى حب مصر (يشرب) .

مارتا : فى حب مصر (تشرب)

ابانوفر (يشرب) فى حب آخيل .

مارتا (تشرب) : فى حب قسطنطين .

ابانوفر (يبدو عليه الألم . يشرب) : فى حب مارتا .

مارتا (تشرب) فى حب ابانوفر .

أبانوفر (يتنهد فى حزن) أبانوفر الحزين .

مارتا (عاجبة) : وماذا يحزن أبانوفر ؟

أبانوفر (يشرب) : وهذه لمارتا .

مارتا (تشرب عاجبة) : وهذه لأبانوفر .

(أبانوفر يبتعد عنها . تتجول عيناه فى الفراغ وفى السقف)

أبانوفر : انه يعود ..

مارتا (لا تفهم) : من يعود ؟

أبانوفر : هو . هو . اغرب عن وجهى . هيا انصرف

مارتا (حائرة) : أتكلم أحدا ؟

(أبانوفر يحملق فيها)

أبانوفر : مارتا ؟

مارتا : مالك يا أبانوفر !؟

أبانوفر : هل أنت سعيدة ؟

مارتا : سعيدة ؟ نعم ، نعم ، لماذا تسأل ؟

أبانوفر (يبتعد عنها) : لا داعى . لا داعى ..

مارتا (تقترب منه فى عطف) : أتشكو من شىء ؟

(أبانوفر يحملق فيها ولا يجيب)

مارتا : لماذا تحملق فى هكذا ؟

أبانوفر (يمسك بدراعها فى عنف) : أتعرفين ؟..

مارتا (تصرخ ضاحكة وتخلص ذراعها) : انت تؤلمنى .

أبانوفر : انك أبدع راقصة فى الاسكندرية ؛

مارتا (مبتسمة) : صحيح ؟ أنا نسيت .

أبانوفر : وأعظم فنانة ؟

مارتا (تتنهد فى عتاب) : أوه .. لا ترقظ الماضى .

أبانوفر : وأجمل امرأة .

مارتا : ابانوفر !

أبانوفر : وانك فى ثياب الرقص .. أجمل منك فى هذه الثياب..

مارتا : هذيان ! هذيان ! عم تتحدث ؟

أبانوفر (يمسك وجهها براحتيه لحظة) كالياقوتة الحمراء تشع لهيبا فتوقظ الأحلام الحمراء .

مارتا : لست أفهم . لست أفهم . الرقص . الفن . الجمال . أبانوفر الراهب يلتفت لهذه الأشياء ؟

أبانوفر (مخاطبا الفراغ) : كالماسة السوداء تنشر الليل المخيف فيفر أمامها الضياء .

مارتا (غاضبة) : لماذا تذكرنى بالخطيئة ؟ هل نسيت ؟

أبانوفر : ماذا ؟

مارتا : أنى سأدخل الدير !

أبانوفر : مستحيل .

مارتا : كيف تمنعنى ؟

ابانوفر : لن يقبلوك .

مارتا : الله قبل توبتى .

ابانوفر : ولكن الناس لن يقبلوها .

مارتا : سأهيم على وجهى فى البرارى .

ابانوفر (يمسك بذراعها) : وانا سأهيم معك فى البرارى .

مارتا (مشتبهة فى أمره) : ماذا تقول يا أبانوفر ؟

ابانوفر : مارتا ! اسمعنى . أريد أن اقول شيئا (يتلفت حوله) لك وحدك (يترك ذراعها) .

مارتا : تكلم ..

ابانوفر : يجب أن تفهمى ..

مارتا : سأفهم كل ما تقول .

ابانوفر (يشير الى قلبه) : أنا .. احبك ..

مارتا : ماذا تقول ؟

ابانوفر : تعالى . اقتربى منى .. دعينى ألمس جسدك الجميل .. دعينى أتنفس من انفاسك (يأخذها بين ذراعيه ويقبل ذراعها فى كل موضع)

مارتا (تفر منه غاضبة) : اليك عنى

أبانوفر (مستعطفا) : لا تتركينى . لا تتركينى . ان تخليت عنى انتهت حياتى .. انت امرأة مجربة . عرفت الحياة . عرفت رجالا كثيرين . أنا لم أعرف امرأة واحدة . هل تفهمين ؟ هل تفهمين ؟ لم أعرف امرأة واحدة . رأيت ألف امرأة ، ولم أحفل بواحدة .. حتى رأيتك ترقصين فى قصر

آخيل . عطرك أيقظ فى نفسى شيئا مدمرا . مدمرا كالايمان نعم .. الايمان يدمر ، يأكل القلب . ينهش العقل ، يفرى الجسد . هكذا الخطيئة ، تدمر ، تدمر كالايمان (يطاردها ليحتويها بين ذراعيه) .

مارتا : اياك أن تقترب (ساخرة) ماذا تعرف عن الايمان ؟ (تشير الى قلبها) انه ينزل على القلب بردا وسلاما .

أبانوفر : تعالى بلا خطيئة ! بلا خطيئة ! من أجلك أخلع مسوح الرهبان . سنتزوج . آه ! الحب ! من قال ان الحب خطيئة ..

مارتا : ماذا تعرف عن الحب يا أبانوفر ؟!

أبانوفر : علمينى . علمينى .

مارتا : أنت أوصدت أبواب الرحمة .. ثم تتكلم عن الحب ؟ اطلب التوبة ، فتقول : لا غفران ! لا غفران ! فيلامينة تطلب العفو فتقول : العدل فوق الرحمة !

أبانوفر (ينسى نفسه) : كلمة واحدة منك ترد لها الحياة .

مارتا : تعالوا .. اشهدوا .. أبانوفر .. البطل العظيم ..يساوم على حياة خائنة !

أبانوفر (يطأطىء رأسه خجلا) : اصفحى عنى .

مارتا : صفحت عنك ، فاصفح أنت عن الآخرين .

أبانوفر : نعم ، نعم . فى يدك خلاصى . فى يدك خلاصى .

مارتا : اهدأ يا أبانوفر .

أبانوفر : متى نتزوج ؟

مارتا : أنا اخترت حبيبى .

ابانوفر (فى لهفة) : حبيبك ؟ من حبيبك ؟

مارتا : المسيح .

ابانوفر (ثائرا) : هذا تجديف . انه قسطنطين ، ياعاهرة .

مارتا (تعض شفتها) : نعم ، قسطنطين . وأنا فخورة بحبه ، جاء كالطيف ومضى كالطيف ، فخورة ، لأن حبه الطاهر هدانى الى الحق ، اما حبك الآثم فيدفع بك الى هاوية ما لهـــا قرار .

أبانوفر : العاهرة ! العاهرة !

مارتا (بصوت مجلجل) : تعالوا اشهدوا .. أبانوفر .. الراهب العظيم .. يتمرغ فى الأوحال (تخرج ثائرة من البـــاب الأيمن)

أبانوفر (بعد لحظة صمت) : يا الهى ! ماذا فعلت ! ماذا فعلت ! (كمن يكلم نفسه) أنا خدمت الله .. خدمت الناس .. ولا أطلب الا حقى فى الحياة !

(ستار)

الفصل الثالث

قاعة العرش بقصر آخيل ، امبراطور الاسكندرية ، أعمدتها فرعونية مذهبة التيجان ، البابان ،على اليمين وعلى اليســـار ، فرعونيان عاليان يعلو كلا منهما العقاب حوريس ويحيط بكل منهما خطوط مذهبة . السقف نقشت عليه أبراج السماء نظير الأبراج الموجودة فى معبد دندرة . شموع مشتعلة فى أعواد اللوتس النحاسية تنير القاعة من كل الأركان . نافذتان جسيمتان فى الصدر عـلى يمين العرش وعلى يساره من زجاج مغلق عليه نقـــوش ملونة . العرش فى الصدر عال ومذهب يرتقى اليه بدرجات كستها أبســطة حمراء من أنفس الأرجوان . وفوق العرش علق تاج مينا ، تاج الوجهين : الأبيض والأحمر . قطع أثاث فرعونية قليلة مبثـوثة هنا وهناك . وعلى يمين العرش جلست تفيته فى رداء فرعـونى وفى يدها قيثارة فرعونية جسيمة . وعلى يسار العرش جلست مارينا فى زى يونانى وفى يدها قيثارة يونانية صغيرة . على حين يسمع صوت ناى حزين من قاعة الاحتفالات المجـاورة ، تتخلله دقات طبل بعيد عميق حزين . هاتور جالسة على أريكة فى زى فرعونى بيدها منديل تفركه فى تفجع صامت) .

تغيتة (تنشد وهى تعزف) :

كلما ناحت مـع الليـــل الرياح
غنت الطـير أغانيهـا الحزينــة
كلما أصبـح فى الدنيـا صـباح
غمغم الموج ونادى : فيلامينــة

مارينا (ترد عليها) :

ذكرياتى مثـل أشـجار الخريف
نفضت أوراقها روحى السجينـة
ذوت الأحـلام فى قصرى المنيـف
فبـكت عينى وناجت فيلامينــة

تغيتـــــه :

ذوت الأغصـان فى روضـة حبى
وبكى الورد بآمـــاق سخينـــة
لم يغن الطـير فى بسـتان قلبى
فبـكى قلبى ونادى فيلامينـــة

مارينـــــا :

يا بنات البحـر ان غاب شراع
كل أحلامى عـلى ظهـر السفينـة
أقلعت روحى بهـــا دون وداع
فمتى ترجـع روحى فيلامينـــة

تفيتــــــــــه :

يا بنــات النيـــل ان غاب القمــر
ايقظـوا بالدف عشــاق المدينــــة
لن يرى البـــدر هزيع او ســحر
بعــد ان ولى وغابت فيلامينـــــة

هاتور : كفى يا بناتى .. كفى يا بناتى .. ما أحيا البكاء ميتـا ولا ارجع فقيدا !

تفتية : لم يبق الا أمل واحد .

مارينا : أن يضرب آخيل .

تفيتة : ضربة واحدة .

مارينا : فيريحنا من هذا الذئب المسيحى .

تفيتة : بأمره ذبحوا فيلامينة .

مارينا : كما تذبح الحمامة الوديعة .

هاتور : قربان مقدس فى هيكل الحب (تتجه الى الباب الأيمن وتصفق مرتين وتنادى : « بخور ! » يدخل عبد حامـلا مجمــرة يتصــاعد منها البخـور ويطوف بأرجـاء القاعة ثم ينصرف (هاتور تبتهل)ايزيس! يامولاتى! ياذات الحجاب قدسى روحها الطاهرة ، قدسى جسـدها الممزق . اجمعى فى الارض أوصالها كما جمعت أوصال زوجك الحبيب . ارفعى روحها الى السماء لتضىء كما تضىء النجوم .. بشـفاعة زوجك الجميل أوزيريس خنت أمنتى ، ملك حـابو وسـيد اهل الغرب . آمين .

مارينا : استجب يا زيوس لدعاء افروديت .

تفيتة : استجب يا بتاح لدعاء طفنوت الزهراء .

(يدخل آخيل ، امبراطور الاسكندرية ، فى زى فرعونى ؛ ولكن فوقه عباءة الملك الارجوانية ، يتبعه مانيتون وهو لا يزال محافظا على زيه اليونانى ، وأفريكان وابيب وفيلامون فى زى فرعونى ، وسويروس وديوجين وبومبيان فى زى رومانى ، تنحنى النسوة بالتحية حتى يمسسن الأرض . وينحنى الرجال عندجلوسه على العرش. آخيل يشير بيده فيعتدل الرجال وتنهض النساء) .

آخيل (متسائلا بعد أن شم البخور) : فيم البخور ؟

هاتور : كنا نصلى يا مولاى .

آخيل (عاجبا) : فى قاعة العرش يا هاتور ؛

هاتور : على روح فيلامينة يا مولاى

(آخيل يهز رأسه آسفا . فيلامون يخفى وجهه فى راحتيه يسود وجوم عميق)

آخيل : من منكم شهد المحاكمة ؟

هاتور : كلنا يا مولاى .

مانيتون (فى نفس الوقت) : كنت هناك مع فيلامون

آخيل : ماذا تم ؟

مانيتون (جامدا لا يجيب وقد جحظت عيناه)

هاتور : تكلم يا مانيتون ..

مانيتون : ماذا اقول ؟

هاتور (تمشى فى القاعة كالسائر فى نومه المحدث نفسه) : كانت القاعة جرداء .. فى الثكنات .. فى معسكر قيصر .. صفت بها مائة أريكة خشبية . وسرعان ما تدفقت الجموع وامتلأ المكان بالغوغاء الثائرين ، واختلط هدير الرجال بضحكات النساء الفاجرة وصراخ الصبية ، واختنق الجو بكريه الروائح . وعلى المنصة جلس تسعة قضاة كأنهم تاسوع من الأبالسة خرجوا من بطن الجحيم : الفران والطحان والنجار والحمار والصياد والقواد والاسكافى والحوذى . ورأيت بينهم امرئ ساقى القصر الذى طردناه منذ عام يا آخيل ، وكان يراس هذه العصابة التى يسميها أبانوفر محكمة الشعب .. (تسكت)

تفيتة : ولما دفع الجند فيلامينة فى قفص الاتهام رفع الرجال قبضاتهم مهددين وعلا صراخ النساء بأفحش السباب وبذىء النكات ، حتى احمر وجه فيلامينة واغرورقت عيناها بالدموع . وابتسم امرى ابتسامة الرضا ، ووقفت بغى معروفة لا يجهلها رومانى ، اسمها توتا ، تمثل الاتهام . قالت ان الشعب يتهم فيلامينة بالخيانة العظمى ثلاث مرات ، مرة لأنها تزوجت من الأعداء ، ومرة لأنها سهلت الفرار لواحد من الأعداء ، ومرة لانها هربت معه الى معسكر الاعداء . وكانت فيلامينة تقف رافعة الرأس وتنظر الى الجمع باحتقار ووقف قس مسيحى يمثل الدفاع ، وأخذ يتكلم طويلا عن رحمة الله وابنه المخلص ويقول كلاما غير مفهوم عن الزواج الذى يعقد فى السماء فلا يحله من فى الأرض . والقضاة يهزون رءوسهم كالبله ويتداولون . ثم وقف امرى الساقى فساد صمت عميق . وقال بصوت جهير : « حكمت المحكمة بالاعدام على فيلامينة بنت أورى بن أنوب من حى باكوس وصيفة فاوستينا عدوة الوطن . » أما فيلامينة فرفعت

وجهها الى السماء ورسمت علامة الصليب . وخرج بهـــا الجنود بين تهليل الغوغاء وسخرية الرعاع .

هاتور : وفى الليل ذهبنا الى السجن لزيارتها فعلمنا أنهم أجهزوا عليها عند الغروب ، وأرسلوا جثتها الى أخيها فيلامون .
(كل الأنظار تتجه الى فيلامون الذى يقف جامدا كالتمثال الشاحب وهو يتمتم : قضاء الله ! قضاء الله !)

تفيته (تغنى نفس اللحن ومارينا تعزف على الأوتار) :

غابت الشمس وراء الأفـــق
أضرمت فيــه حــريق الشفق
هكذا قلبى اكتوى من حرقى
منذ غابت فيــه شمس فيلامينة

مارينا : كلمة واحدة من الراهب كانت تنقذ حياتها .

مانيتون : ابانوفر يردد كلمة واحدة كالببغاء : العدالة .. الوطن . العدالة .. الوطن .

بومبيان : هذا مصير فاوستينا يا آخيل .

آخيل (يشيح بوجهه ألما) : نعم . نعم .

سويروس : لابد من انقاذ سيدتى فاوستينا .

أفريكان : انها فى سجن النجمة .

بومبيان : رهينة .

أفريكان : لا . تنتظر المحاكمة .

سويروس : متى ؟ متى ؟

أبيب : غدا .

آخيل : ما العمل ؟ ما العمل ؟

سويروس : محال أن نتركها للغوغاء .

بومبيان : نخرج بمائة فارس وننقذها من السجن .

مانيتون : لتحاكم فى بلاط آخيل ؟

سويروس : فليكن .. لتحاكم فى بلاط آخيل .

مانيتون : تدبر الأمر يا آخيل ، ربما قامت مذبحة .

آخيل (فى لهفة) : بلا دماء ؟

سويروس : سنحاول . سنحاول .

تفيتة (تلقى بنفسها على درجات العرش وهى تنتحب) : اقتله يا مولاى .

آخيل : لا . لا (يأخذ بيدها وينهضها ويهدىء من روعها) : اهدئى اهدئى يا تفيته . اجلسى (تعود الى مكانها) .

أفريكان : انه يصول ويجول فى الاسكندرية كأنه ملك البلاد .

ديوجين : ويحكم فى راس التين كأنه ملك البلاد .

بومبيان : لماذا لا تقبضوا عليه ؟

آخيل : لا ، لا . لماذا لا نواجه الواقع ؟ هو فعلا ملك البلاد .

مانيتون : اذا قبضنا عليه قامت ثورة على العرش ، ونسى الناس حصار دقيانوس على الاسكندرية .

ديوجين (مستنكرا) : آخيل .. عاجز !

آخيل : افهم الموقف يا ديوجين .

بومبيان : محال أن نتركها لعدالة المصريين . بالعدالة الرومانية تحاكم .

أبيب (غاضبا) : مولاى آخيل !

آخيل (مهدئا) : لا داعى . لا داعى .

أبيب : اسمع يا بومبيان . اسمع يا ديوجين . نحن هنا مصريون. كلنا مصريون . دومتيوس دومتيان انتهى . يجبأنتنساه. مولانا آخيل مصرى . أتفهم ذلك ؟ وعدالته عدالة مصرية. أنتم هنا رومان فى خدمة مصر . أتفهم ذلك ؟ليس فى القصر عدالة رومانية . ان كنت لاتفهم جئنا بأبانوفر ليفهمك .

ديوجين (متدخلا) : فليكن ، فليكن ..

مانيتون : اهدأ يا أبيب .

بومبيان (يجرد سيفه) : سآتيك برأس الراهب ابانوفر . انا رومانى ، ولا حرج على الرومان .

فيلامون (يجرد سيفه ويلتحم ببومبيان) : قف مكانك . كلنا نموت ولا تمس شعرة من رأسه .

(الذهول يصيب الجميع . هاتور تدق صدرها وتقول : « فيلامون ! » آخيل ينهض من عرشه صائحا : «فيلامون !» تفيتة تشهق وتنادى : « فيلامون ! » يتدخل سويروس وديوجين للفصل بينهما .)

فيلامون (كالذاهل) : ماذا جرى ؟

آخيل : اهدأوا . ألا يكفى ما نحن فيه من متاعب ؟

أبيب : فيلامون على حق . هؤلاء السادة الرومان لا ينسون روما وهم وقوف أمام عرش مصر . انهم يثيرون الفتنة .أبانوفر رجل فظ، كلنا يعرف ذلك، ولكنه صارم فى الحق . فيلامينة

كانت من دينه .. فهل اعفاها من العقاب ؟ تكلم يامانيتون .. يوم اعدام فيلامينة .. كيف وجدت الراهب ؟ (آخيل يجلس) .

فيلامون : دعني اتكلم . كان يبكي كالنساء . كانت دموعه تجري على لحيته الكثةوتنهمر على بردته. كان لايقول الاشيئاواحدا ارحمها يا رب . خذها الى جوار مريم . كاد يجن . اخذ يجادل ربه ويقول أشياء تشبه الهذيان . سمعناه يقول : يا الهى ! لماذا نزلت في بنى اسرائيل ولم تنزل في هذا الوادى المقدس ؟ محال أن يكون المسيح يهوديا . كان يصرخ : الله نزل في مصر ! الله نزل في مصر ! كل ذلك ودموعه تجري على لحيته الكثة السوداء وتسيل على بردته . كاد يعود الى آلهة آبائه : يقول مريم .. فنسمع ايزيس . يقول : المسيح ، فنسمع أوزيريس .. ثم يسقط مغشيا عليه ، ولم يفق الا بعد أن جاءت مارتا مع الظلام وغسلت قدميه بالطيب ثم انصرفت مع الصباح .

مانيتون : كل هذا صحيح يا مولاى ..

هاتور (كأنها ترى معجزة) : يا ايزيس ! الراهب .. له قلب !

تفيتة (تجهش بالبكاء المتقطع) : لم نكن نعلم . لم نكن نعلم .

أبيب : أين كنا لولا أبانوفر ؟ .. ثمانية شهور طوال وهو يصد الحصار .. بالرعاع والغوغاء يصد الحصار .. أطول حصار في التاريخ . في الميناء . على الأسوار . ثمانية شهور طوال ودقيانوس حائر لا يجد منفذا الى المدينة ، وكلما أنزل راس رمح على الشاطىء قطعه أبانوفر كما تقطع أرجل الأخطبوط ..

(جلبة شديدة في الخارج . يدخل ضابط مصري أشعث

المنظر وهو يلهث ، وينحني أمام آخيل على عجل ثم ينهض مسرعا)

الضابط : أخذوها .. أخذوها ..

آخيل : أخذوا من ؟

الضابط : أخذوا مارتا .

آخيل : من أخذوا مارتا ؟

الضابط : الرومان . جنود دقيانوس (آخيل ينهض منزعجا)

أصوات : كيف ؟
كيف ؟
متى

الضابط : كانت فى مكانها تحمى البرج فى رأس التين . شدد الرومان الهجوم . أرسلت الى أبانوفر تطلب النجدة . ولكن أبانوفر أبى أن يرسل اليها جنديا واحدا . كان واقفا على رمال كليوبترا يخطط بعصاه أشكالا غير مفهومة لما حملوا اليه النبأ ، فمضى يخطط بعصاه كأنه لا يسمع مايقال. ولما ألحوا عليه التفت الى الراهب آريوس وقال : ارسل دامون الارمنتي مع عشرة آلاف الى أبو قير ، وارسل فريسكا مع عشرة آلاف الى ترعة نوكراتيس وراء أسوار المدينة . هناك انتظروا أشياء . فلما عدنا وجدنا أن الرومان استولوا على البرج وأسروا مارتا وخمسمائة من الحرس الوطنى وأبحروا بهم الى قطع الأسطول .

آخيل : والبرج لا يزال فى يد الرومان ؟

الضابط : البرج لا يزال فى يد الرومان .

أفريكان : واين أبانوفر ؟

الضابط : بعد ذلك لم نعثر له على أثر .

آخيل : مارتا المسكينة .. أسروها .

بومبيان : هذا جنون . قلت لكم ان الرجل مجنون !

سويروس : هذا لا يحتمل .

ديوجين : الى متى تسكت يا آخيل ؟

بومبيان (يقهقه ساخرا) : أبانوفر .. بعد الرعاع .. يقود الجيش ! الراهب المجنون يتولى الأعمال العسكرية !

آخيل (ينزل درجات العرش غاضبا) : من أعطاه السلطة؟ أفريكان! الحق بدامون الارمنتي . بأمرى يعود لحماية رأس التين .

أفريكان : على أسرع جواد .

آخيل : وأنت ياديوجين ، الحق بفريسكا . بأمرى يعود الى رأس التين . الكل يدافع عن راس التين . لابد من استردادالبرج اذا ضاعت رأس التين ضاعت الاسكندرية . انتهى كل شيء .

ديوجين : كلمح البرق يا آخيل .

(يخرج أفريكان من الباب الايسر ثم يخرج بعده ديوجين . الضابط يحيى وينصرف من الباب الأيمن . هاتور تنفجر بالبكاء الصامت وتغنى ، بينما تفيتة تعبث بقيثارتها)

هاتور : الوداع يابنيتى !

(نفير فى الخارج . الكل ينصت . آخيل يرتقى العرش).

سويروس : نفير ..

مانيتون : نفير ملكى !

آخيل : لمن يطلقون النفير ؟ (الكل يلتفت الى الباب الأيمن . يدخل أبانوفر) .

بومبيان (متهكما) : الملك ! (ينحنى بالتحية الملكية فى سخرية . أبانوفر يتجاهله ويمشى الى آخيل الجالس على العرش . فيلامون يتقدم الى الراهب ويركع أمامه ويقبل يده قائلا : « باركنى يا أبتاه ! » فيرسم أبانوفر علامة الصليب على رأسه ويتمتم بكلمات قليلة ، وينهض فيلامون)

مانيتون (شبه غاضب) : ولماذا النفير يا أبانوفر ؟

أبانوفر : لا تحاسبنى . حاسب حراس القصر .

آخيل (ببرود) أبانوفر . من فوضك فى الاتصال بالجيش ؟.

أبانوفر (متأملا التاج المعلق فوق العرش) : هل هذا كان الاتفاق ؟

آخيل : أى اتفاق ؟

أبانوفر : أن تضع تاج مينا فوق رأسك ؟

آخيل : هذه ارادة الأعيان .

أبانوفر : الأعيان . البلاط . الحاشية . القواد . لقد سئمنا . نحن توجناك امبراطورا على الاسكندرية . أما تاج فرعون فلا يلبسه الا مصرى .. من أصلاب مصرية .. قلنا تاج فرعون لقسطنطين ، بعد أن يرث روما وبيزنطة يحكم الدنيا من الاسكندرية .

مانيتون : هذه أمور تسوى بعد رفع الحصار .

آخيل : اذا لم تكن هذه ارادة الشعب تخلينا عن تاج فرعـــون يا ابانوفر . فلنعد الى الموضوع .

ابانوفر : اى موضوع ؟

آخيل : اتعلم أن الرومان استولوا على برج رأس التين ؟

ابانوفر : نعم .

آخيل : وانهم أسروا مارتا ؟

أبانوفر (يتنهد فى الم عميق) : نعم .

بومبيان : لماذا تخليت عن البرج ؟

(أبانوفر لا يلتفت اليه ولا يجيبه)

آخيل : لماذا ؟

أبانوفر : من السائل ؟

آخيل : آخيل يسأل ابانوفر : لماذا تخليت عن البرج ؟

أبانوفر : وابانوفر يجيب آخيل : للضرورة العسكرية .

سويروس (بهدوء وحزم) : اين تعلمت العلوم العسكرية ياأبانوفر؟

(ابانوفر ينظر اليه مليا ولا يجيبه)

آخيل : اية ضرورة ؟

هاتور (تصرخ) : ليسلم مارتا للرومان ؟

أبانوفر (يضطرب) : ماذا تقولين ؟

هاتور : لتسلم مارتا للرومان .

أبانوفر : هل فقدت عقلك يا هاتور ؟

هاتور : كلنا نعرف ان قلبك يغلى بالحقد الأسود عليها منذ ...

أبانوفر (مستعطفا) : هاتور !

آخيل : اذن ما يقولون صحيح .

أبانوفر : لا . لا . لا .

بومبيان : كل الاسكندرية تعرف أنها رفضت فراشك .

أبانوفر : يا الهى (يترنح فيسنده أبيب)

أبيب : كفى . كفى .

بومبيان : لماذا تدافع عنه ؟

أبيب : الا ترى أنه يتعذب ؟

هاتور : ومارتا ؟ ألا تتعذب الآن ؟ بين أيدى الرومان !

بومبيان : كل الناس يتحدثون غرام أبانوفر اليائس .

أبيب : حديث نساء .

بومبيان : ويقولون انه يحب الشراب .

أبانوفر : دعنى وشأنى .

بومبيان : ويقولون انه يحب المواخير .

فيلامون : ما هذه السخافات ؟

أبيب : هل من الضرورى أن نسمع هذه السخافات ؟

آخيل : وما الحقيقة ؟

أبانوفر : يقولون . يقولون . اسمع يا آخيل .. يقولون انسيدى مانيتون يغتصب مال الرعية ليعطيه لمولاى آخيل . يقولون ان سيدتى هاتور قوادة القصر . وانك تجزل لها العطـــاء لتأتيك براقصات معبد ايزيس .

مانيتون (متدخلا) : تأدب ياأبانوفر ؟

أبانوفر : من البادىء . أنتم بدأتم . تقولون انى تخليت عن البرج لأسلم مارتا . أنتم لا تفهمون ..

آخيل (ببرود) : فهمنا كل شيء . ولهذا أرسلنا أفريكان وديوجين لاسترجاع القوات الى رأس التين .

أبانوفر (فى انزعاج شديد) : ماذا فعلتم ؟

آخيل : بعد البرج يسقط القصر . لابد من تحصين القصر .

سويروس : وبعد القصر تسقط الميناء . لابد من تحصين القصر

بومبيان : يبدو أن للقائد أبانوفر رأيا آخر ؟

أبانوفر (منفجرا) : الدمار ! الدمار ! الدمار ! أيها الحمقى ! ماذا فعلتم ! القصر محصن . لا خوف على القصر : ١٥٫٠٠٠ من الحرس الوطنى يحرسون القصر : ٢٠٫٠٠٠ مـــن الرماة يحرسون الميناء . وخلف الرماة ألفان من الفرسان . لاخوف على الميناء . ايها الحمقى ! انطلت عليكم خدعة دقيانوس . دقيانوس يائس من دخول رأس التين . يائس بعد ثمانيـــة أشهر من الحصار .. من الكر والفر .. دقيانوس يعرف أنه لن يجد ثغرة الى المدينة الا اذا أفنى كل قواته وأفنانا . هو يهاجم البرج بشدة ليوهمنا انه يطلب القصر فنحشـــد فيه كل رجالنا ، والحقيقة انه يقوم بحـــركة التفاف حـــول المدينة .. أتعرفون بكم هاجم البرج ؟ بخمســة آلاف ،هكذا تقول التقارير . هجوم شديد ولكنه كاذب . أتعرفون اين

قواته الأساسية الآن ؟ فى أبو قير وعند ترعة نوكراتيس وراء أسوار المدينة . خطته أن يقطع المياه عن قنوات الاسكندرية لنموت عطشا .. لنسلم أو نموت .. كيف لا أتخلى عن البرج ؟ كيف لا أضحى بالفين ؟ كيف لا أضحى بمارتا ؛ انتم نيام . أنتم ترسمون الخطط بالقلم والمسطرة وعدوكم يمكر ويدبر . أين جواسيسكم ؟ وراء أبانوفر ؟ وراء المصريين ؟ الدمار يا مصر الدمار !

(فيما هو يقول هذا الكلام يسود الاضطراب ، ويقف آخيل مرتبكا وينزل درجات العرش ، ويبدو الانزعاج على الجميع وتصدر من النسوة صرخات قليلة قصيرة مكبوتة ، ويهرع مانيتون وأبيب وفيلامون الى الراهب بحركة تلقائية ، ويتجمهر الرومان حول آخيل)

مانيتون : ما العمل ؟ ما العمل ؟

بومبيان : لا تستمعوا لهذا المخرف .. دقيانوس يطلب القصر .

سويروس (مطرقا وبجد عميق) : الراهب على حق يا آخيل .

هاتور : أخرجنا من هذا المأزق يا آخيل .. أنت ملك البلاد .

آخيل (يفرك يديه حائرا) : اذا كان ما تقول صحيحا يا أبانوفر ، فقد انتهى كل شىء .

أبيب : مولاى ، هل تسمح ؟ ... سيدى بومبيان ينطلق الى قوات دامون الأرمنتى ويعود بها الى أبو قير . وسيدى سويروس ينطلق الى قوات فريسكا ويعود بها الى نوكراتيس .

آخيل : نعم . نعم . طبعا . طبعا .

سويروس : انقاذ ما يمكن انقاذه .

مانيتون : ايتها الآلهة ! ارحمينا ! ارحمينا ! ماذا يصدقون من هذه الأوامر المتضاربة !

آخيل : هيا يابومبيان .. هيا ياسويروس (يخرجان من الباب الأيسر) أبيب ! الى بسلاحى . أعدوا جوادى (يخرج ابيب من الباب الأيسر) فيلامون ! نفير الفرسان . نفير المشاة . نفير المعركة (يخرج فيلامون من الباب الأيمن . وبعد ثوان يسمع نداء النفير مختلفا ومتعاقبا ، ثم أصداؤه البعيدة مختلفة ومتعاقبة لا تلبث أن تتلاشى) سنخرج الى الميناء .

ابانوفر : الى نوكراتيس يا آخيل .

(يدخل ابيب بالسلاح من الباب الأيسر . آخيل يخلع عباءة الأرجوان فتحملها هاتور . ابيب يلبسه الزرد ويسلمه الخوذة والسيف ودرعه البرونزى المستدير . فيلامون يدخل من الباب الأيمن)

أبيب : نعم . نوكراتيس نقطة الضعف .

آخيل : ومن يحمى راس التين ؟

ابانوفر : فيلامون . القائد فيلامون . والقائد ابيب يمضى الى الميناء .

آخيل : فليكن . فليكن . واين مكان ابانوفر ؟

ابانوفر : انا مع الشعب .. فى كل مكان .

فيلامون (مترددا) : رسول فى الخارج يطلب المثول .

ابانوفر : دعه يدخل . دعه يدخل .

فيلامون (مترددا) : من عند دقيانوس .

أبانوفر
آخيل : دقيانوس ؟
مانيتون

فيلامون : هكذا تقول أوراقه .

(آخيل ينظر الى أبانوفر كالمستفسر : ماذا نفعل ؟)

أبانوفر : دعه يدخل (يبتعد الى أقصى اليسار)

(يدخل ضابط رومانى وهو شاب وسيم ، لابسا الزرد وسيفه القصير حاملا خوذته فى يده اليسرى ، ويؤدى التحية ، يتبعه ياوره)

الضابط : شبيو الصغير ، خادم دقيانوس ورسوله .

آخيل (يتأمله) : ابن النوميدى ؟

شبيو : وسليل شبيو العظيم .

آخيل (يتفرس فيه) : ألا تذكرنى ؟

شبيو : نعم .. دومتيوس دومتيان .

آخيل : كان أبوك صديقى .. رفيق السلاح .. فى لواء واحد (فى عطف شديد) كم كبرت يا شبيو ! الأيام ! الايام ! لم أعرفك حين دخلت (يمشى كالحالم مخاطبا أبانوفر وكأنه لا يعرفه) كان النوميدى بطلا .. قاتلنا معا فى دورا ، وفى برقة ، ويوم سقط الى جوارى حملته بيدى هاتين (ينظر الى يديه) على جوادى . (ينظر الى الفتى فى زهو) أتعرف كم حصدنا يومها ؟ عشرين رأسا . هو عشرة ، وأنا عشرة . كنا نتراهن على الرءوس ولم يكسب أحد . ولكنه كسب أخيرا . كسب

الراحة لكبرى (يعود الى نظرته الحالمة ويضحك فى رقة)
أتذكر كيف كنت أحملك على ظهرى فى حدائق كاتيلينا ؟
(شبيو يبدو عليه الارتباك ويطرق) . أنت صغير بالنسبة
لرتبتك .

شبيو : خدمت روما ياسيدى .

آخيل : أم خدمت سيد روما ؟ (يضحك ضحكا هادئا) لا بأس
لا بأس . انهم يفسدونكم هذه الأيام . فى أيامى كان قائد
المائة فى ضعف سنك . وكيف حال سيدتى مرسيليانا ؟

أبيب (مذكرا) : مولاى !

آخيل : نعم ، نعم ، نحن فى الاسكندرية (يعتدل) لم نعد فى روما
وماذا يريد دقيانوس ؟

شبيو : يريد أن يتبادل الرهائن .

آخيل (متشجعا) : لا أكثر ؟

شبيو : لا أكثر يا سيدى . السيدة فاوستينا مقابل مائة أسير
(آخيل ينظر الى أبانوفر)

أبانوفر : خمسمائة .

شبيو : أأنت الراهب ؟

أبانوفر : نعم .. أنا أبانوفر .

شبيو (يتأمله) : أنت تغالى .

أبانوفر : لا ، لا . هذا رأيكم : الدم الرومانى غال .. أزرق .
والدم المصرى خسيس بلا ثمن .

شبيو : ثلاثمائة .

ابانوفر : خمسمائة . لا فائدة من المساومة . اليست هذه رغبة السناتو ؟ حياة فاوستينا لا تساوى شيئا عند دقيانوس : ولكن اشراف روما يطلبون انقاذها بأى ثمن ولم لا ؟ دقيانوس يحب أن يجامل السناتو فى التفاهات .

شبيو : يبدو أنك تعرف عنا كل شيء .

ابانوفر : كل شيء ؟ كل شيء ؟ لا . انا لا أعرف الا قليلا . ومع ذلك أعرف أنك لم تأت هنا لتنقذ حياة فاوستينا . هل قبلت ؟

شبيو : نعم ، قبلت ، خمسمائة .

آخيل : تبادل الأسرى يكون فى راس التين .

شبيو : نعم . نعم .

ابانوفر : دقيانوس لا يوفد الى آخيل شبيو السفير ، ربيب دومتيوس دومتيان ، من اجل فاوستينا (بلهجة ماكرة) هو يبحث عن صيد ثمين . أليس كذلك ؟

مانيتون (فى تسرع ساذج) : ربما جاء يطلب الصلح .

ابانوفر : لا ، لا . جاء يطلب .. ابانوفر (حركات انزعاج)

شبيو (مخاطبا آخيل) : نعم يا سيدى . مولاى دقيانوس يطلب تسليم الراهب ابانوفر .

ابانوفر (هازئا) مقابل ؟

شبيو : مقابل اى شيء يطلبه دومتيوس دومتيانوس .

أبيه (يشهر سيفه) : مستحيل .

فيلامون (يده على مقبض سيفه) : هذا جنون .

مانيتون : اهدأ يا ولدى !

أبانوفر (يتطلع فى وجه شبيو) : أى شيء ؟

شبيو : هذا ما قاله . اى شيء يطلبه دومتيوس دومتيانوس .

مانيتون (فى لهفة) : هل قال ذلك ؟

شبيو : نعم قال ذلك .

مانيتون : هل يرضى بفك الحصار ؟

شبيو (يبتلع لعابه) : نعم ، يرضى بفك الحصار .

آخيل : هذه خدعة (فى كبرياء) لا ، لا ، قل لمولاك الكذاب ان آخيل الاسكندرى لن يسلم أخلص رعاياه .

شبيو : هل هذا نهائى ؟

آخيل : نعم ، نهائى .

شبيو : اذن فليأذن لى سيدى فى الانصراف .

آخيل (فى حنان) : تصحبك السلامة يابنى .

(شيبو يحيى ويمشى نحو الباب الأيمن)

أبانوفر (يستوقفه) : مهلا .. مهلا (يقف شبيو ويلتفت اليه ;

آخيل : دعه ينصرف .

أبانوفر : لا ، لا ، تعال يا فتى .

شبيو : تكلم .

أبانوفر : اقترب .

(يقترب من شبيو حتى يكاد يلاصقه)

شبيو : ماذا تريد ؟

أبانوفر : مارتا مقابل أبانوفر .

(يسود الاضطراب . أصوات : « لا . لا . » « مستحيل » «لن نسمح» . هاتور وتفيتة تتقدمان فى لهفة)

شبيو (يتامله جيداً فى عطف شديد) : موافق .

أبيب (يتوسطهما شاهرا سيفه) : لن يكون ، اذا أراد دقيانوس أبانوفر فليأت ويأخذه بنفسه . شبيو يجرد سيفه) .

فيلامون (يحذو حذوه ويطعن فى الهواء) : وهذه لدقيانوس .

أبانوفر (بلهجة الآمر) : مكانك يا فيلامون . مكانك يا أبيب . كل سيف فى غمده . فى بلادنا .. لكل رسول حرمة (كل يغمد سيفه)

مانيتون : أبانوفر ! أنت تطلب ثمنا بخسا !

أبانوفر : لا ، لا . مارتا أثمن من أبانوفر . مارتا قديسة طاهرة ، وأبانوفر خاطىء ملعون .. مكانه قاع الجحيم .

مانيتون : هذا جنون . مارتا لاتساوى أبانوفر .

أبانوفر : مارتا ؟ مارتا روح الاسكندرية ، وأبانوفر جسدها . هل فهمت ؟ نعطيه الجسد ونسترد الروح .

هاتور (تقترب صائحة) : الراهب المقدس ! (تجثو وتقبل يده)

تغيتة (تقترب صائحة) : باركيه أيتها الآلهة ! (تجثو وتقبل يده)

(مارينا تعبث أناملها بأوتار القيثار ثم تسكت)

أبانوفر : انهضي ياهانور . انهضي ياتغيتة . بلا دموع .. بلا دموع ..

مانيتون : هذه رموز لا يفهمها عقلي الضعيف . اذا دخل دقيانوس الاسكندرية حلت علينا الكوارث (بغضب) اطلب تأمين المدينة يا أبانوفر .

أبانوفر (معاتبا) : هل انهزمنا يامانيتون ؟

مانيتون : عفوا . أقصد اذا انهزمنا .

أبانوفر (يضحك ضحكا أصفر) : اذا انهزمنا فلا تصدق وعدا واحدا من وعود دقيانوس (يمسك بذراع شبيو) تكلم يا فتى . تكلم بصراحة . ألم يقل لك دقيانوس وأنت تغادر السفينة : عدهم بأى شيء مقابل رأس أبانوفر ؟ عدهم بتأمين آخيل ! عدهم بتأمين الاسكندرية ! عدهم برفع الحصار ! عدهم بأى شيء . الوعود ! الوعود ! ما قيمة الوعود عند المنتصر (مزمجرا) تكلم !

شبيو (مرتبكا وشبه خائف) : نعم ، نعم .

أبانوفر : سيدى مانيتون لايريد أن ينسى انه كان أمين مكتبة الاسكندرية . هذه ليست كتبا يامانيتون (يزمجر) هذه حرب . سياسة . حرب . كيف تصدق وعود المخادع دقيانوس ؟ اطلب المعقول .. تأخذ المعقول ، ومع ذلك نحن لا نأخذ الا عينا . اسمع يافتى ، ارسل ياورك ليعودبالقديسة مارتا المصرية . هنا . هنا . نحن لانسلم أبانوفر بالدفع

الآجل (يدق على صدره) بضاعتنا حاضرة ، والدفع عينا .
بشرف آخيل، اذا لم يعجبك شرف آخيل، بشرف دومتيوس
دومتيان . بالشرف الرومانى . هيا . هيا . لا تضيع الوقت
(شبيو ينظر الى آخيل حائرا مستفسرا . آخيل يبسط
كفيه فى حيرة)

آخيل : لا ، لا ، لن أسمح .

ابانوفر (ببصر زائغ) : أنت لا تفهم يا آخيل ، أنتم لا تفهمون
(كأنه يكلم نفسه) نعم ، نعم . (ينظر الى الخاتم على بنصره
الأيسر) لابد من التكفير .. أنا خنت العهد .. نعم ..
التكفير . أنا القربان . فليقبل الله قربانى (يتمتم)

فيلامون : ارحمه يا الهى !

ابانوفر (كأنه يهذى) : اسكت يا غلام ! لا رحمة ! الله لا يرحم !
ألم تسمعه يقول : ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى
السماء ؟ أنا لم ارحم أحدا (ينظر الى يديه وكأنهما مخضبتان
بالدم) هى السبب . هى السبب . وقبل أن يأخذوها نظرت
الى فى عتاب .. ثم مضت . أم ترانى كنت أحلم ؟ وغيرها .
وغيرها . أين آريوس ؟ ماذا قال البطريرك ؟ (يرتفع
صوته) لا ، لا . أنا لم أرحم أحدا . لماذا يرحمنى الله ؟
لا رحمة . لا رحمة . أنا لم أعرف الا العدل . بالعدل أدان.
أنا لم أعرف الا الحق . بالحق أدان . بالناموس. بالشريعة
الأولى .. لأنى مشيت .. كروح هائجة ملعونة .. لا .
كالاعصار .. فى الحقول ، على الرمال ، بين النـاس ، فى
الأكواخ ، فى القصور .. بلا رحمة ، بلا خشوع . أنا كسرت
العهد (يتفحص الخاتم على بنصره الأيسر) العهد ؟ أنا
كسرت العهد .. غفرانك يا مريم ، دعونى أموت . بلا رحمة
بلا خشوع ، (كأنه يبتهل) عذبنى يا الهى ! ! فى قاع الجحيم

حتى أنطهر ، حتى تظهر علامتى . نعم . سأنتظر .. حتى تظهر علامتى . علامتى ؛ نعم .. سأنتظر حتى تأتى مارتا (يبتسم) كالملاك الأزرق .. وتطفىء بأنفاسها العاطرة نيران الجحيم . (يشير الى الأبراج المنقوشة على السقف) انظروا ! هذا هو .. برج الجدى .. سأقيم فيه حتى تأتى مارتا وتعود بى .. الى برج العذراء .. الذى خرجت منه هيا يا فتى . قلت عجل ، وبعد أن امضى ، قولوا : كان أميرا .. نسبه حائر بين الارض والسماء .. تريدؤن امارتى؟ (يصرخ) امارتى .. لعنتى على دقيانوس !

شبيو : هكذا يريد . بصره ثابت فى السماء .

آخيل (آسفا) : نعم ، نعم . يحلق بين الأبراج .

شبيو (مخاطبا ياوره) : هيا عجل . (ينطلق الياور من الباب الأيمن)

ابانوفر (مبتسما) : اتحسب انى اهذى يا آخيل ؟

آخيل : الخاطىء لا يحاسب الخاطىء .

ابانوفر (هازئا) : انا أعرف دقيانوس . أتعرف لماذا يساوم فى هذه اللحظة الحرجة ؟ هو لا يساوم لانه ضعيف ، هو يساوم ، لانه قوى . لانه يعتقد أن الاسكندرية ستسلم فى أربع وعشرين ساعة اذا قطع عنها المياه . هو يخشى ان نذبح فاوستينا قبل أن نسلم . هو يخشى أن يدخل الاسكندرية على جواد ابيض فلا يجد ابانوفر . يخشى أن اختفى ، أن افلت من يده . دقيانوس لن يغمض له جفن حتى يفتك بالراهب اللعين . هو يتخيل أن ابانوفر يمشى فى الحقول .. يدخل الاكواخ .. يجوس بين الجند .. يؤلب المصريين على الرومان . هو يعتقد انه لا راحة لروما مادمت حيا . ولكنه

واهم (تضيق أنفاسه ويفك أزرار جبته) .. ماء .. ماء
اعطونى ماء . واهم . واهم . (بصوت خفيض عميق) أنا
أديت الرسالة . اليوم كل مصرى أبانوفر (بصوت جهير من
نبرة الأنبياء) سيأتى بعدى من هو أقوى منى ..

فيلامون (كمن فى رؤيا) : صوت صارخ فى البرية .

أبانوفر (وهو يحملق فى الفضاء) : سيأتى بعدى من هو أقوى
منى (يمشى كالنائم) المجد لك يافرعون .

أبيب : يا ملك الأرضين .

هاتور : الاسكندرية تاجك .

تفيتة : مصر عرشك .

فيلامون : الدنيا موطىء قدميك .

أبانوفر (يضحك ساخرا) : الأحمق . الأحمق . لا يعرف ماذا
يأخذ وماذا يعطى .! أبانوفر جثة هامدة .. أما مارتا فهى
روح الوادى . أنفاس الحياة . السماء الزرقاء . خضرة
الحقول . هى الطمى المقدس . بذلت جسدها لتعطى
المساكين ، لتطعم الجياع ، لتشفى المرضى ، لتحيى الموتى ،
هى القربان المقدس ، والقربان لا يقدم مرتين . هل فهمتم
الآن لماذا يجب أن تحيا ؟ هى الملاك الحارس ، من المعبد ، من
الدير ، من مغانى السمار ، من كل مكان .. تنشر جناحيها
على الوادى الأمين . سبحى يا هاتور . أنت أرضعتها .
كيف ترتلون فى معبد ايزيس ؟

هاتور (تغنى أغنية أشبه بالرقصة رغم ما فيها من وقار بينما
تفيتة تدق على الأوتار) :

غمغم النيــــل	**خد سمراء ،**	**بنت هــاتور**
ذو الأراغيل :	**كف حنـــاء ،**	**ربة النــور ،**
آه ياليــــل !	**ثغر لميـــاء ،**	**ملعب الحور ،**
عاشق يزفر !	**خمـره كوثر !**	**ثوبهــا أخضر !**

(يدخل آريوس من الباب الأيمن فى اضــطراب شـــديد صائحا)

آريوس : الفتنة ! الخراب ! الفتنة ! الخراب !

آخيل : ماذا جرى ؟

آريوس : قتلوا أفريكان . قتلوا ديوجين وبومبيان. الجنود ذبحوا كل القواد الرومان الا سويروس . يطالبون براس آخيـــل فريسكا زاحف على القصر . دامون الأرمنتى فى الطريق . تركوا مواقعهم . الجيش يصيح : آخيل الخائن ، الرومان الخونة ، سلمونا لروما .

أبانوفر : هل وصل دقيانوس ؟

آريوس : نعم ، جنوده فى نوكراتيس وأبو قير . لما انســـحب المصريون من نوكراتيس وأبو قير التقى دامون وفريسكا فى معسكر قيصر . فلما عاد كل الى موقعه وجدوا أن جنـود دقيانوس قد احتلت المواقع وردمت كل القنوات عندمداخل المدينة بسرعة البرق بالتراب : بالاحجار . بـكل شىء . فثارت ثائرة الجنود وانقضوا على القواد ، أعلن فريســكا أن الخيانة جاءت من القصر الملكى . رأيت بنفسى دامـــون الأرمنتى ينقض على بومبيان ويبقر بطنه . نادى المنــادون فى الشوارع : انقطعت المياه عن المدينة وســاد الذعر فى كل مكان .

آخيل (يطرق في يأس) : الآن انتهى كل شيء .

ابانوفر : وكيف نجا سويروس ؟

آريوس : سويروس لم ينج . سويروس صرخ في رجاله قائلا : ياليوث مصر ! دم دقيانوس لا دم آخيل ! اتبعوني . وانطلق أمام الصفوف بفرسه الشهباء رافعا درعه الثقيل وأخذ يركض كالمجنون فتبعته الجنود بين راكب وراجل كأنهم الذئاب المسعورة ، واجتاحوا أبواب نوكراتيس والقوا بأنفسهم من فوق الأسوار . وثار غبار معركة رهيبة . ولما انجلى الغبار ظهر سويروس صريعا بين جثث لا تعد ولا تحصى . وخيم على المكان صمت حزين . ولكن علم الرومان رفرف وحده وسط الميدان .

ابانوفر : الويل لك يا آخيل ! وقعت بين المصريين والرومان !.

مانيتون : اهرب يا آخيل .

آخيل : لا ، لا .

ابانوفر : خذ عباءتي يا سيدي .

أبيب : اركب جوادي يا سيدي .

آخيل (في عزة) : لا . لا . أنا خدمت مصر بأمانة (يصعد درجات العرش ويجلس في هدوء) آخيل لا يهرب (مخاطبا شيبو في حنان) : اسمع يا بني . في روما يقولون عني اني خائن . ولكن دومتيوس دومتيان خدم روما بأمانة ، حتى حكمها العبد الدلماسي . ألم تسمع أباك يقول ذلك !

شيبو (تغلبه عواطفه) : نعم يا دومتيان

آخيل : لا تقل دومتيان ، انا هنا آخيل الاسكندري . لم اعد من روما منذ ارتقى العبد الدلماسي عرش رومولوس ورفع حسام

انياس . لقد أخطأت كثيرا ، ولكنى خدمت مصر بأمانة . تكلم يا ابانوفر .

ابانوفر : نعم . اكتب يا مانيتون .. آخيل الاسكندرى خدم مصر بأمانة . من اجل هذا تغفر مصر اخطاءه ولا تذكر الا أمانته .

(تسمع جلبة بعيدة ومعها نفير بعيد) .

مانيتون : انهم قادمون .

ابانوفر : يا الهى ! حتى أبانوفر لا يستطيع انقاذ آخيل .. حصنوا الابواب .. حصن الباب يا فيلامون (فيلامون يسرع الى الباب الأيمن) اجمع الحراس ياأبيب (أبيب يسرع الى الباب الأيسر)

آخيل : لا ، لا ، فليتم كل شيء فى هدوء . فليأت المصريون . فليأت الرومان ، السابق يأخذ آخيل (ينهض) يا شبيو !

شبيو : نعم يا سيدى .

آخيل : قل .. من جدى الأعلى ؟

شبيو : بروتوس النبيل .

آخيل (ينزل درجات العرش) : من شابه جده فما ظلم . ياسيدى الراهب الشاب .

آريوس : مولاى !

آخيل : نسيت اسمك . ماذا يسمونك ؟

آريوس : آريوس يا مولاى

آخيل : الديك سر الاعتراف ؟

آريوس : نعم يا مولاى .

آخيل : هيا بنا نعترف ، الانسان .. يجب أن يكون دائمامستعدا!
(يخرج مع آريوس من الباب الأيسر)

هاتور : مولاى بحاجة الى ..

مانيتون : امضي اليه يا هاتور . رأيت فى عينيه وميضا غريبا .

تفيتة : مولاى عودنى أن أحمل ازاره ..

أبانوفر : لا ، دعوه وحده ، لا تزعجوه . انه يحب أن يختلى بربه .
انشدى يا تفيتة شيئا سعيدا . شيئا مما يقال فى زفاف الملوك . ما أسعدك ياأبانوفر ! اليوم تزف بعد طول انتظار .

تفيتة (تنشد لحنا حزينا مثل عديد الندابات وأناملها تعبث بالقيثارة) :

نصبوا الخوان وتخت العرس يا ملكى ،
فرشوا الطريق الى المعراج والفلك !
فاصعد الى كنف الأملاك ياملكي :
فى الأربعين زفاف النور والحلك !

أبانوفر : كفى . كفى . لم هذه الكآبة ؟ أهكذا تحيون هذا الرومانى الجميل (يشير الى شبيو)

(يدخل آريوس من الباب الأيسر شاحب الوجه ويقول بصوت هادىء رهيب)

آريوس : مولاى آخيل بعد أن أتم واجباته الدينية .. عبر الى شاطىء الأبدية .. سقط على سيفه كعادة الرومان . كان آخر ما قاله : الوداع يا فاوستينا !

دامون : ماذا جرى ؟

هاتور (تولول) : واملكاه !

شبيو : الوداع يا دومتيان ! ستجرى مأساتك على كل لسان .

مانيتون : الوداع يا مولاى ! ستكون لك صفحة فى كل كتاب .

تفيتة (تولول) : واملكاه !

(يدخل دامون وفريسكا من الباب الأيمن)

فريسكا : أين آخيل ؟

أبانوفر : مولاك آخيل طلب الحرية .. من سجن الجسد . امضى اليه يا هاتور . انه بحاجة اليك .. الآن .. امضىا اليه يا تفيتة .. امضى اليه يا مارينا .. يا الهى ! عندما نموت .. ما أحوجنا الى النساء ! كأنما نولد من جديد .. احملوه كما يحمل الملوك .. لفوه فى علم البلاد . لاتنسوا أن تلبسوه تاج مينا . كم تمناه فى حياته ! فليلبسه الآن فى مماته ، بأمر أبانوفر ، بأمر الشعب .

(تخرج النسوة من الباب الأيسر فى نشيج مسموع ، ويسمع نفير وداع قصير من الخارج ، ويطأطىء كل القواد رءوسهم وسلاحهم تحية الوداع)

دامون (يحيى بالسلاح) : وهذه تحية الجيش .

فريسكا (يحيى بالسلاح) : وهذه تحية الفرسان .

أبانوفر (كأنه لا يسمع) : وحين تكتب يا مانيتون ، لا تنس أن تقول : .. وكان سويروس رومانيا عنيدا ، لكنه مات من أجلنا شهيدا ، أقيموا له بين أطلال البطالسة عمودا من أنفس الرخام ليعيش اسمه ما عاشت الاسكندرية . ولتخرج

عذارى البحر ، فى مثل هذا اليوم من كل عام ، وليضعن على شاهده غار الأبطال وينثرن الرياحين . (مخاطبا شبيو) أيها الفتى النبيل .

شبيو : نعم يا سيدى .

أبانوفر : آن لنا أن نمضى ، لقد طال الانتظار .

شيبو (مشيرا الى الباب الأيمن) : انها قادمة يا سيدى .

(يدخل الياور الرومانى ومعه مارتا شاحبة الوجه ، تتجلى عليها آلام عميقة . وتسرع نحو أبانوفر وتتعلق بيــده .
أصوات : « مارتا ..! مارتا »

أبانوفر (فى ألم بالغ ورقة بالغة) : يا بنيتى .

مارتا (ترفع وجهها اليه) : باركنى يا أبتاه .

أبانوفر (يمسح شعرها) : نعم . نعم .. مباركة أنت فى النساء (يشيح بوجهه) أنا أهذى .. ماذا أقول ؟ لقد ضاع منى سر الراهب .. عفوك يا مريم .. ماذا فعلوا بك يا بنيتى ؟

مارتا : كووا جسدى بأسياخ الحديد (شهقات ألم هنا وهناك)

أبانوفر : حسنا فعلوا .. اذن لن تزورك الأبالسة ، يا الهى ! فظيعة! فظيعة ! انها تزورنى كل ليلة (يأخذ بيدها فتنهض) انهضى يا مارتا .

مارتا (تبتسم) : ولكنى كنت قوية .. لأنى أحمل وديعتك .

أبانوفر : نعم . نعم . أعرف ذلك .. احرصى عليها .

مارتا : كما تحرص الأرض العطشى على بذرة الحياة .

أبانوفر (وكأنه يكلم نفسه) : ولماذا لا تحرص عليها ؟ لقد دفعت الثمن . خنت العهد ودفعت الثمن (بلهجــة شيطانية) انتزعتها من يد القضاء .

مارتا : ماذا تقول ؟

ابانوفر : لم اقل شيئا . نعم ، قلت : صلى من أجلى كثيرا .

مارتا (فى وداعة) هل ادخل الدير يا أبتاه ؟

ابانوفر : نعم . نعم . .

مارتا : فى أحضان المسيح ؟

ابانوفر : نعم ، فى أحضان المسيح .

مارتا : لن يغار قسطنطين

ابانوفر : لا . لن يغار قسطنطين .

مارتا : متى يعود ؟

ابانوفر لا ادرى . ولكن حين يعود سيفرح قلبه .

شبيو : هيا ياأبانوفر .

ابانوفر : نعم ، نعم . أنا ماض يا مارتا .

مارتا : الى أين يا أبتاه ؟

ابانوفر : الى الرفيق الأعلى . .

مارتا (تحملق وكأنها لا تفهم) : هناك المروج خضراء .

ابانوفر : بعد حين ... بعد حين .

فيلامون : هو افتداك يا مارتا .

مارتا (دون ان تفهم شيئا) : هناك السوسن أبيض .

ابانوفر : لا ، لا ، هى التى افتدتنى من أجل هذا قدسها الله . . كل من تحمل وديعة تفتدى رجلا . مارتا ! (يخلع الخاتم

من بنصره الأيسر ويتأمله جيداً) هذا الخاتم .. كان لها .. لسيدة القصر الأزرق .. لسيدة الفيروز . انظرى الى الفيروز ! كم هو جميل ! هو الآن لك . خذيه (مارتا تأخذ الخاتم وتضمه الى قلبها) هل قرأت النقش ؟ اقرئى النقش قبل أن تلبسيه . فيه رقية من أيام مينا . يقولون فيه لعنة ، لا تصدقى ما يقولون (مارتا تلبس الخاتم بعد أن تتفحصه . ابانوفر كأنه يأمر) : يا فيلامون ! بعد أن أمضى . خذ القديسة مارتا المصرية الى دير العذارى .. دير دميانة (يقبل مارتا على جبينها) .

فيلامون : نعم ، نعم (يفك سيفه من خصره ويسلمه لأبيب) هذا لا عمل له الآن .. بعد هذا .. هل أنطلق الى الدير الكبير ؟

أبانوفر : نعم . انطلق .. فى أمان الله .

فيلامون : الوداع يا أبانوفر .

(يخرج فيلامون تتبعه مارتا فى هدوء من الباب الأيمن)

شبيو : هيا بنا ياأبانوفر .. دقيانوس لايحب الانتظار .

أبانوفر : لحظة واحدة يا بنى .

شبيو : هل بقى شىء ؟

أبانوفر : كلمة وداع ..

(يمشى أبانوفر وهو يحملق فى السقف المنقوش . يبلغ العمود الضخم المنقوش فى يمين القاعة ويتحسسه . يسير الى العمود المقابل فى أيمن القاعة من الداخل ويتحسسه) .

أبانوفر : ما أجمل هذه النقوش ! يا مانيتون ! كيف تروى الألوان الناضرة الأمجاد الذابلة ؟ ولكن هذا سرنا . وهو يحير الألباب

(ينظر الى العمودين باسطا ذراعيه بينهما) ليت لى قـوة شمشـون فأهدم القصر على وعلى أعدائى . (يهدأ قليلا) عندما أمضى ، لا بكاء ، لا دموع ، لا زهور على قبرى . ألقوا بجثمانى فى مفازة جرداء لا يعرف أحد مكانها ولم تحـوم فوقها نسور . قل ، أيها الفتى النبيل : دقيانوس .. هل سيأخذنى الى روما ؟

شبيو : أعتقد ذلك .

أبانوفر : ويجرنى فى عجلته الحربية ؟

شبيو : نعم ، كالعادة .. فى موكب النصر

أبانوفر : ويسلى رعاع روما ؟

شبيو : نعم .

أبانوفر : اذن سنفسد على جلالته متعته .

(يخرج من صدره سما ويتناوله بسرعة ثم يعود الى وسط القاعة وهو يبتسم . الجميع فى ارتياع . ترتفع أصوات : أبانوفر ! أبانوفر !)

أبانوفر : أنا مستعد (شبيو يتراجع) يا الهى ! الغفران ! (يتعذب من السم) يا الهى ! ما أفظع العذاب ! (يسقط على الارض وفمه يرغى ويزبد) قل لمولاك .. سعيه هباء .. لن يدرك الشمس .. الليل ثقيل .. الليل ثقيل .. النور .. النور أين النور ، مارتا ، أزيحى الأستار (يموت)

أبيب : الوداع يا أبانوفر .

دامون : انتصر على دقيانوس .

فريسكا : عاش مصريا ومات مصريا .

دامون : لا يعرف أحد سر الراهب ، ولماذا مات ..

فريسكا : هذا أمر بينه وبين ربه .

مانيتون : يقولون .. البطريرك رمى عليه اللعنة ..

دامون : أمر بينه وبين مارتا .

أبيب : لا . هو أعطى الجسد لتسترد الروح . ليبقى الحب على وجه الأرض ، لتمشى الرحمة بين الناس . مارتا عرفت ما لم يعرفه الراهب .

شبيو : لو كان بينكم عشرة من هذا الزاهب العجيب لما وجـــد الرومان بينكم مكانا .

(تدخل محفة حولها ستة من الحراس)

مانيتون : القوا عليه عباءته . احملوه فى بساطة الرهبـــان . لا

تقيموا له ضريحا من المرمر الأسود ، ولكن ادفنوه بين الرمال الكثيرة فى مفازة جرداء لم يطأها انس ولا جـــان . من الصحراء جاء والى الصحراء يعود . فان كانت لديكم بقية من سر الآباء فحنطوه .. اقرءوا عليه التعاويذ .. لتحفظ سره الصحراء . عاش بالثالوث ، ولكن انقشوا على تابوته صلوات القدماء ، فلقد كان روحا من ذلك النفس الجبار الذى مشى فى القديم بين أعمدة الكرنك واحراش النخيل . ولتصلى عليه الآلهة أجمعين .

(يحمل الحراس المحفة ويمشون فى بطء مهيب خارجين من الباب الأيسر وهم ينشدون)

كوراس الحراس (بتنغيم سريع أقرب الى التلاوة منه الى الغناء) :

مات الفـادى ، مات الفـادى
صـــلى يا آلهـــة الوادى
على من كان النجم الهادى
ملك الشعب ، عماد الوادى
سر الراهب ذى الأمجـــاد
من الآباء ، من الأجـداد
وفى الأبناء ، وفى الأحفـــاد .
مات الفادى ، مات الفــادى
صـــلى يا آلهـــة الوادى
على من كان النجـم الهـادى

(يتلاشى الصوت تدريجيا .. يرى من وراء النافذة اليسرى لهيب عظيم بعيد)

مانيتون (مشيرا الى النافذة) : انظروا ! مكتبة الاسكنـــدرية تحترق ! الرومان دخلوا الميناء !

أبيب : لا تجزع على كتبك يامانيتون . كم احترقت قبل الآن وكم ستحترق ! هكذا تسخر الآلهة ، كل غاز يضرم فيها النار لتذكر الدنيا اننا عقل العالم وضميره ، ومادام فى مصر حى يفكر ، فليحرقوا وليحرقوا ، فلن نتعب من البناء .

شبيو : من منكم يسلم المدينة .

مانيتون : دامون الارمنتى يسلم المدينة .

دامون : لا . أنا ماض برجالى تحت جنح الظلام ، ومن طيبـــة الزهراء نستأنف القتال .

فريسكا : وأنا ايضا ماض برجالى الى صعيد البلاد . قفط العصماء بحاجة الى رجال . وأنت يا أبيب : ادرك أبوصير قبل أن يدركها الطوفان .

آريوس : أما أنا فباق فى الاسكندرية . هنا أمشى مستخفيا عن العيون ، أطرق كل باب لأجفف الدموع وأبشر بالأمل الجديد

مانيتون : أنا شيخ فان . متعب . متعب . أريد أن أستريح . سأمضى الى قريتى الهادئة على شط تانيس حيث أجلس النهار الطويل وأصطاد فى نهر الذكريات ، الى أن يأذن توت والتاسوع العظيم ، فأعود الى نافورة الضياء .

أبيب : لا يسلم المدينة الا مانيتون .

شبنيو : نعم ، لايسلم القصر الا هذا الشيخ الفانى، تأهب يامانيتون لاستقبال الوالى الجديد . هكذا حكمت عليك الآلهة ، أن تكون خادم كل حاكم جديد ، لتلطف بحكمة السنين حمية الرومان ، وتقى بلادك القديمة من طيش الأمم اليافعة ، وتدون فى صحائف البردى كل ما تراه مصر من أيام سعيدة وأيام حزينة . تجلد . لن يكون الأمر هينا . فعندما يصبح الصباح ، بأمر دقيانوس ، سترى مصر أهوالا شدادا ، لم ترها عين ولم تسمع بها أذن . ستجرى دماؤكم أنهارا ، وتنهب أموالكم . ستحرق معابدكم ، وتدنس نساؤكم ، ويذبح صبيتكم ، وتحرم عليكم عبادة أربابكم . ستلقون فى جبوب الأسود، وتقلون فى الزيت المغلى لتنكروا اسم مصر ، فينكر بعضكم ويصمد الأكثرون ، حتى ينجلى هذا البلاء الفظيع . فلتكن أنت يا مانيتون أبا لهذا الشعب اليتيم فى هذه الليلة الحالكة ، ولتكن ربانه فى هذه الأنواء .

(ستار)

نبذة تاريخية

تتناول هذه المسرحية التاريخية الثورة الاستقلالية التى نشبت فى الاسكندرية عام ٢٩٦ ميلادية ، بزعامة الوالى الرومانى لوشيوس ذومتيوس دومتيانوس ، الذى لقبه الاسكندريون بآخيل .

ولم تكن ثورة آخيل هذه أول ثورة قام بها المصريون عامة وأهل الاسكندرية خاصة ، للتخلص من حكم الرومان . فمنذ أن فتح يوليوس قيصر مصر عام ٤٠ ق.م ، حتى فتحها العرب فى ٦٤٠ ميلادية ، والقلاقل كانت تسود البلاد ، ولكن هذه القلاقل كانت تتفاوت عنفا ومدى وتتراوح بين الثورات المنظمة وحوادث الشغب المتقطعة . وقد بلغ المد الثورى أشده فى النصف الثانى من القرن الثالث الميلادى ، حتى لقد سجل التاريخ أربع ثورات كبرى نشبت فى مدى لا يتجاوز كثيرا ربع قرن بين ٢٦١ ميلادية و٢٩٦ ميلادية . وهى ثورة الوالى الرومانى اميليان ، وثورة تيماجين المصرى ، وثورة فرموس اليونانى ، وثورة دومتيوس دومتيانوس الرومانى . وفى كل مرة كانت الثورة تبدأ باعلان استقلال مصر وتتويج قائد الثورة امبراطورا على الاسكندرية ، ثم تنتهى بعودة الرومان وسحق الحركة الوطنية وبالمذابح الرهيبة وباشاعة الخراب فى كل مكان . وكانت آخر هذه الثورات الثلاث أوسعها نطاقا وأشدها نجاحا ولكنها أيضا أفضت الى مذابح وأهوال لم

يشهد التاريخ مثيلا لها ، حتى جعلت المصريين يبدءون تاريخهم القومى بالسنة الأولى من « عصر الشهداء » .

أما الثورة الأولى ، فيقال فيها ان أهالى الاسكندرية أرغموا اميليانوس ، الوالى الرومانى فيها ، على اعلان استقلال البلاد وتوجوه امبراطورا على الاسكندرية . وقد حكم اميليان البلاد بضعة شهور حكم الأقوياء ، وحصن طيبة ، ورد القبائل المتبربرة التى كانت يومئذ تغير على مصر من الجنوب ، وأعد حملة يظن أنها كانت لمطاردة جيش اكسوم ، وهو من الأحباش ، ولكن القائد الرومانى ثيودوت وصل الى الاسكندرية ليسترد مصر ويعيدها الى حظيرة الامبراطورية الرومانية التى كان يجلس على عرشها جالييتوس . واقتسم الفريقان المدينة ، ونشبت بينهما حرب ابادة أهلكت كل ما كان بينهما وانتهت بانتصار ثيودوت الذى أسر أميليان وأرسله الى روما ليلقى قصاصه ، ونكل بالاسكندرية تنكيلا فظيعا ، فتركها خرائب وشاع فيها الوباء ، وقد بلغ من فداحة الخسائر فى الأرواح أن المؤرخين ذكروا أن عدد السكان الذين كانت أعمارهم تتراوح بين ١٤ سنة و ٨٠ سنة بلغ عدد السكان الذين كانت أعمارهم تتراوح بين ٤٠ سنة و٧٠ سنة فيما سبق ذلك من أجيال ، أى باحصاء المؤرخين هبط تعداد المدينة الى الثلث . ومن المؤرخين من يشك فى أن اميليان قبل لقب الامبراطور مستدلين على ذلك بأنه لم يسك العملة باسمه وبأنه لا توجد وثائق مؤرخة بتوليه العرش .

وأما الثورة الثانية فكانت فى ٢٦٩ ميلادية فى عهد الامبراطور كلوديوس القوطى (٢٦٨ ــ ٢٧٠ ميلادية) ، وقد ساعد على قيامها اشتداد ساعد زنوبيا ملكة تدمر ، وهى أرملة اذينة الذى سلمه جالييتوس امبراطور روما زمام القيادة فى ولايات المشرق ، ولا يعرف أن كانت مصر قد دخلت فى نطاقه أم لا ، فليس فى الوثائق الخاصة بمصر أى ذكر لأذينة . ولكن فى السنة التالية

لتولى كلوديوس القوطى عرش الامبراطورية ثار زعيم مصرى اسمه تيماجين على روما واستنجد بجيش تدمر . وقد استجابت زنوبيا لدعوته فأرسلت اليه قائدها زبدا على رأس ٧٠,٠٠٠ مقاتل . واستبسل الرومان فى المقاومة ولكن زبدا هزمهم أول الأمر . فلما انسحب جيش تدمر الأكبر ولم يترك الا حامية قوامها نحو ٥,٠٠٠ مقاتل طردهم القائد الرومانى بروبوس ، فعاد زبدا وتيماجين ، ولكن بروبوس انتصر عليهما ، وأراد أن يقطع سبيل اتصالهما بسوريا فاحتل موقعا بالقرب من بابليون ، ولكن تيماجين وجنود تدمر هزموا الجيش الرومانى فانتحر القائد بروبوس . على أن زنوبيا رغم سيطرتها على الموقف فى مصر استمرت فى الاعتراف بسيادة كلوديوس امبراطور روما ، فكانت كل الوثائق الرسمية تصدر باسم كلوديوس القوطى . ويقول ميلن ان موقف زنوبيا فى مصر غامض ، اذ لا يجد دليلا على ان القائد بروبوس كان يمثل سلطة الامبراطور الرومانى أكثر مما كان يمثلها زبدا نفسه بوصفه مبعوثا للملكة زنوبيا ، وهو لهذا يرجح أن التحركات الأولى لجيوش تدمر فى هذا الصراع لم يكن يقصد بها تحدى روما . فلما تولى الامبراطور أورليان عرش روما (٢٧٠ — ٢٧٥ ميلادية) اعترف بوهب اللات بن زنوبيا شريكا له فى حكم المشرق . وسكت العملة فى الاسكندرية وجهها يحمل صورة أورليان وظهرها يحمل صورة وهب اللات ، ودام ذلك سنين ، ولكن وهب اللات لم يلبث أن أعلن استقلاله عن روما ومضى بسك العملة بصورته وصورة زنوبيا ، فنشبت من جراء ذلك الحرب بين روما وتدمر . واسترد الرومان الاسكندرية بعد أشهر قليلة ، وسكوا العملة بصورة أورليان وحده . أما الامبراطور أورليان فسار بنفسه الى تدمر تاركا أمر اخضاع مصر لقائده بروبوس الذى تغلب على ما فيها من مقاومة محدودة . ويرجح ميلن أن تدمر كانت قد سحبت جيشها لتحمى نفسها من هجوم أورليان تاركة المصريين لمصيرهم .

وفى عهد أوريليان (٢٧٠ – ٢٧٥ ميلادية) نشبت الثورة المصرية الثالثة عام ٢٧٢ ، فبعد أن استولى اوريليان على تدمر وأسر ملكتها العظيمة زنوبيا ، عاد بها الى روما ليعرضها على رعاع الرومان . ولا يفهم كيف قبلت هذه الملكة العظيمة ذل الأسر ورضيت بأوضاع فى روما تتنافى مع واجب الملوك وعظمة الأبطال ، فلم تهرب من عار الأسر ، كما هربت كليوبترا العظيمة . وعلى كل فبعد عودة أوريليان الى روما ثارت تدمر ثم ثارت الاسكندرية بقيادة فرموس ، وهو يوناني من كبار التجار فى الاسكندرية . ويبدو أن فرموس مهد لثورته بالاتفاق مع قبائل البليمى فى النوبة ومع التدمريين فى سوريا ، ولم يزحف أوريليان على مصر الا بعد أن أخضع تدمر ، وعندئذ زحف على الاسكندرية وهزم فرموس وحصر الثوار فى حى بروكيون واجبرهم على التسليم ودمر ذلك الحى عن آخره تقريبا ، كما دمر اسوار المدينة فى تلك المعارك المريرة . وعاد أوريليان الى روما تاركا مصر تحت امرة بروبوس الذى تولى اخضاع قبائل البليمى بعد أن عجزت عن شغل الرومان بما فيه الكفاية عن الاسكندرية باستيلائها على صعيد مصر من الجنوب حتى قفط . واستطاع بروبوس رد البليمى الى النوبة وما وراءها درجة درجة . وتاريخ هذه الفترات فيه غوامض كثيرة لا سبيل الى اجلائها الا بمزيد من الوثائق المكتشفة ، وربما فيه تناقضات عديدة .

وفى عهد الامبراطور دقلديانوس (٢٨٤ – ٣٠٥ ميلادية) نشبت فى الاسكندرية رابع ثورة استقلالية ، وهى ثورة القائد الرومانى لوشيوس دومتيوس دومتيانوس ، أو آخيليوس ، كما كان يسميه الاسكندريون ، فى ٢٩٦ ميلادية . وكانت قبائل البليمى قد تجددت هجماتها على الصعيد الأعلى حتى عجزت الحامية الرومانية فى أسوان عن صدهم ، فاهتدى دقلديانوس الى حل جديد لحماية طيبة (الأقصر) من غاراتهم بأن سحب الحامية الرومانية عن حدود مصر الجنوبية الى أسوان ودعا قبائل النوبات

او النوباد للاستيطان فى منطقة النوبة لحمايتها من غارات قبائل البلمى ، وكانت قبائل النوبات من قبل تتجول فى صحراء ليبيا ، وكذلك وعدهم باعانة سنوية مقابل خدماتهم . وما أن استقرت الأحوال فى الصعيد الأعلى حتى ثارت الاسكندرية فى ٢٩٦ ميلادية بقيادة دومتيوس دومتيانوس الذى أعلنه الاسكندريون امبراطورا على الاسكندرية وسك العملة بصورته . فخف دقلديانوس من نيكوميديا ، فى آسيا الصغرى ، التى اتخذها عاصمة للامبراطورية وحاصر الاسكندرية ثمانية شهور دون أن يفلح فى الاستيلاء عليها ، واخيرا قطع قنوات المياه العذبة التى كانت تحمل مياه النيل الى المدينة فاستسلمت الاسكندرية بعد هذه المقاومة الطويلة الباسلة. وأشاع فيها دقلديانوس الدمار ، فخرب أكثر أحيائها ، وذبح من المصريين آلافا لا تعد ولا تحصى حتى سمى المصريون عصره بعصر الشهداء .

كذلك أشاع الرومان الدمار الشامل الرهيب فى بقية مراكز المقاومة داخل البلاد ولا سيما فى قفط العنيدة كما يسميها جيبون وقد كانت على طريق التجارة من البحر الأحمر ، وفى أبو صير وفى طيبة الزهراء . ويذهب المؤرخون الى أن دقلديانوس بعد أن قضى على حركة التحرير قضاء نهائيا اهتم باصلاح أحوال البلاد من الناحية الاقتصادية لينعشها بعد خراب . وقد أقيم فى عهده عمود بومبى ، المعروف بعمود دقلديانوس ، وهو الذى يسميه الاسكندريون عمود السوارى ، وهو باق الى اليوم .

وقد قضى دقلديانوس ما بقى من سنوات حكمه فى اضطهاد المسيحيين بمصر ، وكانوا يمثلون اغلبية السكان ، بتلك الوحشية التى افاضت فى وصفها كتب التاريخ ، واتبع فى مصر سياسة من شأنها تأليه الامبراطور الرومانى وتقديم القرابين له كأنه أحد الأرباب ، ظنا منه أن المصريين لن يرضوا على قبول الامبراطور الا اذا رفع فوق مصاف البشر ، فقاوم المصريون هذه الخطة مقاومة

عنيدة أفضت الى استشهاد الآلاف منهم كلما رفضوا ما كان يطلبه الضباط الرومان من عبادة الامبراطور، فكانت بقية حكم دقلديانوس فى مصر سلسلة دامية من الاضطرابات والاستشهاد ، فى كل طبقات المجتمع ، وعلى كل مستوى ، ولكن المسيحيين كانوا فى مقدمة المصريين الذين ملأوا البلاد شغبا واحتجاجا على فكرة تأليه الامبراطور بحجة أن هذا يتعارض مع ديانتهم .

هذه عجالة عن تاريخ الفترة الحرجة التى تقع فيها أحداث هذه المأساة مبتقاة من مصادر التاريخ العلمية الأولى ، حتى نحو ١٩٣٦ ، قبلما يمسها خيال الكاتب ، وقد اعتمدت عليها دون حرج قبل أن يبلبل العلم الحديث معارفنا عن هذه الفترة ويعقدها وخلاصتها من الناحية السياسية والاجتماعية أن الصراع بين الوثنية والمسيحية فى تلك الفترة لم يكن فى حقيقته الا صراعا بين الامبراطورية الرومانية وعبيد الامبراطورية الرومانية الذين التفوا فى جميع أمصارها حول الدين الجديد التفافهم حول لواء ثورى ينسفون به سلطان روما ، ويرفعونه فى وجه الحكومات المركزية فى كل حركات التحرير السياسى والاجتماعى . وقد تفشى الدين الجديد بين عبيد روما أنفسهم فى قلب الامبراطورية ثم كثر معتنقوه والعاطفون عليه من مختلف الطبقات ، حتى لقد روى التاريخ أن بريسكا ، زوجة دقلديانوس ، وبنته فاليريا ، اعتنقتا المسيحية سرا ، وكانت نهايتهما الأليمة رمزا لهذا الخطر الجديد الذى أحدق بالامبراطورية . وعندى أن الامبراطور قسطنطين حين أعلن أن المسيحية هى دين الامبراطورية الرسمى بعد سنوات قليلة من هذا الاضطهاد الشامل لا تفسير له من الناحية التاريخية الا أن قسطنطين ، بغض النظر عن معتقداته الخاصة ، كان يواجه أزمة الامبراطورية الفاصلة ، وكان عليه أن يختار أحد سبيلين لا ثالث لهما : اما مجاراة عبيد الامبراطورية ومستعمراتها فى عقيدتهم للاحتفاظ باطار الامبراطورية ووحدتها ،

او التشبث بالقديم وتعريض الامبراطورية للتفسخ النهائى . وقد اختار السبيل الأول بوصفه سياسيا لا بوصفه مسيحيا ، فركب الموجة كما يقولون ، أى ركب التيار الشعبى ، وحال دون تفكك الامبراطورية الآجل ، وقد نجح فى ذلك كل النجاح . أما روايات الكنيسة واساطيرها الجميلة فهى عندى اقرب الى مادة الفن منها الى مادة التاريخ .

واذا اراد القارىء أن يعرف أهم المصادر المباشرة التى اعتمدت عليها فى جمع المادة التاريخية لهذه المأساة ، فهى أولا كتاب جيبون المشهور فى « تصدع الامبراطورية الرومانية وانهيارها » ، ثم كتاب ميلن عن « مصر تحت الحكم الرومانى » ، وكتاب الأستاذ أيدريس بل فى « الديانات والعقائد فى مصر اليونانية الرومانية » ، وكتاب س. دافيز فى «علاقات الأجناس فى مصر القديمة » وكتاب الاستاذة هيلين وادل فى « آباء الصحراء » وكتاب الدكتور عبد اللطيف احمد على فى « مصر الرومانية فى ضوء أوراق البردى » . ولكننى أوردت ايضا فى هذه النبذة التاريخية اهم وأحدث النظريات العلمية الجديدة فى ثورة آخيل — دومتيوس دومتيانوس حتى تكتمل الصورة المعروفة لدى القارىء أولا ولدى الأديب الفنان الذى قد تغريه نفسه بالتعرض لهذه الفترة التاريخية .

وغير هذه المصادر التاريخية العلمية التى لامحيد عن دراستها للوقوف على أحداث هذه الفترة الخصبة من تاريخ مصر فى العصر اليونانى الرومانى كما يسميه المؤرخون ، أو فى العصر القبطى كما ينبغى أن نسميه نحن ، اعتمدت على كتـــاب « السنكسار » وهو تاريخ الشهداء المصريين فى تلك الفترة الخطيرة ، وهو كتاب شبه تاريخى اختلطت فيه الحقائق بالأساطير ومعجزات القديسين ، ومن هنا أهميته لكل خلق فنى يتناول تاريخ هذه الفترة ، لأنه بمثابة التاريخ الروحى لحركة المقاومة المصرية ضد الحكم الرومانى .

ورغم أن « السنسكار » هو الكتاب المعتمد من الكنيسة المصرية فى سير شهداء المسيحية فى مصر ، الا أن الاعتماد عليه أكثر مما ينبغى يضلل الباحث فى عصر الشهداء ويرسم له صورة جزئية عن حياة المصريين فى ذلك العصر . فقد أظهرت دراسات البردى فى السنوات الأخيرة أن الشهداء المصريين لم يكونوا من المسيحيين وحدهم بل كانوا من الوثنيين كذلك . وهناك قائمة طويلة من البرديات التى تسمى اليوم ب « أعمال الشهداء الوثنيين » ، من باب المقابلة لأعمال الشهداء المسيحيين ، تجد بحثا منها ممتعا فى كتاب الدكتور عبد اللطيف أحمد على عن « مصر الرومانية » ؛ ومن ثم فقد وجب الرجوع اليها ، فى كل دراسة لهذا العصر ، الى المصادر التاريخية العلمية الى جانب المصادر الكنسية ، التاريخية وشبه التاريخية ، ثم المصادر الأدبية والفنية كرواية « تاييس » لأناتول فرانس ورواية « هيباتيا » لتشارلز كنجزلى ، وعامة الأعمال التى تصور « جو » تلك الفترة الخصبة فى تاريخنا وفى تاريخ الانسانية بوجه عام .

فالصورة العامة التى نستخلصها من دراسة التواريخ العلمية والتواريخ الكنسية معا اذن هى أن ما يسمى بـ « عصر الشهداء » فى مصر كان قمة حركة المقاومة الشعبية والرسمية ضد الرومان فى القرون الأولى للميلاد ، وان المصريين على اختلاف مللهم ودياناتهم ، الوثنيين منهم والمسيحيين ، كانوا يشاركون فى الكفاح الوطنى ، ويقدمون للحركة الاستقلالية ضريبة الدم ، وان كان المسيحيون فى مختلف أرجاء الامبراطورية الرومانية أكثر المجاهدين ضراوة ، وأكثرهم تعصبا ، وأكثرهم شغبا وتحديا لسلطان روما بسبب تفشى المسيحية بين الغوغاء أكثر من سواهم ، وبين الطبقات الشعبية البعيدة عن ترف العلوم والآداب والفكر الفلسفى بوجه خاص .

وقد تعرض توفيق الحكيم فى « أهل الكهف » لعصر الشهداء هذا ، عصر دقلديانوس ، أو دقيانوس ، كما آثر أن يسميه للتيسير على نهج بعض المؤرخين العرب، وقد اقتفيت أثره فى هذا التيسير. وقارىء « أهل الكهف » بعد أن يفرغ من قراءتها لا يستطيع تكوين أية فكرة واضحة عن عصر الشهداء ، فالجو العام فى « أهل الكهف » يمكن أن يكون فى اليونان القديمة أو فى عصر دقيانوس أو فى مصر القديمة أو فى العصور الوسطى الأوربية أو فى الأندلس، اذا نسينا بعض الدلالات السطحية كأسماء الأبطال أو نوع العملة أو بعض الاشارات التاريخية . وتوفيق الحكيم لا يلام على هذا لأنه عالج مشكلة فلسفية هى مشكلة الزمن على المستوى الذهنى الذى لا يتطلب الارتباط بجو معين ولا بشخصيات محددة الملامح .

أما المشكلة التى تعرضت لها فهى تختلف عن ذلك كل الاختلاف ، فهى مشكلة تاريخية تتطلب دراسة العصر وجوه وأحداثه ، ومشكلة انسانية تتطلب رسم شخصيات دراميةواضحة المعالم . وقد حاولت أن أتوخى الدقة التاريخية لعاملين : أولهما أننا بصدد ثورة محددة يعرف التاريخ عنها الشىء الكثير وبصدد بعض الشخصيات التاريخية التى يعرف عنها التاريخ الشىء الكثير أيضا ، وثانيهما أنى لا أرى أن من حق الفنان أن يعبث بحقائق التاريخ ليخدم غرضه الفنى . فان ضاقت حقائق التاريخ عن غرضه الفنى فليخلق لنفسه ولجمهوره ما شاء من أساطير ، وانما حق الفنان مقصور على التفسير والتأويل سواء فى الأحداث أو فى السلوك أو فى النوازع أو فى الغايات أو فى تصوير الشخصيات الانسانية ، كل ذلك فى الحدود التى تخدم فنه ولا تشوه التاريخ المعروف ، كما أن من حقه الاستفادة من كل غموض وملء كل فراغ . ومدار عملية الخلق الفنى فى نظرى هى تركيب جزئيات الحياة فى كل ذى مغزى انسانى .

ولم أجد بين الشخصيات التاريخية المعروفة ، التى اشتركت فى ثورة آخيل من يمكن أن أخلق منه بطلا من أبطال الكفاح الوطنى رغم خصوبة عصر الشهداء فى الأبطال المكافحين . فدومتيوس دومتيانوس رومانى ، ولذا كان بناء شخصيته بناء يجعل منه رمز البطولة الوطنية فى مصر الرومانية . وهنا كان انتفاعى المحقق بـ « السنكسار » حيث تتوالى صور الشهداء والشهيدات والقديسين والقديسات فى موكب لا ينتهى من الأبطال الذين جللوا تاريخنا القومى بغار الخالدين .

وقد اخترت من هؤلاء شخصية أبانوفر ، وجعلت منه بطل المأساة ، كما اخترت شخصية مارتا وجعلت منها بطلتها ... اخترت شخصية الشهيد أبانوفر لقلة ماجاء فى « السنكسار »عنه،ما جعلنى أحس بالحرية فى بناء شخصيته ، دون تقيد بواقع تاريخى معين ، فهو ـ باستثناء اسمه ، وواقعة استشهاده المذكورة فى اجمال ـ شخصية مبتكرة من الألف الى الياء . أما مارتا فقد جذبنى اليها قصتها الغريبة الحزينة فى « السنكسار » ، الذى يروى عنها أنها كانت بغيا ثم اهتدت الى الله ، فانقطعت للعبادة فى الفلوات ، ولا يضيف الى هذا شيئا كثيرا ، وقد جعلنى غموض قصتها وشخصيتها أحس بحرية الحركة والتصور والبناء . وقد سمحت لنفسى أن انسب « الرؤيا » التى وردت فى كتاب الأستاذة هيلين وادل عن الحمامة السوداء التى تخرج من الماء المقدس بيضاء ناصعة أطهر من الثلوج ، منسوبة الى القديسة مريم المصرية، وهى أيضا بغى مشهورة ، من العصر نفسه ، تطهرت بالايمان .. أقول سمحت لنفسى أن أنسب هذه « الرؤيا » الى شخصية مارتا. غير هذا فشخصية الراقصة مارتا مبتكرة من الألف الى الياء . كذلك بقية أشخاص الدراما من مصريين ورومان من بناء الخيال. فمانيتون وأبيب وفيلامون وفيلامينة وهاتور فى الجانب المصرى ، كلهم من صنع الخيال . أما القواد الرومان فأكثرهم شخصيات تاريخية ولكن لا يعرف عنهم أثناء ولايتهم على مصر الا أسماؤهم ،

وربما بعض وقائع قليلة . فديوجين كان حاكما على الاسكندرية بين ٢٨٤ و ٢٨٦ ميلادية ، كذلك كان بومبيان حاكما عليها بين ٢٨٧ و ٢٨٩ ميلادية ، وكان روستيكان نائبا للحاكم فى ٢٨٩ ميلادية ، وكان أفريكانوس محافظا أو ما أشبه ذلك فى ٢٨٨ ميلادية . فكلهم تاريخيا من الرومان ذوى الخبرة فى الشئون المصرية ، وان كانوا قد تولوا مناصبهم الرسمية قبيل ثورة الاسكندرية فى ٢٩٦ ميلادية بأعوام قليلة فى عهد دقلديانوس .

وقد وجدت من حقي كمنشيء أن أستعين بهم كشخصيات رومانية عاملة فى ثورة مصر . أما الضابط ارمانوس والاميرال ماركوس سكستوس والقائد سويروس فهم من نسج الخيال ، وكذلك شخصية فاوستينا زوجة الوالى آخيل من نسج الخيال . وقد أدخلت شخصية سويروس بالذات لأن التاريخ يروى لنا أن عمود السوارى فى الاسكندرية عمود أقيم تخليدا لذكرى دقلديانوس وانتصاراته ، وهو يسمى عند المؤرخين عمود دقلديانوس لا عمود السوارى . ورغم أن هذا هو العرف التاريخى الا أنى وجدت من حقى أن استبعده ، لاعتبارين : أولهما اسمه الشائع بين المصريين، وهو أقرب الى اسم سويروس . وثانيهما أن دقلديانوس صاحب المذابح الرهيبة فى الاسكندرية خاصة وفى مصر عامة لو كانت هناك صلة بينه وبين عمود السوارى لحطمه المصريون فيما حطموا من آثار أعدائهم . فكيف يمكن أن يترك المصريون شاهد عارهم ورمز دمارهم قائما بينهم الى اليوم آية فى الرونق والجمال ، وصاحبه — الامبراطور دقلديانوس — ملعون على كل لسان ، الى حد جعل المصريين يبدءون تاريخهم بعصر شهدائه ، ويؤرخون السنة القبطية الأولى بتوليه الملك فى ٢٨٤ ميلادية ؟ واذا كان هذا جائزا أيام أن كانت للوثنية الغلبة السياسية ، فكيف يكون جائزا بعدما أصبحت المسيحية الدين الرسمى للامبراطورية الرومانية فى عهد قسطنطين ولما ينقض عشرون عاما على اعتزال دقلديانوس عرش الامبراطورية؟

لهذا وجدت أن من حقى أن أفترض أن عمود السوارى لم يقم تخليدا لدقلديانوس ، وانما أقيم تخليدا لشخصية لها بين المصريين ذكرى طيبة ، وليس بين حكام مصر فى تلك الفترة اسم يقرب من اسم سويروس Severus الا سروايوس الافريقى Serv.eus Africanus الذى كان محافظا فى الاسكندرية أو ما يشبه ذلك فى ٢٨٨ ميلادية ، أى قبل نشوب ثورة آخيل بثمان سنوات .

وأخيرا فان شخصية شبيو الأصفر شخصية مبتكرة أيضا ، ولكنى توخيت فى بنائها ما عرف عن آل شبيو الخالدين من رجاحة عقل وحكمة فطرية وايمان بالفضيلة وخدمة الوطن فى عزة ونبل دون اسفاف. الى المستويات الوحشية التى بلغها الكثيرون من الرومان فى اقامة أركان امبراطوريتهم .

تقول : وماذا بقى من التاريخ بعد كل هذا التصرف والابتكار؟ وأجيب على هذا ببساطة : نعم ، بقى جوهر التاريخ .

فى مجال الشخصيات بقى آخيل ، أو دومتيوس دومتيانوس فى الجانب المصرى ، وبقى دقلديانوس فى الجانب الرومانى ، وهما قطبا الصراع من الناحية الرسمية والعسكرية ، أى هما قطبا الصراع أمام التاريخ .

أما لوشيوس دومتيوس دومتيانوس فقل ما يعرفه عنه المؤرخون ، والمعروف عنه لا يتجاوز كثيرا أنه كان قائدا رومانيا فى الاسكندرية عام ٢٩٦ ، أى عام أن نشبت الثورة ، وأن الاسكندريين كانوا ـ لعلة ما ـ يلقبونه بآخيل ، وانه ثار على سلطان روما واستقل بالبلاد ، ورضى به الشعب امبراطورا على الاسكندرية ، وانه سك العملة بصورته وقد بقيت منها نماذج بعضها اليوم فى المتحف البريطانى . فاضطر دقلديانوس الى قيادة الحملة على مصر بنفسه ، وحاصر الاسكندرية ثمانية شهور ، ولم يستطع فتح المدينة الا بعد أن تمكن من قطع القنوات التى كانت تغذيها

بالمياه ، فسلمت الاسكندرية ودخلها دقلديانوس وأشاع فيهاالدمار الرهيب على النحو الذى وصفه جيبون فى « تصدع الامبراطورية الرومانية وانهيارها » ، وغير جيبون ممن تعرضوا لثورة آخيل . وقد توخيت الدقة فى كل ما أوردته من وقائع تاريخية خاصة بثورة دومتيوس دومتيانوس وبكل ماسلفها من ثورات ، ولاسيما ثورة أميليان وفرموس ، كما توخيت الدقة فيما ذكرته من مراكز المقاومة داخل مصر ، سواء أكانت قفط أو ابو صير أو طيبة ، وتوخيت أن ألزم حدود التاريخ فى وصف علاقات المصريين والرومان بالنوبيين وقبائل البليمى على تخومها الجنوبية .

غير انى أبحت لنفسى أن أجتهد فى بعض التفسيرات ، فذهبت الى أن دومتيوس دومتيانوس لم يكن مجرد قائد فى جيش روما وانما كان الوالى فى الاسكندرية ، سواء بقوة القانون أو بقوة الأمر الواقع ، نظرا لعدم اهتداء المؤرخين الى اسم الوالى الرومانى الذى كان يحكم مصر فى ٢٩٦ ميلادية ابان ثورة آخيل ، مما يرجح أن أمر السلطة فى تلك الفترة لم يكن واضحا ، وأن السلطة الفعلية كانت فى يد دومتيوس دومتيانوس. أما معالم شخصية دومتيانوس أو دوافعه للقيام بهذه الثورة على الامبراطورية الرومانية فالتاريخ لا يعرف عنها أدنى شىء . وقد أتاح لى هذا الغموض أن أبنى شخصيته وأن أصور دوافعه بما يتمشى مع فهمى لمشاكل الامبراطورية الرومانية فى هذه الفترة ، ومع مقتضيات البناء الدرامى . أما زوجته فاوستينا فهى من خلق الخيال .

كذلك أذنت لنفسى أن أذكر قبائل البليمى على أنها قبائل أبريم ، فقد كان مركز البليمى فى منطقة أبريل ، ولا نعرف أن كان البليمى اسما مختلفا عن ابريم ثم درس مع الزمن أم أنه نفس الاسم محرفا فى حرفه السائل كما يقول علماء اللغة ، وهو تحريف أشيع مايكون فى المنطقة . كذلك أبحت لنفسى أن اسمى قبائل النوبات قبائل النوبيين للسبب عينه ، واستنادا الى جيبون .

اما كل ما ورد من تحركات هؤلاء وأولئك فمستمد من وقائع التاريخ .

كذلك لزمت الدقة التاريخية فى سائر الوقائع التى أوردتها عن الامبراطور دقلديانوس ، فيما خلا وصف الطريقة التى استولى بها على الاسكندرية التى لا يروى التاريخ عنها الا انه قطع عنها قنوات المياه بعد ثمانية أشهر من الحصار ، فتفاصيل المعركة الفاصلة فى الاسكندرية ليس لها أى سند تاريخى الا فى حدود ما ذكرت ، وقد اكملت التاريخ الناقص بتصورات الخيال . أما تصوير شخصية دقلديانوس فقد توخيت فيها أن أتجنب رأى الكنيسة الرسمى ، وهو أنه كان شيطانا مريدا ، وأن أتجنب رأى جيبون فى تحليله الممتع لخلقه ، لأن جيبون كان سخيا معه أشد السخاء . وقد رجحت أن سخاء جيبون مع دقلديانوس كان مرده احتقاره للمصريين بوجه عام وبغضه لتعصب مسيحيى الامبراطورية الرومانية بوجه خاص ، وتنديده بميلهم الى الشغب . لهذا رأيت أن ألزم الاعتدال فى تصويرى لشخصية دقلديانوس فأبنى شخصيته من مقدمات حياته التى يعرفها التاريخ ، وان كنت قد استعنت بجيبون فى بعض ما ألقيت من أضواء على هذا السفاح العظيم .

وشخصية قسطنطين — كما هو معروف — شخصية تاريخية، وقد توحدت الامبراطورية تحت عرشه بين ٣٢٣ و ٣٣٧ ميلادية. كذلك نسبه الى الامبراطور كونستانس وهيلانة ثابت تاريخيا . ولكن الذى اختلف فيه المؤرخون هو شخصية هيلانة نفسها التى يدعيها كل لأمته . فهى عند جيبون ، بناء على مصادره طبعا ، بريطانية تزوجها كونستانس أيام أن كان يحكم بريطانيا وفرنسا واسبانيا من القصر الامبراطورى فى يورك ، وهى فى «السنكسار» — وهو تاريخ الشهداء المصريين — مصرية عرفها كونستانس حين زار مصر ورآها بمدينة الرها ففتن بجمالها وتقواها ، فتزوج منها وانجبت له قسطنطين ، وهى تسمى فى « السنكسار » : «القديسة

هيلانة المصرية» ، ولها يوم مخصص لها فى السنة القبطية تحتفل فيه الكنيسة المصرية بعيدها .

اما قداسة هيلانة فقد اتفقت كل المصادر على أنها أول من اكتشف صليب المسيح ، أو قطعة منه على الأصح ، أثناء اقامتها ببيت المقدس لتؤدى فريضة الحج . وتجرى فى ذلك روايات أو اساطير متعددة ، ثم ان هيلانة هى أم قسطنطين ، وهو أول امبراطور رومانى أعلن أن الدين المسيحى هو دين الامبراطورية الرسمى ، والمعتقد أنها علمت ابنها مبادىء المسيحية سرا وهى تعيش فى بلاط وثنى ، مما غير مجرى التاريخ فى الامبراطورية الرومانية ، بل مما غير مجرى التاريخ جملة . فلابدع بعد كل هذا أن تتنازع أكثر من أمة منبت هيلانة من باب المباهاة والتبرك . وقد وجدت أن من حقى أن آخذ بالرواية المصرية الواردة فى « السنكسار » من دون الرواية الأوربية الواردة فى جيبون وغيره من المؤرخين .

ومادمت قد افترضت أن هيلانة أم قسطنطين كانت مصرية ، فقد كان من الطبيعى أن أحاول أن أربط بينها وبين مختلف الحركات الاستقلالية التى ظهرت فى مصر ولا سيما ثورة آخيل ، فجعلتها المحرك الخفى لهذه الثورة الاستقلالية وهى قابعة فى منفاها ببيزنطة ، بعد أن طلقها كونستانس بضغط من دقلديانوس كما يروى التاريخ ليزوجه زواجا سياسيا من بنت مكسيميان ، شريكه فى الامبراطورية ، وقد تم هذا الطلاق حين كان الأمير قسطنطين فى الثامنة عشرة من عمره أى قبيل ثورة آخيل بسنوات قليلة ، ففى ٢٩٦ ميلادية كان عمر الأمير قسطنطين يتجاوز العشرين بسنوات قليلة . افترضت أن الامبراطورة هيلانة المصرية بدافع الوطنية وبدافع حقوقها وحقوق ولدها الشرعية المغتصبة ، آزرت ثورة آخيل سرا لتنصب ابنها امبراطورا على الدولة الرومانية كلها بحيث ينقل حاضرة الملك الى الاسكندرية ، وهو مشروع سياسى ليس فى أسانيد التاريخ ما

يشير اليه : ولكن ظروف هيلانة وقسطنطين توحى بجوئزه من حيث الدوافع الانسانية .

وقد ذكرت كل هذه التفاصيل الخاصة بمادة هذه الدراما التاريخية لأبين للقارىء الذى يجهل المصادر أين ينتهى التاريخ فيها وأين يبدأ الخيال حتى لا يختلط عليه الأمر فيحسب أن أكثر مايراه من حقائق التاريخ ، فيعتمد عليه اعتماده على الوقائع العلميــة الثابتة .

وبعد ، فما كل هذه الحقائق والأساطير التاريخية الا الاطار أو الرحم الدافىء الذى وجدته لازما لنمو هذا الكائن العضوى ، وهو المأساة بأبطالها المختلفين الذين يحمل كل منهم مشكلته كما يحمل مصيره الأسيف داخل الاطار الاكبر وهو مشكلة الوطن ومصيره الاسـيف .

هذه المعلومات التاريخية التى كانت مستقرة عند العلماء حتى نحو ١٩٣٥ عن ثورة لوشيوس دومتيوس دوميتيانوس الذى اشتهر بين أهل الاسكندرية باسم آخيليوس أو آخيل ، تجدها فى جيبون وعامة المؤرخين التقليديين ، كما تجدها فى أبحاث العلماء المحدثين من علماء البردى وعلماء النقوش والنقود ، ولاســيما عالم البردى العظيم فيلكن ، وهى المعلومات التقليدية التى بنيت عليها الهيكـل التاريخى فى هذه الدراما .

ولكن هذه ليست نهاية القصة . فقد حدثت فى الفترة الأخيرة مفاجأة علمية ضخمة قلبت نظريات المؤرخين رأسا على عقب حـين خرج العلامة بوك بنظرية جـديدة تقول ان دومتيوس دومتيانوس وآخيل شخصان تاريخيان مختلفان لاشخص واحد كما كانت تقول الاسانيد التاريخية منذ القرن الرابع . وظلت المناقشة فى هذا الامر سجالا بين فيلكن ومن ذهبوا مذهبه وبين بوك ومن ذهبوا مذهبه حتى أعلن فيلكن اقتناعه أخيرا بنظرية بوك وعدل عن نظريته التقليديــة التى

نحا فيها بناء على ما قرأه من نصوص بردية مكتشفة منحى قدماء المؤرخين .

فالمصادر الأدبية القديمة والمصادر التاريخية القديمة مثل «تاريخ» يوسبيوس لا تعرف الا اسم آخيل على انه القائم بهذه الثورة فى الاسكندرية . ثم عثر على بعض النقود التى سكت فى الاسكندرية ، ومنها ما وجد فى مصر ومنها ما وجد فى بلاد الفال (فرنسا القديمة) ، وعثر على بعض البرديات القليلة التى جعلت فيلكن واشياعه يجزمون بان آخيل هو نفس دومتيوس دومتيانوس. فمن نماذج النقود التى عثر عليها العلماء العملة المنشورة صورتها على غلاف هذا الكتاب ، وهى ترجع الى ٢٩٦ ميلادية أو نحوها ، وقد نقش على وجهها مع صورة الامبراطور المكلل بالغار عبارة « دومتيانوس سيب » بالحروف اليونانية وهى اختصار «دومتيانوس سيباستوس» ، ونقش على ظهرها حول صورة المراة المجنحة حرف «ل» وحرف «ب» باليونانية وهو تاريخ اصدار العملة . أما كلمة « سيباستوس » فهى الكلمة اليونانية المقابلة لكلمة « اغسطوس » اللاتينية ، ومعناها «العظيم» ، وهى اللقب الرسمى لاباطرة الامبراطورية الرومانية منذ اغسطوس قيصر خليفة يوليوس قيصر. وظهور النقش على العملة بالابجدية اليونانية وباللقب الامبراطورى الرومانى الرسمى مترجما الى اليونانية له دلالة واحدة وهو ان دومتيوس دومتيانوس حين قام بثورته انما قبل التمشى مع تقاليد الاسكندرية التى كانت يونانية الثقافة يونانية الشخصية منذ البطالسة ، ورمز هذا القبول تخليه عن اللغة اللاتينية ، وهى لغة روما ، هجاء وعبارة . كذلك حرف «ل» فى اليونانية يرمز الى كلمة «اتوس» أى «من عام» وحرف «ب» (بيتا) وهو ثانى حروف الهجاء باليونانية يرمز الى السنة الثانية من حكم دومتيوس دومتيانوس ، واللاتين يستعملون كلمة «انو» بمعنى «من سنة» لا رمز كلمة «اتوس» طبعا . اما تلقيب دومتيانوس بسيباستوس اى اغسطوس

فيستفاد منه أن دومتيانوس لم يقنع بالقـــاب الملك المحليـــة فى الاسكندرية ، وانما اصطنع لنفسه نفس اللقب الامبراطورى الذى يستخدمه اباطرة روما ، بما يوحى انه لم يعلن نفسه امبراطورا على الاسكندرية وحدها بل اعلن نفسه امبراطورا على العالم الرومانى كله بدل دقلديانوس .

وقد عثر فى الاسكندرية فى أواخر القـــرن الماضى على نقش يونانى خاص بكلوديوس فيرموس ، صاحب ثورة فيرموس التـــى نشبت ايام الامبراطور اوريليان والتى تقدم ذكرها ، موصوفا بكلمة « ايبانورثوتيس» وبحسب ما ذكر الاستاذ ش . هـ . روبرتس فى الجزء الاول من «برديات ميرتون» الذى وضعه مع ايدريس بـــل (ص ١٥٨ وما بعدها) تدل المصادر التاريخيـــة على ان كلوديوس فيرموس كان واليا على مصر فى ٢٦٤/٢٦٥ ميلادية معينا من قبـــل امبراطور روما طبعا ، وان كان اسكندرى الموطن. واللغز المحير فى هذا أنه وهو الوالى يلقب فى النقش بلقب «ايبانورثوتيس» . فلقب ايبانورثوتيس هذا كان اللقب اليونانى المألوف لأى مبعوث خاص أو مندوب سام يرسله امبراطور روما الى الولايات الرومانية أو المدن الحرة فى اسيا أو اخايا ، وفى القرن الثالث الميلادى عرفت ايطاليـــا نفسها اشخاصا عينوا فيها فى هذه الوظيفة ، وكان الرومان يسمون هذا المفوض السامى باللاتينية «كوريكتـــور» أى « المصـــلح » أو «المصحح» وكلمة « ايبانورثوتيس » اليونانية تعنى اشتقاقا نفس المعنى ، أى تعنى «المصلح» .

والمفروض فى «المصلح» هذا انه مبعوث بسلطات أعلى مـــن سلطات الوالى يوفده الامبراطور لاصلاح حال الولاية اذا اضطرب حالها واختلت امورها لدرجة تحتاج الى تدخل امبراطورى . ولم يعرف فى التاريخ ان مصر كانت من بين البلاد التى كان يوفد اليهـــا «مصلح» أو «كوريكتور» أو «ايبانورثوتيس» ، ولكن يبدو أن أحوالها اضطربت فى النصف الثانى من القرن الثالث الميلادى الى حد دعـــا

الي ايفاد «مصلحين» اليها يفتشون فى أعمال الولاة ويرفعون المظالم عن الناس .

وقد وجدت فى مضر برديتان تلقيان ضوءا على العمل بنظام المصلح هذا فى مصر الرومانية وكلاهما من عهد دقلديانوس ولغتهما يونانية . أما الاولى وهى فى متشجان فقد نشرها العلامة ونتر سنة ١٩٢٧ ، وهى ترجع فيما يقال الى ٢٩٦ ميلادية ، وهى تشير الى « ايبانورثوتيس أخيليوس » الى « المصلح آخيل » . وقد ذهب فيلكن وغيره ان المصلح آخيل هذا ليس الا دومتيوس دومتيانوس الذى قام بثورة فى صعيد مصر فى ٢٩٤ — ٢٩٥ ميلادية حسب تقديره ثم حاصره دقلديانوس فى الاسكندرية وقمع ثورته . وقد قبل العلماء هذا الرأى لان اسم الثائر المتواتر فى النصوص الادبية والتاريخية القديمة هو آخيل . غير ان ونتر حين اعاد نشر هذه البردية انتهى الى ان لقب «المصلح» كان فى مصر لقب وظيفة مدنية ، مستشهدا فى ذلك ببردية اخرى باليونانية فى القاهرة وجدت حديثا . مؤرخة فى السنة الثانية من حكم ل. دومتيوس دومتيانوس وفى هذه البردية يظهر اسم المصلح اوريليوس آخيل « ايبانورثوتيس اوريليوس اخيليوس» لا على انه الثائر نفسه ولكن على انه موظف فى خدمة هذا الثائر . وفى هذه البردية تظهر اسماء ثلاثة اشخاص : اسم دومتيوس دومتيانوس مغتصب العرش ، واسم آخيل بوصفه «مصلحا» عينه دومتيانوس ، واسم ايبارخوس وهو الوالى الشرعى الذى عينه دقلديانوس . وقد استخلص روبرتس من ابحاثه أن وظيفة «ايبانورثوتيس» أو «المصلح» هذه كانت وظيفة مدنية سامية تشمل واجباتها النظر فى القضايا وتمتد ولايتها على مصر كلها على الارجح . وفى بعض النصوص نجد «المصلح» يباشر سلطاته جنبا الى جنب مع «الوالى» بينما فى نصوص أخرى نجد ان سلطته اعلى سلطة فى البلاد ، وان كان من الجائز افتراضا أن « المصلح » مارس هذه السلطة العليا نظرا لغياب الوالى الشرعى أو لعدم وجوده ، ولكن

هذا الافتراض مستبعد لأن من المستبعد أن يسمى الوالي المرؤوس الذي يعينه ايا كان قدره باسم «المصلح» ، وهو مندوب سام بحسب تقاليد الرومان كان لا يوفد الا في أحوال خاصة لفتح دفاتر الولاة وكبار الموظفين كلما اشتد في الحكومة الامبراطورية بروما عدم الارتياح الى الطريقة التي تدار بها ولاية من الولايات أو كثر الاضطراب في هذه الولاية . ومما يجدر بالذكر أن النصوص تذكر « مصلحا » في فترة قريبة اسمه « ايبانورثوتيس ثيودوروس » أي «المصلح ثيودور» وقد رأي الاستاذ شتاين ان المصلح ثيودور هذا هو نفس كلوديوس تيؤدوروس الذى ورد اسمه في بردية ستراسبورج ، وقد عين هذا «مصلحا» في مصر عام ٢٥٨ ميلادية ايام أن كان ل. موسيوس اميليانوس ، او باختصار اميليان ، واليا عليها بين ٢٥٧ و٢٥٩ ميلادية . واميليان هو صاحب الثورةالمشهورة التى اعان فيها استقلال مصر عن الامبراطورية الرومانية كما ذكرنا.

وقد كان اكتشاف هذه البرديات هو بداية البلبلة التى أحاطت بشخص دومتيوس دومتيانوس فى السنوات الاخيرة . فكيف يكون آخيل ودومتيوس دومتيانوس شخصا واحدا ، كما كان يقول فوجت وفيلكن ، اذا كانت بعض البرديات تذكر آخيل على أنه «مصلح» فى عهد دومتيوس دومتيانوس . انظر الى كتاب ونتر «برديات متفرقة» الصادر عن جامعة مشيجان فى ١٩٣٦ تجده فى ص ٢٩١ وما بعدها يحلل بردية ترجع الى ٢٩٦ ميلادية تشتمل على رسالة من بانيسكوس الى بلوتوجينيا. وقد نشرت هذه الرسالة لأول مرة فى ١٩٢٧ ، وهى التى اعتمد عليها فيلكن وكوبتشيك الخ . . فى القول بان «المصلح آخيل» الوارد ذكره فى البردية هو عين دومتيوس دومتيانوس اعتمادا على أن المصادر الادبية لا تعرف ثائرا فى هذه السنة الا آخيل واهمها «خرونيكون» أو «تاريخ» يوسبيوس ، بينما دراسات النقود كما قال كوبتشيك لا تعرف ثائرا الا دومتيوس دومتيانوس . وبعد ان نشر الاستاذ بوك بردية القاهرة

رقم ٥٧٠٥٩ وحللها أجلى كل غموض . فالبردية تذكر « المصلح اوريليوس آخيل» وتقول بعرض «الدعوى» عليه ، وهى تذكر تاريخ الرسالة فى السطر ٣١ أنه السنة الثانية من حكم دومتيانوس سيباستوس الذى تحدثنا عنه النقود . وبناء عليه فهذه البردية تصور اوريليوس آخيل على انه كان « مصلحا » يشغل وظيفة مدنية بموجبها يفصل فى دعاوى الناس . وانه كان يخدم فى عهد دومتيوس دومتيانوس ، فآخيل اذن ليس مغتصب عرش الامبراطورية الرومانية من دقلديانوس ولكنه موظف فى خدمة المغتصب دومتيوس دومتيانوس . ويجزم ونتر بان اوريليوس آخيل المذكور فى بردية القاهرة هذه هو نفس اخيليوس الواردة ذكره فى بردية جامعة مشيجان المرقومة ٣/٢٢٠ ، فالخطاب الوارد فى الأولى مؤرخ ١٢ توت وتاريخ بردية القاهرة ٨ توت ، وكلاهما محرر فى الايام الاولى من السنة الثانية (ايتوس بيتا) من حكم دومتيانوس سيباستوس . ففى رأى كوبتشيك أن السنة الثانية من عهد دومتيانوس بدأت فى ٢٩ أغسطس ٢٩٦ (انظر محاضر اكاديمية العلوم فى فيينا — الفلسفة والتاريخ ، ٢٠٨ أول ، ١٩٢٨ ، ص ١ — ٣٦) . وليس معنى هذا ان دومتيانوس أو اخيليوس حكم سنتين كاملتين ، فالمعروف ان السنة المصرية ، التى تسمى القبطية الآن ، كانت تبدأ فى ١ توت المقابل ليوم ٢٩ اغسطس بالتقويم الرومانى . والمتفق عليه بين العلماء الآن ان ثورة دومتيانوس قامت فى يوليو ٢٩٦ وانتهت فى فبراير ٢٩٧ بعد انقضاء ثمانية شهور على استقلال مصر . وقد جرى العرف بين القدماء ان يبدءوا السنة فى حكم كل عاهل بتاريخ ٢٩ اغسطس وهو بداية السنة الزراعية المستقرة فى مصر . وبهذا تحسب السنة الأولى فى حكم دومتيانوس من قيام الثورة فى يوليو ٢٩٦ الى ٢٩ اغسطس من نفس السنة ، ثم تبدأ السنة الثانية من حكمه التى لا تنتهى نهاية طبيعية بل تنتهى فى فبراير ٢٩٧ . ومعنى هذا أن السنة الاولى كانت مجرد شهرين الى ثلاثة والسنة الثانية نحو ستة شهور ، وهذا مجموع حكم دومتيانوس

وهو ثمانية شهور . ومن ابحاث جون جاريت ونتر المنشـــورة فى كتابه المذكور فى ١٩٣٧ ننتهى بنتيجة واضحة وهى ان قراءةالبرديات المكتشفة تدلنا على ان آخيل لم يكن اسم الشهرة لدومتيانـوس ، وانما كان «الابانورثوتيس» أو «الكوركتور» او «المصلح» فى عهـــد دومتيانوس ، وان وظيفته كانت وظيفة مدنية لا عسكرية قوامهـــا النظر فى الشكاوى ورفع المظالم ، وفقا لاختصاصات «الكوريكتور» أو المندوب المصلح الذى كان يعينه اباطرة روما كلما ساءت الامـور فى ولاية من الولايات الرومانية .

اما بردية القاهرة رقم ٥٧٠٥٩ التى أحدثت كل هذا الانقلاب فى تفكير المؤرخين عن العلاقة بين شخصية دومتيـوس دومتيانوس وشخصية اخيليوس ، والتى نشرها ا.ا.ر. بوك استاذ علم البردى بجامعة مشجان ، فهى ترجع الى ٢٩٦ ميلادية ، (انظـــر النص فى مجلة «الدراسات البردية» الصادرة عن جمعية فؤاد الاول البردية ، الجزء الخامس ، المطبوعة فى المعهد الفرنسى للاثار الشرقية بالقاهرة فى ١٩٣٩ ، ص ٨٥ وما بعدها) . والبردية عبارة عن عريضة مقدمة الى شخص يدعى اوزيليوس ليونتيوس ، ويلقب أيضا بايسيدور فى البردية ، وكانت وظيفته نائب المصلح أو ممثـل «الايبانورثوتيس» فى اقليم أرسينوى ، وهو مديرية الفيوم . ومقدمة العريضة أختان هما اوريليا ثايسيس واوريليا كيرلس ، بنتا رجل يدعى كوبريس ، من قرية كارانيس ، وهى كوم اوشيم حاليا ، عن طريق خالهمـــا ووكيلهما الرسمى اوريليوس امونيوس بن ايسبدور .

ولا بأس من ان نورد هنا موضوع هذه العريضة لطرافتـها ، فشكوى البنتين تتلخص فى أن زوجة ابيهما ، واسمها غير مذكور فى البردية ، رغم اعترافها بأن أباهما المتوفى لم يكن مدينا لها بشىء قبل وفاته ، جعلت أباها يغتصب ٢٧ رأسا من الغنم من قطيع أبيهما ، ثم زعمت أن أباهما المتوفى كان مدينا لها بحلية ذهبية قيمتها « مينا » واحدة ، أي ١٠٠ درهم و ١٠٠ دراخمـة تســـاوى خروســيون

باليونانية « قرش ؟ » او أوريوس باللاتينية ، اى « ذهب » ... ولكنهما عجزت عن اثبات هذا الادعاء لأنها لم تستطع تقديم اى دليل الا الدليل الشفوى . ثم ابرزت زوجة الاب بعد ذلك عقدا زعمت ان زوجها المرحوم حرره أثناء حياته وأثبت فيه حقها فى نصف جارية كان يملكها ، وكان ذلك بمثابة ضمان لمهرها الذى سبق أن أنفقه ، اى أنه رهن لها حصة النصف فى الجارية مقابل مهرها الذى اتى عليه . وتذهب البنتان الشاكيتان الى أن زوجة ابيهما لاتستطيع أن تقيم الدليل على ادعائها الحق فى نصف الجارية لان القانون يحتم ان يقوم المهر المدون كتابة بمعرفة صائغ ان كان حليا أوأدوات معدنية وبمعرفة خياط ان كان ملابس . وتذهب البنتان الى ان عقد المهر وعقد الضمان فى نصف الجارية باطلان . وهما تنتظران ان تقدم زوجة ابيهما الى المصلح نفسه بعض المعلومات او المستندات الخاصة بهذه التركة ، وهما تلتمسان تخويل وكيلهما ليونتيس مطالبتها بصور من هذه الوثائق حتى تتمكنا من فحصها والتثبت من صحتها والدفاع عن دعواهما فى محكمة «المصلح» . وتختم الفتاتان العريضة بتذكير «المصلح» بانهما من دافعى الضرائب المنتظمين ، وهى صيغة مألوفة فى امثال هذه العرائض الخاصة بالدعاوى المدنية .

اما من الناحية التاريخية فأهم ما ورد فى هذه البردية هو الاشارة الى اوريليوس اخيل وهو القائم بنظر الدعوى ، ورئيس ليونتيوس المقدمة اليه الدعوى . ويقول بوك أن آخيل «المصلح» هذا هو نفس الايبانورثوتيس الوارد ذكره فى بردية متشجان ٣/٢٢٠ وهى مؤرخة فى نفس الشهر الذى كتبت فيه بردية القاهرة . ويرى الاستاذ بوك ان تاريخ البردية بالسنة الثانية من عهد دومتيوس دومتيانوس يدل دلالة قاطعة على ان دومتيانوس كان صاحب السلطة العليا ، وان له عهدا يؤرخ به كما يؤرخ بعهود الاباطرة ، وان «المصلح» آخيل المشار اليه فى البردية لا يمكن ان يكون هو نفس

دومتيوس دومتيانوس ، بل هو مجرد «مصلح» عبنه دومتيانوس له «نائب مصلح» فى مديرية الفيوم ، وان هذا المصلح كان يملـــك سلطات قضائية جرت العادة ان تكون فى يد الوالى ، ولكننا نجدهــا تنتقل الى يد «المصلح» فى ظروف استثنائية يتكشف فيها ســـوء حال البلاد وانتشار المظالم مما يدعو الامبراطور الى تعيـين وصى مؤقت على الوالى . وأيا كان الامر فاننا نجد فى البردية مشـيجان ٣/٢٢٠ أن الوالى كان غائبا فى الصعيد فيما وراء مدينة قفـــط . ويقول بوك ان غياب الوالى فى الصعيد قد يفسر تعيينه «مصلحـــا» يقوم ببعض اختصاصاته اثناء غيابه . وعلى كل حال فبحث الاستاذ م . بنييه فى « المغتصب آخيل ولقب المصلح » المنشور فى تقارير اكاديمية النقوش والاداب (باريس ١٩٢٩ ص ٢١٦ ــ ٢٢١) يــدل على وجود مصلح آخر من نوع آخر فى مصر ابان القرن الثالـــث الميلادى . كذلك من غير الواضح شخصية هذا الوالى الغائـب فى الصعيد ، أهو الوالى الثورى الذى اضطرته ضرورات الثورة أن ينتقل الى الصعيد الاعلى والذى عين آخيل مصلحا أثناء غيابه، أم هو الوالى الشرعى الذى يمثل الامبراطور دقلديانوس وقد فر الى الصعيـد الاعلى امام قوات الثوار . كذلك غير واضح ما كان يفعله هذا الوالى جنوب قفط وهل له علاقة بتحركات قبائل البليمى وقبائل النوباتاى التى حدثتنا المصادر التاريخية عن دورها فى ثورات مصر الاستقلالية ابان القرن الثالث الميلادى .

وللعلامة الان جونسـون بحث هام عن « لوشيوس دومتيوس دومتيانوس أوغسطوس » نشره فى مجلة «كلاسيكال فيلولوجى» عدد يناير ١٩٥٠ ، الجزء ٤٥ (ص ١٣ــ٢١) . واهمية جونسـون انه من فطاحل العلماء فى اقتصاديات العالم القديم .

فكل ما تقدم يثبت ان دومتيوس دومتيانوس وآخيل شخصان مختلفان ، وان الثائر على دقلديانوس المغتصب لعرش الامبراطورية كان دومتياتوس وليس آخيل ، كما يكاد يثبـــت ان دومتيانوس

بوصفه الامبراطور الجديد على الامبراطورية الرومانية عين آخيل فى وظيفة «مصلح» فى مصر ببعض سلطات الوالى أو بجميعها . اقول « يكاد » يثبت لأن مصدر سلطة آخيل لايزال الى الان غير معروف ، وكل ما نستطيع ان نقطع به فى المرحلة الحالية هو أن ذكرهما فى بردية واحدة يدل على شرعية سلطات آخيل فى عهد دومتيوس دومتيانوس . كذلك يستفادمن كل هذه الشواهد أن دومتيانوس ، وان كان قد قام بثورته على دقلديانوس فى مصر ، الا انه يرجح انه لم يكن محصور الاطماع فى نطاق مصر بل كان ذا اطماع عالمية على نطاق الامبراطورية كلها . ولا يستفاد هذا من مجرد تلقيبه نفسه على عملته التى سكها بالاسكندرية بلقب «سباستوس» أى «اغسطوس» متشبها بأباطرة روما ، ولكن يستفاد ايضا من عثورنا على عملات برسمه فى بلاد الغال ، مما يوحى بانه نجح ابان حكمه الوجيز فى ايجاد صلة اخذ وعطاء مع بلاد الغال ، سواء بالتجارة أو بغيرها . وعلى كل حال فتواطؤه فى توقيت ثورته مع جوليان فى قرطاجنة ليثور على روما فى الوقت نفسه ومع موريتانيا فى المغرب الاقصى يدل على سعة اتصالاته وقوتها وربما يوحى بان مؤامرة عزل دقلديانوس كانت اوسع نطاقا مما يبدو للعيان ، ولعل بعض رومان روما انفسهم كانوا ضالعين فيها بسبب طغيان دقلديانوس أو بسبب مسلكه مع الاديان المختلفة فى الامبراطورية . والدليل الاقوى على أن وضع دومتيانوس اغسطس كان على مستوى الامبراطورية هو اقدامه على تعيين كوريكتور أو مصلح يمثله فى مصر ، فلو كانت سلطته ودعاواه قاصرة على عرش مصر لما احتاج الى تفويض هذه السلطات الى مصلح على النهج الذى انتهجه اباطرة روما .

ويقول جونسون ان ماوجد من نقود باسم لوشيوس دومتيوس دومتيانوس كله صادر فى السنة الثانية من حكمه لسبب بسيط وهو أن السنة الاولى من حكمه لم تتجاوز شهرين ولعله لم يسيطر على دار سك النقود فور قيامه بالثورة ، وقصر هذه

الفترة نفسه يفسر أيضا عدم وجود وثائق بردية من السنة الاولى من حكمه . وهذه النقود من نوعين ، بعضها من النـــوع المألوف سكه فى الاسكندرية قبل عهده من فئة الثلاثة دراهم وبعضـــــها من النوع البرونزى على غرار العملة الامبراطـــورية التى بـــدأ دقلديانوس فى سكها نحو ٢٩٣ ميلادية . ومن رأى جونسون بناء على دراساته فى وثائق الفتـــرة المتعلقة بالضرائب وتموين الجيوش وما الى ذلك أن ثورة دومتيانوس نشبت فى وقت ما بين ٢٣ يوليو و٢٩ أغسطس ٢٩٧ وانه لم يسيطر على الفيوم قبل نهاية يوليـــو ولم يسيطر على دار سك النقود فى الاسكندرية قبل نهاية الســـنة الاولى من حكمة ، أى قبل ٢٩ أغسطس ٢٩٧ ، وأن الثورة ســـحقت فى ربيع ٢٩٨ .

ويرجح جونسون أيضا أن أخيل كان قد عينه دقلديانوس أولا فى وظيفة « المصلح » ثم انضم الى دومتيانوس حين قام هذا بثورته على دقلديانوس . ويجيب جونســـــون على السؤال الحائر : لماذا خلت كتب المؤرخين القدماء من اسم دومتيوس دومتيانوس ولم تذكر الا اسم أخيل ثائرا على دقلديانوس ؟ بقوله انه من الجائز أن دومتيانوس كان قد صفى فى المراحل الاولى من الثورة وبقى أخيل وحده فى الميدان وكان المسئول عن ذلك الدفاع المستميت عن الاسكندرية اثناء حصار دقلديانوس لها بما جعل فضـــــل قيادة الثورة ينسب اليه بصورة طبيعية .

ويستفيد جونسون من هذا التغيير الذى يقترحه لسنة وقوع الثورة ليخرج برأى جديد وهو أن الثورة نشبت فى مصر نتيجـــة للاصلاحات الاقتصادية والادارية التى أدخلهـــا دقلديانوس وينفى بذلك أن دقلديانوس أدخل اصلاحاته بعد قمع الثورة حتى تستتب الاحوال ، وهو الرأى الشائع بين المؤرخين . فمن هذه الاصلاحات مثلا نظام الضرائب الجديدة الذى أدخله دقلديانوس فى مصر بمرسومه على اساس الأنتاج اى على اساس الرأس والوحدة الزراعية . فهو

يوحد الضريبة على الرأس بين الذكور ويوحد الضريبة على الأطيان بحساب الانثى نصف الذكر ويوحد الضريبة على الاطيان بحساب الارورة ، وهى نحو ثلثى الفدان ، أو ما يستطيع رجل واحد أن يزرعه فى السنة بمفرده . وبرى جونسون ان هذه الاصلاحات انزلت اضرارا فادحة بالطبقات الممتازة ولا سيما اليونان الذين كانوا يدفعون ضريبة رأس وضريبة عقارية أقل مما كان المصريون يدفعون كما أنهم كانوا يتمتعون باعفاءات كثيرة . كذلك يرى جونسون أن توحيد دقلديانوس للعملةفى مصر ، بل فى الامبراطورية كلها ، وهو يعد أحد اصلاحاته ، ربما خدش شعور الاسكندريين الذين كانوا دائما يفاخرون بوضع مدينتهم الممتاز .

ثم هو يضيف الى ذلك عاملا هاما وهو اعادة دقلديانوس تقسيم مصر اداريا بتقسيمها الى ثلاثة أقاليم هى اقليم طيبة ويشمل الصعيد الى البهنسا وأقليم هرقليا ويشمل مصر الوسطى وأقليم جوفيا ويشمل الوجه البحرى بما فيه الاسكندرية . وقد كان معنى هذا التقسيم الجديد أن تفقد الاسكندرية مركزها الممتاز الذى اعترف به كل الاباطرة من قبل وأن تصبح مجرد عاصمة لاقليم من اقاليم مصر . فالثورة على دقلديانوس اذن عند جونسون كانت ثورة قامت بها الطبقات الممتازة فى مصر ولا سيما فى الاسكندرية ، وكان قوامها من اليونان والرومان المحليين ، ولا سيما اليونان الذين يمثلون اغلبية الاجانب المستوطنين ، وعنده ايضا أنها كانت ثورة طبقات التجار وأرباب الحرب اساسا سواء فى الاسكندرية او فى قفط ممن آذتهم اصلاحات دقلديانوس الاقتصادية والادارية وحرمتهم من اعفاءاتهم وامتيازاتهم كما خدشت كبرياء الاسكندرية بتحويلها الى مجرد مدينة من مدن مصر . فاصلاحات دقلديانوس المشهورة لم تكن نتيجة الثورة ولكن الثورة كانت نتيجة هذه الاصلاحات . كل هذه الافتراضات دعت جونسون الى تأجيل تاريخ الثورة سنة كاملة ، فقد أرجعها الى صيف ٢٩٧ بدلا من

٢٩٦ ، باعتبار أن تاريخ المراسيم الامبراطورية باعادة تنظيم مصر اداريا كان فى ١٦ مارس ٢٩٧ ، وكان اعلانها فى ربيع ٢٩٧ نفسه ٠

وايا كانت قيمة هذه الاستنتاجات التي ذهب اليها جونسون فقد وجب اثباتها لتعطى صورة عن حالة البلاد فى تلك الفترة القلقة ولكن الذي يتعارض مع رأى جونسون حقا ويشكك فى استنتاجاته أن أفظع أعمال التنكيل والتذبيح والابادة بالجملة التى أنزلها دقلديانوس بسكان مصر بعد أن قمع الثورة نزلت بالمصريين عامة وبالمسيحيين منهم خاصة الى حد جعل الكنيسة المصرية تبدأ التاريخ بعام الشهداء وهو عام المذابح الرهيبة التى أوقعها دقلديانوس بمسيحيى مصر .

ومن المعروف أن المسيحية فى تلك الفترة من التاريخ كانتأوسع انتشارا بين الفقراء منها بين الاغنياء . فلنعد اذن للتاريخ الشائع بين العلماء لثورة دومتيوس دومتيانوس وهو يوليو ٢٩٦ الى فبراير ٢٩٧ ميلادية ، وسنجد فى البحث الذى نشره الاستاذ بوك بعنوان « كارانيس وثورة دومتيوس دومتيانوس » فى الجزء الثامن من مجلة « الدراسات البردية » (طبعة المعهد الفرنسى للاثار الشرقية بالقاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ٤١ — ٤٨) تأييدا لهذا التاريخ استنادا على دراسة طائفة البرديات والشقافة التى عثرت عليها بعثة حفائر جامعة مشيجان فى كرانيس وهى كوم أوشيم بمديرية الفيوم . وفى هذا البحث اثبت بوك أن كوم أوشيم خضعت لسلطة دومتيانوس قبل ٢٨ أغسطس ٢٩٦ ثم استردهاالموالونلدقلديانوس قبل ١٥ ديسمبر من نفس السنة ، وهذا لايمنع أن تكون كوم أوشيم قد خضعت لسلطة دومتيانوس ابتداء من النصف الثانى من يوليو من نفس السنة .

وما دمنا نستعرض أهم الاراء الحديثة فى ثورة دومتيوس دومتيانوس فلا بد من أن نورد رأى الاستاذ وليم سيستون فى كتابه « دقلديانوس والحكومة الثلاثية » (طبعة بوكار باريس ١٩٤٦

ص١٣٧ ـ ١٨٩) . ويرى سستون أن الثورة كان مركزها الاول فى اقليم طيبة فهناك خطابات تتناول تحركات رجل يدعى بانيسكوس ترك أسرته فى فيلادلفيا وانتقل الى قفط فى أبريل ٢٩٦ وجمع رجاله وعتاده فى صيف السنة نفسها ، وفى ٩ سبتمبر ٢٩٦ نجده يؤرخ خطابا له بالسنة الثانية من عهد الامبراطور دومتيوس دومتيانوس، وهذا يدل على اتساع حركة الثورة بحيث شملت مصر كلها، ولكنه لايثبت أن جيش دقلديانوس سحق تماما ، اذ أننا نجد أنه فى سبتمبر ٢٩٦ كان الوالى الشرعىّ يحتل الريف المجاور لمدينة قفط . وعند سيستون أن والى دقلديانوس زحف الى أقليم طيبة لاخماد الثورة فيه بمجرد اشتعالها ، وفى أثناء غيابه فى الصعيد تخلص الاسكندريون من الحكام الرومان فى الاسكندرية . ويظن سيستون أن الثورة فى الصعيد كانت قصيرة المدى وانه بعد ٩ سبتمبر بقليل حوصرت قفط واحتلت . ولكن سلطة دومتيانوس ظلت معترفا بها فى الفيوم بكوم أوشيم حتى ٢٠ أكتوبر ٢٩٦ أما فى ثيادلفيا فنجد البردى مؤرخا فى ٢٦ أكتوبر ٢٩٦ بالتاريخ القديم وهو تاريخ الحكومة الثلاثية التى كان يراسها دقلديانوس .

ويحاول سيستون بناء على مايستخلصه من خطابات الثائر بانيسكوس وهو فى قفط الى زوجته فى الفيوم ، وبناء على دراسة الاوضاع السياسيةّ والعقائدية فى المنطقة أثناء هذه الفترة ، ان بانيسكوس نفسه ، وهو مصرى ، من اتباع الديانة المانوية التى بدأت تدخل مصر ابتداء من ٢٤٤ ميلادية تقريبا ، على يد التجار العرب ومن اليهم من السراكينى أو الشرقيين ، واستطاعت أن تقيم لنفسها مراكز فى الصعيد جنوب أسيوط ، ثم فى الاسكندرية ، وان اتباع مانى والمجوس ايدوا ثورة دومتيانوس التى كان هدفها عند سيستون فصل مصر عن الامبراطورية الرومانية . وكل هذا يهدف الى ربط الثورة المصرية بتحركات نارسيس فى فارس وغزوه الشام فى نفس الوقت بقصد تقطيع أوصال الامبراطوريةالرومانية.

أما استنتاج سيستون أن بانيسكوس كان من اتباع الديانة المانوية فيقوم بين أشياء أخرى على أنه فى أوراق البردى يتوجـــه الى « الرب الهنا » من ناحية والى « الالهة » فى الوقت نفسه وهـــو اختلاط يمكن نسبته الى العقيدة المانوية والى ديانة المجوس .

وايا كان الامر فان ثورة دومتيوس دومتيانوس أو أخيل جـــاء توقيتها مع ثورة القبائل الخمس فى شمال افريقيا وثورة كاروزيوس فى بريطانيا وتحركات الفرس بقيادة نارسيس فى الشام . ولايزال البحث في دوافع هذه الثورة فى مراحله الاولية وفى مدى الصـــلة بين هذه الحركات جميعا .

وقد تفضل الاستاذ الدكتور عبد اللطيف احمد على ، أســتاذ علم البردى بجامعة القاهرة ، باطلاعى على مسودة الجزء الثـانى من كتابه « مصر على ضوء أوراق البردى » فانتفعت من علمه كثـــيرا ولاحظت أنه يستعرض أغلب النظريات الهامة حول هذه الثورة دون أن يقدم نظرية على أخرى كما لاحظت وقفته الحائرة أمام العـــلاقة الحقيقية بين دومتيوس دومتيانوس وبين أخيل ، وانها حقاً لعلاقة محيرة ، ومصدر الحيرة فيها خلو عامة التواريخ القديمة ، التى لا تذكر الا اسم أخيل مقترنا بثورة مصر على دقلديانوس فى ٢٩٦ ميلادية ، من أية اشارة الى شخص دمتيوس دومتيانوس الذى لم نتأكد من أنه شخصية مختلفة عن شخصية أخيل الا فى السنوات الاخيرة بعد اكتشاف البرديات والشقاف والنقود المتخلفة من هذه الفترة . كما أنى اشكر الدكتور عبد اللطيف أحمد على على أنه وضـــع كافة المراجع المتصلة بهذه الثورة فى مكتبته الخاصة تحت تصرفى .

وفى جو هذا الغموض التاريخى يمكن افتراض الف فرض وفرض سواء من ناحية دوافع الثورة أو شخصيات الثوار أو العلاقة بينهم أو أحداث الثورة . ولكن الحقائق الثابتة ، وهى جوهر الموضوع ، تبرز واضـــحة أمـــام العيـــان ، وهى أن مصر ثـــارت فى

٢٩٦ ميلادية بقيادة القائد الرومانى لوشيوس دومتيوس دومتيانوس الذى أعلن امبراطورا باسم دومتيانوس سيباستوس ، وان مصر استقلت عن روما نحو ثمانية شهور ولم تفقد استقلالها من جديد الا بعد ان قمع دقلديانوس الثورة أثر الحصار الطويل الذى فرضه على الاسكندرية ، وان الاسكندريين قاتلوا باستماتة غريبة طوال مدة الحصار فلم تسقط المدينة الا بعد أن قطع دقلديانوس عنها المياه ، وان دقلديانوس بعد دخوله الاسكندرية ومصر عامة لم يكتف بمصادرة ممتلكات الثوار أو عقاب زعمائهم أو تخريب معاقلهم بل أجرى المذابح الرهيبة فى أعناق الاف لا تعد ولا تحصى من المصريين ، بما جعل المصريين يلقبون عصره بعصر الشهداء ويؤرخون به تاريخهم الجديد ، وان المسيحيين منهم كانوا الهدف الاول لهذا الارهاب الاعظم ، بما جعل الكنيسة المصرية تعتمد هذا التاريخ على انه تاريخها الرسمى وتخصص كل يوم من أيام السنة القبطية لتخليد ذكرى طائفة من شهداء هذا العصر الدامى .

ويكفى أن نردد هنا وصف المؤرخ القديم هيرونيموس يوسيبيوس فى وصف ما جرى من مذابح أن دقلديانوس ساعة دخوله الاسكندرية أمر جنوده الا يكفوا عن ذبح المصريين حتى يبلغ الدم ركبة جواده. وكان من رحمة الله بالمصريين ان جواد دقلديانوس كبا فاكتفى الجنود بما سال من دماء . وهى صورة شعرية جميلة تستحق أن يحفظها التاريخ .

اما دومتيوس دومتيانوس نفسه فلعله كان اداة فى يد «المصلح» أخيل ، ولعله كان مجرد مغامر رومانى طامع فى عرش الامبراطورية ، ولعله كان مجرد قائد خارج على الحكومة من طراز راؤول سالان أو بنى بويه الذين يحاولون الاستئثار بالمستعمرات عند انهيار الامبراطوريات ، ولعله كان مسيحيا سرا يحمل الضغينة لروما على اضطهادها لمسيحيى الامبراطورية ، ولعله كان من اشراف روما

« الاحرار » الذين سلبهم دقلديانوس الطاغية كل صفة بتجاهله المعروف للسناتو وتركيزه كل سلطة فى يديه وقضائه على الامتيازات والحريات الرومانية التقليدية ، ولعله ، ولعله ، فمن يدرى ؟ كل هذا الغموض يترك المجال رحيبا أمام الفنان حتى يأتينا مزيد من البرديات أو الشقاف فتجلو كل هذا الغموض .

تقول ، ولم عنيت بذكر هذه الوقائع والنصوص وانت تقف موقف الاديب لا موقف المؤرخ ؟ وأجابتى على هذا السؤال واضحة ، وهى أنى أعتقد أن من واجبى كما ذكرت تنوير القارىء بحيث يعرف أين تنتهى الحقيقة وأين يبدأ الخيال فى العمل الفنى ولانى أعتقد أن فى هذه الفترة الخصبة من تاريخنا ذخرا لاينفد لغيرى من الكتاب سواء من آيات الكفاح الوطنى أو من آيات الفداء أو من آيات الشخصية الانسانية ، ولانى أعتقد أنى بهذه الفرشة التاريخية أعين غيرى من الكتاب الذين يمكن أن تجذبهم أحداث هذه الفترة الخصبة فيستمدوا منها مادة لادبهم .

واكتفى بهذا القدر من الحديث فلا أسترسل وأتناول ما فى هذا العمل من جوانب فنية . انما أترك هذا للنقاد ، ان وجدوا فيه قيمة فنية تستحق التنويه . فان كان فى هذا الكتاب حياة ، فالحياة لا تغمط لحى حقه فى الحياة ، وان كان وهما عابرا فقد انبغى أن ينطوى مع كل ما ينطوى من الأوهام .

القاهرة ١٣ نوفمبر ١٩٦١

لويس عوض

التصحيح اللغوى : عبد الرحمن حجازى

جمال جاد الرب

الإشراف الفنى : حسن كامل

تم طبع هذا الكتاب من نسخة قديمة مطبوعة

not be an easy thing. When the morning comes, by order of Diocletian, Egypt will see horrors unspeakable, Your blood will flow in streams. Your women will be raped , and your infants massacred. Your property will be looted and your temples desecrated and burnt down. You will even be denied to worship your own gods. You will be thrown into lions dens and fried in boiling oil that you may forswear the name of Egypt. Some of you will cringe with fear, but most of you will hold out courageously until this horrible scourge is finally lifted . Be thou, Manetho, a father to this orphaned people in this dark night , Be thou the pilot of this tossing ship amid these furious tempests . for there is yet hope that it may weather the winds and reach the shores of safety unimpaired.

Coptos will need reinforcements. You, Apepi, go quickly to Busiris before it is overtaken by the flood. What will you do, Arius?

Arius : Here I stay in Alexandria. For here I shall wander under the cloak of darkness, knocking every door to wipe the tears of the wretched and strengthen the hearts of the weak, reminding men that night is ever followed by the dawn.

Manetho : I am an ancient man , I am tired , tired, tired, I must have rest at last I shall finally go to my quiet hamlet upon the banks of Tanis lake , there to sit all day long in dreamy solitude , fishing in the stream of memories , until Thoth and the great Ennead of the gods are pleased to restore my soul to the fountain of eternal light .

Apepi : No one but Mamentho shall surrender the city .

Scipio : No one but this worn-out old man shall surrender the Palace . Be prepared, Manetho. to receive the new master. Such is the verdict of the gods : that you become a servant to every new ruler, so that you may temper with the wisdom of age the hot blood of the violent Romans . You shall protect your ancient country from the rashness of young nations , and record on living papyri all that Egypt sees of happy and unhappy days. You shall need the martyr's fortitude , for it will

King of the people, prop of the kingdom .

The secret of the many - gloried Monk

Comes from the fathers and forefathers

And passes into the sons and grandsons.

The redeemer is dead , the redeemer is dead !

O Gods of the valley ! Bless him

Who was to us a guiding star,

King of the people, prop of the kingdom.

(The voice vanishes gradually. From behind the left window pane is seen a vast distant conflagration)

Manetho (Pointing to the window). Look! The Library of Alexandria is burning! The Romans have landed in the harbour !

Apepi : Stop worrying about your books , Manetho . Many times before they had been burnt and many times again they will be. Such is the irony of the gods : for every invader who sets fire to the library reminds the world that we are the intellect and the conscience of the human race . So let them burn and burn . It is our god-like task ever to rebuild again .

Scipio : Which of you will surrender the city ?

Manetho : Damon of Armant will do it with a heavy heart.

Damon : No , I shall pass over with my men to Upper Egypt. Stubborn

must be carried in all simplicity . Build him no tomb of black alabaster , but bury him in the vasty sands where neither man nor elf disturb the quiet of the dead. From the desert he came and to the desert he returns, Yet, if you still retain some relic of your ancient priests, embalm him and read out old spells upon his anxious ghost that the desert may for ever keep his holy body a sacred talisman to guard this god-protected land. His tribe was that of Christ, but do not fail to paint your ancient liturgies on his cedar coffin . He was a mighty efflux of that gigantic breath that fluttered fearfully in days of yore amid the granite pillars of the fabled Karnak and whispered dark truths to the hushed palm-groves of immortal Thebes. May all the gods at once absolve him of his mortal sins.

(The guards carry the stretcher and walk in a stately manner going out through the left door chanting)

(Chorus of Guards Singing in a grave, staccato manner, more like a sharely punctuated recitation than like a song).

The redeemer is dead , the redeemer is dead !
O Gods of the valley ! Bless him
Who was to us a guiding star,

. General consternation . Cries of "Panofer ! Panofer " !

Panofer : I am ready **(Scipio retreats)** O God ! have mercy upon me! **(Suffering horribly from the poison)** how horrible are these pains . **(He Falls on the floor with foaming mouth)** Tell your master : all his striving is in vain. He will never reach the sun. Heavy is the darkness. Light. where is the light ! Martha ! Draw the curtains, Martha. **(He dies)** .

Apepi : Farewell , Panofer.

Damon : He has conquered Diocletian .

Prisca : A good Egyptian he lived , and a good Egyptian he died.

Damon : No one knows the secret of the Monk or why he died .

Prisca : That is something between him and his God .

Manetho : They say the Patriarch cast a curse upon him .

Damon : It is something between him and Martha .

Apepi : No. He offered up his mortal body that we may recover the everlasting spirit: that love may dwell for ever among men; that mercy may prevail in this harsh wolrd. Martha knew what the Monk failed to know

Scipio : Had you but a score [illegible] wondrous Monk , the Romans would never have set [illegible] this unhappy land .

(Enter six guards carrying a stretcher)

Manetho : Cover him with his mantle . A simple Monk he was , and [illegible]

huge painted pillar on the right side of the hall and feels the inscriptions with his hand. He then walks over the opposite pillar on the right side and feels it).

Panofer : O Manetho ! how beautiful these inscriptions are. It is a wonder how in everlasting freshness these mysterious colours relate our withered glories. But this is our divine enigma that baffles all understanding_. **(He looks at the two columns, standing between them with outstretched arms)** Had I the strength of Samson I would have pulled down this palace upon me and upon my enemies. **(Growing more quiet)** When I am gone, I want no tears, no wailing, no garlands on my grave. Cast my body in some arid wilderness untrodden by man and unknown to ravenous vultures . Say, noble youth : will Diocletian take me to Rome ?

Scipio : I believe so .

Panofer : And draw me to his chariot .

Scipio : Yes, That is the custom; in the triumphal procession.

Panofert : To amuse the mob of Rome ?

Scipio : Yes .

Panofer : Then we shall spoil his majesty's fun .

(He takes poison out of his doublet and swallows it quickly, then goes back smiling to the middle of the hall

turquoise. Look at the Turqouise. How beautiful it is. It is yours now. Take it. **(Martha takes the ring and presses it to her heart)** Have you read the engraving ? Read it before you wear the ring. It has a spell from the days of Menes. They say it carries a curse , but do not believe what they say. **(Martha puts on the ring after examining it carefully, Panofer in a commanding voice)** Philammon, when I am gone, take saint Martha the Egyptian to the convent of Demiana, the Convent of the seven virgins. **(He Kisses Martha on the front) .**

Philammon : Promptly, Panofer. **(He unbuckles his sword and hands it over to Apepi)** This has no use now. When I perform my errand,shall I go myself to the Great Monastery?

Panofer : Yes, May God guide your steps, my son . .

Philammon : Farewell, Panofer .

(Exit Philammon, followed quietly by Martha through the right door) .

Scipio : Let us go, Panofer. Diocletian does not like to be kept waiting.

Panofer : One moment, my son .

Scipio : What is left to do ?

Panofer : Only a word of leave - taking .

(Panofer walks staring at the painted ceiling . He reaches the

Panofer : I said nothing : Yes , I said pray for me always .

Martha : (Meekly) : Shall I go into the convent, father ?

Panofer : Yes, Yes .

Martha : There to embrace Christ ?

Panofer : Yes . There to embrace Christ ?

Martha : And Constantine will not be jealous ?

Panofer : No, Constantine will not be jealous

Martha : When will he come back ?

Panofer : I do not know. But when he does, his heart will be glad .

Scipio : Let us go, Panofer .

Panofer : Yes, I must go , Martha .

Martha : Where to, father ?

Panofer : To the company of the Lord .

Martha : (Staring as though she does not understand) : There the pastures are green .

Panofer : After a while . After a while .

Philammon : He redeemed you, Martha .

Martha (Still does not understand) There the lillies are white .

Panofer : No, It was she who redeemed me. For that she is sanctified by God. She who bears a child redeems a man . Martha ! **(Pulling out his ring and examining it well)** This ring, it was for her : for the lady of the Blue Mansion, the lady of

Panofer (Deeply moved and most tenderly): O my child ! Martha **(raising her face) :** Bless me, father. **(She kneels down)**

Panofer (Softly smoothing her hair with his hand) : Yes. Yes. Blessed art thou among women. **(Turning his face away with a sense of guilt)** This is madness, what right have I to bless her. I have lost the godly mystery of the monk. Forgive me, Mother of God ! What have they done to you, my child ?

Martha : They burned my flesh with red-hot iron rods. **(Gasps of pain here and there) .**

Panofer : Well done, Then the devils will not visit you any more. Oh my God ! This is horrible. Horrible They come to visit me every night . **(Helping her to rise)** Rise , Martha.

Martha (Smiling) : But I was strong , because I bear your trust .

(She feels her belly in a state of Ecstasy).

Panofer : Yes , I know . And you must keep it solemnly .

Martha : As the thirsty soil keeps the seed of life .

Panofer : (As if talking to himself) : And why shoudn't she keep it ? I have paid for it heavily, I broke the sacred compact, and paid heavily. **(Diabolically)** I wrung it from the hands of fate.

Martha : What did you say ?

farewell is heard outside . All the generals lower their heads and their swords saluting « farewell »

Damon (Saluting with his sword) : In the name of the army, I pay homage to Achilles.

Frisca (Saluting with his sword) : In the name of the cavalry, I pay homage to Achilles.

Panofer (As though he does not hear): Manetho, when you write the chronicles of Egypt, forget not to say that Severus was a stubborn Roman, and yet he died for our cause . To honour his memory, let the Egyptians erect a pillar of rarest marble among the ruins of the Ptolemies, so that his name might live as long as Alexandria lasts, And on every day like this, year after year, let the sea - nymphs grace his noble memorial with fragrant garlands and honour with laurels this heroic deed . **(To Scipio)** Tell me, noble youth.

Scipio : Yes , Sir .

Panofer : It is time for us to go. Too long is our waiting .

Scipio (Pointing to the right door) : She is coming , Sir .

(Enter Roman adjutant with Martha who looks pallid with marks of deep torture written on her face. She rushes to Panofer and holds fast to his arm like a frightened child. Voices cry : « Martha ! Martha ! »

Arius : My lord. Achilles, After receiving his absolution, crossed over to the shores of eternity. He fell on his sword after the custom of the Romans. His last words were: « Farewell, Faustina ! »

Hathor : (Wailing) : O brave king !

Scipio : Farewell, Domitianus, Your unhappy tale will be told by every soldier .

Manetho : Farewell, my lord. In every chronicle many pages will relate your sad story .

Tafeeta (Wailing) : O noble King !

(Enter Damon and Frisca through the right door)

Damon : What happened ?

Frisca : Where is Achilles ?

Panofer : Your master Achilles has sought his freedom from the prison of the flesh. Go to him, Hathor. He needs you now. Go to him Tafeeta. Go to him, Marina. Oh my God ! In the hour of our death, how desperately we need the company of women, exactly as if we were born again. Bury him like a king . Wrap him up in the flag of Egypt . Do not forget to put on his head the double crown of Menes . He so devoutly wished it during his life; let him now wear it in his death, by Panofer's command, by the people's command. **(Exit the women through the left door sobbing audibly. A bugle calling**

Arius : Yes , my lord .

Achilles : Come then and absolve me . Man must be always ready.

(Exit Achilles with Arius through the left door).

Hathor : My lord needs me ..

Manetho : Go to him Hathor . I have seen a strange twinkle in his eyes. **(Hathor, anguished, walks away but does not leave).**

Tafeeta : My lord has accustomed me to carry his mantle .

Panofer : No. Leave him alone . Do not disturb him . He wishes to be alone with his God, sing, Tafeeta, Something happy; something that is sung in the nuptials of kings . O Panofer ! how happy you are . To day you will be wedded after long waiting .

(Tafeeta playing with the fingers on the strings of her harpsichord , sings a sad tune like the wailing of wakes.)

The bridal banquet and the bridal bed are set, my king ! your path to the milky way is strewn with fragrant roses .

Ascend ! Ascend ! my angel to the sphere of angels , for on the fortieth day at last your nuptials will be held, and shadowy darkness will be wedded to eternal light .

Panofer : Enough . Enough . Why all this melancholy ? **(Pointing to Scipio)** Is that the way you entertain this handsome Roman ?

(Enter Arius through the left door looking pallid and saying in a calm and awe - inspiring voice) .

I no longer belong to Rome Since the Dalmatian slave sat on the throne of Romulus and brandished the sword of Aeneas. I have made many blunders, but I have served Egypt with honesty, speak, Panofr.

Panofer : Yes . Manetho , you shall write .. that Achilles of Alexandria served Egypt faithfully. For this, Egypt forgives his blunders and remembers only his honesty.**(A distant noise and a distant alarm is heard).**

Manetho : They are coming .

Panofer : My God ! Even Panofer cannot save Achilles. Guard the doors . Guard the door, . Philammon **(Philammon rushes to the right door)** Rally the guard, Apepi . **(Apepi rushes to the door) .**

Achilles : No. No. I want no bloodshed . Let everything end in peace . Let the Egyptians come. Let the Romans come . Whoever comes first takes Achilles . **(Rising)**

Scipio :Yes, sir.

Achilles : Proclaim it to them all : who was my great ancestor ?

Scipio : The noble Brutus .

Achilles (Descending the steps of the throne) : Like father , like son . May I be worthy of him . young monk !

Arius : Yes , my lord .

Achilles : I forgot your name , sir. How do they call you ?

Arius : Arius , my lord .

Achilles : Have you been initiated to give the sacrament ?

Panofer : How did Ssevenus escape with his life ?

Arius : Severus did not escape with his life, Severus turned bravely to his men and shouted at the top of his voice : " O lions of Egypt ! It is not Achilles " but Diocletian ' s blood you seek ! Follow me ! Then he galloped at the head of his ranks in mad fury and his soldiers, footmen and horsemen, all followed him like ravenous wolves , breaking out through the gates of Naukratis and climbing the city walls. A terrible battle then ensued and when the dust of battle cleared up at last , there was Severus lying dead among countless bodies and a sad silence reigned while the flag of the Romans fluttered alone in the midst of the field .

Panofer : Woe to you Achilles ! You have fallen between the Romans and the Egyptians !

Manetho : You must flee for your life . Achilles .

Achilles : No. No.

panofer : Take my mantle , sir .

Apepi : Take my horse , sir .

Achilles (Proudly) . No. No. I served Egypt faithfully **(He mounts the steps of the throne and sits peacefully)** Achilles does not flee . **(To Scipio tenderly)** Listen to me, my boy. In Rome they call me a traitor, but Domitius Domitianus served Rome faithfully until the Dalmation slave came and ruled it . Did you not hear your father say so ? **Scipio (Overpowered by his feelings)** : Yes , Domitianus .

Achilles : Do not call me Domitianus . I am here Achilles of Alexandria ,

(Enter Arius through the right door in utter confusion crying).

Arius : Ruin and damnation! Ruin and damnation !

Ashilles : What happened ?

Aruis : They Killed Africanus. They Killed Diogenes and Pampeianus. The soldiers slew all the Roman generals except Severus. They are clamouring for the head of Achilles. Frisca is marching towords the Royal Palace. Damon of Armant is on his way here. they all left their positions.Everyone is crying : The traitor Achilles. and his Roman traitors have sold us to Rome .

Panofer : Has Diocletian arrived ?

Aruis : Yes, he Has, his legions are half in Canopus and half in Naukratis, when the Egyptians withdrew from Naukratis and Canopus, Damon and Frisca with their Forces met at Camp Caesar. When they were told to return each to his former station, they found out that Romans had already occupied all their positions and that they had quickly stopped up all the canals with rocks and heaps of dust and everything they could lay hands on. Our soldiers were then furious and turned against the Roman generals. Frisca proclaimed that treason has come from the Royal Palace. I saw Damon of Armant with my own eyes assault Pompeianus and rip his belly with his sword. Criers went around the city crying that the water - supply had been cut off., There was confusion everywhere .

Achilles (In utter despair) : then all is lost .

offered up her body to feed the hungry, to clothe the poor, to cure the sick, to bring the dead back to life. She is the sacred offering and the offering cannot be given twice. Do you understand now why she should go on living ? She is the guardian angel : wherever she is, in the termple, in the convent, in reveller's feasts she spreads her wings over this holy valley. Sing your halleluia. Hathor! you are the one who nurtured her in her young days, Show us how you offer thanks giving in the temple Isis .

Hathor (Singing a staccato song which resembles a dance - song but is austere and dignified while Tafeeta plays on her strings): The many - fluted Nile

Murmurs singing :

O balmy night ! O balmy night

O love - sick swain

Heaves a love - sick sigh

For a nut - brown maid

With henna - daubed palms,

For a wine - lipped maid

Whose wine is the nectar of Paradise .

She is the daughter of Hathor,

Goddess of the effulgent sky,

Of the blue prairie where Huris dance,

Blue is her garment of light,

Green are her pastures on earth.

supply He is afraid we might slay Faustine before we surrender . He is afraid he would march into Alexandraia on his white horse and not find Panofer. He is afraid I might disappear and elude him. Diocletian will never rest until he destroys the abominable Egyption Monk. Even now he imagines Panofer walking across the fields. knocking the doors of the poor , inciting the multitudes, setting the hearts of the Egyptians against the Romans. He knows that Rome will never rest as long as I am alive. But he is wrong . **(He gasps , feeling short of breath, and unbuttons the collar of his frock)** Water . Water . Give me water. He is wrong. (with a deep, low voice) My task is done . I have delivered my message. Today every Egyptian is Panofer. **(With a loud oracular voice)** He will come after me who is stronger than me.

Philammon (As in vision) : A voice crying the wilderness :

Prepare ye the way of the Lord .

Panofer (Staring at the vacant air) : He will come after me who is stronger than me.**(walking like a somnambulist)** Glory be to Pharaoh .

Apepi : Lord of the two lands .

Hathor : Alexandria is your crown

Tafeefa : Egypt is your throne .

Philammont : The world is the dust you tread on .

Panofer (Laughing mockingly) : The fool. The fool. He Knows not what he takes and what he gives away. Panofer is a lump of clay, but Martha is the breath of life, the spirit of the valley. She is the blue sky, the green fields, the sacred ooze. She

pledge to her. O Mary mother of God unclean and faithless was your spouse.Boundless is your mercy. No. No. let me die without mercy, without humility. **(Praying in penitence).** O God ! Torture my wretched spirit in the burning flames of hell until I am purified, until my sign appears. What sign ? Yes I shall bear it and bear it and bear it until my Sign appears , until Martha comes **(He smiles for the vision)** like a blue angel to quench with her balmy breath the fires of hell. **(Pointing to the zodiac on the ceiling)** Look ! This is capricorn, where I was born. There I shall stay until Martha comes and leads me back to Virgo from which I strayed away. Hurry, lad, hurry, and when I have departed forget not to say : he was a prince whose birthright was lost between heaven and earth. Do You want to know my token ? My token is my curse on Diocletian .

Scipio : This is what he wants. His eyes are fixed to heaven .

Achilles (Deeply moved) : Yes. Yes. He is staring at the signs of the zodiac .

Scipio (To his adjutant) : Hurry, hurry. Exit adjutant through the right door.

Panofer (Smiling) : Do you think I am raving Achilles ?

Achilles : A sinner cannot judge a sinner .

Panofer (Mockingly) : I know Diocletian, Do you know why he bargains at this critical moment ? He bargains because he is strong , not because he is weak. He believes that Alexandria will fall in twenty - four hours if he cuts our water -

Achilles : No. No. I won't allow it .

Panofer (With a distracted look) : You do not understand, Achilles . you do not understand , all of you **(As though talking to himself)** .Yes Yes. **(Looking at the ring on his left hand)**

All sinners must atone. I have broken my pledge to her. Yes Atone. I must. I have no offering to give except myself. May God accept my sacrifice . **(He mutters)** .

Philammon : Have mercy on him , O God !

Panofer (In a kind of delirium) : Shut up ! , lad ! Do not pray for mercy. God has no mercy for me. Did you not hear Him say : The merciful shall obtain mercy ?

(He looks at his hands as though they are besmeared with blood) She is the cause. She is the cause. Before they took her away she looked at me gently, reproachfully, then departed. Or was I in a dream ? And there were others and others.They all went the same way. Where is Arius ? What did the Patriarch say ? **(Louder)** No. No.

I had no mercy on any one. Why should God have mercy on me ? There is no mercy on me ? There is no mercy for me. I lived by justice alone Nomos, by the first law. By them will be my judgment For I walked among men like a turbullent and damned spirit. Yes, Like a hurricane I passed over green fields and desert sands, sweeping the palaces of the mighty and the hovels of the poor, without mercy, without humility. I broke my pledge to her. **(He examines the ring on his left hand)** What pledge ? yes I broke my

Panofer (Reproachingly): Are we already defeated, Manetho ?

Manetho : I beg your pardon. I meant if we are defeated .

Panofer (Laughing bitterhy) : If we are defeated do not believe any pledge given by Diocletian . **(Holding)** scipc's arm . Speak young man. Did not Diocletian tell you as you left the ship ? Promise them anything in exchange for Panofer's head ? Promise the safety of Achilles? Promise the safety of Alexandria. Promise the siege to be raised. promise them anything. Pledges! Pledges ! What value are pledges to a conqueror **(Roaring)** Speak .

Scipio (Embarrassed and half - afraid) : Yes. Yes.

Panofer : My lord Manetho does not want to forget that he was the curator of the library of Alexandria. These are not books. **(Growling)** This is war. Politics War. How do you believe the Pledges of the cunning Diocletian? Ask for the possible , you get the possible . **(Turning to Scipio)** And yet we will not be paid in words. Listen, young man. Send your adjutant to bring Saint Martha the Egyptian. Bring her here. Right here, we do not sell Panofer on credit.

(Beating his breast) Our merchandise is ready and we must be paid in kind.I swear to you , by the honour of Achilles. If you prefer , by the honour of Domitius Domitianus. By Roman honour. Hurry, hurry. Let us waste no time. **(Scipio looks at Achilles bewildered and expecting an answer. Achilles stands with outstretrched arms quite confused)** .

Philammon (Draws and strikes in the air with his sword): This is For Diocletian .

Panofer (Commanding them) : Back to your place , Philamon. Back to your Place, Apepi. every sword back in its scabbard. In our country a messenger 's person is sacred. **(They all sheath swords) .**

Manetho : Panofer ! You ask for an insignificant price.

Panofer : No.No Martha is more valuable than Panofer. Martha is a holy saint , whlie panofer is a damned sinner ... who deserves to be hurled in the bottom of hell .

Manetho : This is madness. Martha is not worth Panofer .

Panofer : You do not know Martha. Martha is the soul of Alexandria, Its flesh. Do You understand now ? We give him the flesh to retrieve the soul .

Hathor : (Approaches crying) : O holy Monk ! **(She kneels down and kisses his Hand) .**

Tafeeta (Approaches crying) : Bless him, ye gods : **(She also kneels down and kisses his hand) .**

(Marina Plays with her fingers on the strings of the guitar for a few seconds then stops) .

Panofer : Rise up Hathor. Rise up Tafeeta . I want no tears. I want no tears .

Manetho : These are mysteries which baffle my feeble understanding . If Diocletian marches into Alexandria everything will be ruined . **(Angrily)** Ask a pledge for the safety of the city, Panofer .

Scipio : Speak,

Panofer : Draw near .

(Scipio draws near until he stands very closely face to face with Panofer)

Scipio : What do you want ?

Panofer : Martha against Panofer .

(General confusion. Voices say : " No . No. : " Impossible ." "We won't allow it." Hathor and Tafeeta approach anxiously).

Scipio (Looking at him intently with great tenderness) : I accept.

[illegible] (Comes between Panofer and Scipio brandishing his sword) : This will never happen if Diocletian wants Panofer let him come himself and take him . **(Scipio draws).**

Manetho : Keep calm , my son.

Panofer (Examining Scipio's face) : Did he say anything ?

Scipio : That is what he said : Anything that Domitius Domitianus asks for.

Manetho (Anxiously) : Did he say anything?

Scipio : Yes, he said so.

Maretho : Would he accept to raise the siege ?

Scipio (Swallowing his saliva) : Yes , he would accept to raise the siege .

Achilles : This is a trick. (**Proudly**) No.A thounsand times no. Tell your liar of a master that Achilles of Alexandria will never surrender the most loyal of his subjects.

Scipio : Is this final ?

Achilles : Yes . This is final .

Scipio : Then, my lord, I beg leave to go .

Achilles (Tenderly) : I wish you a safe journey, my son.

(Scipio salutes then walks towards the right door)

Panofer (Stopping him) : Wait a minute .

Achilles : Let him go .

Panofer : No. Come here, young man .

Panofer : Everything ? Everything ? No. I only know very little . And yet I know that you have not come here to save Faustina's life . Do you accept ?

Scipio : Yes, I accept. Five hundred .

Achilles : The exchange of prisoners shall take place at Pharos Palace .

Scipio : Agreed.

Panofer : Diocletian does not send Scipio the Younger, Domitius Domitianus' forster child, for the sake of Faustina . **(Cunningly)** He is hunting for more valuable game . Isn't that so ?

Manetho (Jumping to naive conclusions): Perhaps he has come to ask for peace .

Panofer : No . He has come to ask for Panofer .

(General confusion).

Scipio (Addressing himself to Achilles) : This is true . My lord Diocletian asks you to surrender Panofer .

Panofer (Mockingly) : In return for what ?

Scipio : In return for anything Domitius Domitianus asks for .

Apepi (Unsheathing his sword) : Impossible .

Philammon **(With his hand on the hilt of his sword)** : This is sheer madness.

Achilles : Yes , of course . We are no longer in Rome . (**Straightens up)** We are now in Al. ·andria. What does Diocletian want ?

Scipio : He wants to exchange hostages .

Achilles (Comfortd : Nothing more ?

Scipio : Nothing more, Sir. The lady Faustina for a hundred captives .

Panofer : Five hundred.

Scipio : Are you the Monk ?

Panofer : Yes . I am Panofer .

Scipio (Scrutinizing him) : You ask too much .

Panofer : No. No. Roman blood is blue and therefore dear, while Eyptian blood is base and worthless Haven't you always said so?

Scipio : Three hundred .

Panofer : Five hundred . It is useless to bargain, Is not this the wish of the Senate ?

The life of Faustina is not worth a nickle to Diocletian, but the patricians of Rome demand that she be saved at all costs. And why not ? Diocletian likes to oblige the Senate in trivial matters .

Scipio : It seems that you know everything about us.

We fought together at Dura, in Cyrensica. When he fell by my side I Carried him with my own hands, (**He looks at his two hands**) and put him on my horse .

(**He looks at the young man proudly**) Do you know how many heads we reaped that day ? Twenty. He ten, and I ten . We laid a wager on the number of heads to reap . Neither of us won. (Heaving a sigh) In the end he won .. won the ever-lasting rest. (**He goes back to his dreamy look and laughs gently**) Do you remember how I used to carry you on my back in the Gardens of Catilina ?

(**Scipio looks embarrassed and lowers his head**) I must say you are very young, considering your rank.

Scipio : I served Rome, Sir.

Achilles : Or you mean you served the master of Rome ? (**laughing gently**) Never mind. Never mind . They spoil these days. In my time a centurion was twice your age.

And how is my lady Marsigliana ?

Apepi (Reminding him) : My lord :

Philamon : His credentials say so.

(Achilles looks at Panofer queryingly as though he means : " What shall we do ?

Panofer : Show him in . **(He walks away to the extreme left).**

(Enter a young and handsome Roman officer , fully accoutred in battle dress, with his short sword buckled to his waist, but he carried his helmet in his left hand. The officer salutes, He is followed by his adjutant).

Officer (Announcing himself) : Scipio the Younger . Diocletian' s servant and messenger .

Achilles (Examining him) : Son of the Numidian ?

Scipio : And great grandson of the glorious Scipio .

Achilles (Scrutinizing him): Don't you remember me ?

Scipio : Yes . You are Domitius Domitianus.

Achilles : Your father was my friend. A comrade in arms, serving with me in the same battalion . **(With great tenderness)** How you have grown up, Scipio : Oh, time : Time : I did not recognize you when you came in . **(Walking like a somnambulist and talking to Panofer as though he does not know him)** The Nunidian was a hero.

echoes are heard in succession until they fade away).

We shall proceed to the harbour.

Panofer : No. To Naukratis, Achilles.

(Enter Apepi carrying the armour. Achilles takes off his regal mantle and hands it over to Hathor. Apepi helps him to put on his war accoutrement and gives him his helmet and his round bronze shield. Enter Philammon through the right door).

Apepi : Yes Naukratis is the weak point .

Achilles : And who will defend Pharos Palace ?

Panofer : Philammon will. General Philammon will defend the Palace and General Apepi will defend the harbour .

Achilles : Let it be so. What position will Panofer defend ?

Panofer : I shall be with the people everywhere.

Philammon (Hesitatingly) : A messenger is waiting outside, asking for an audience.

Panofer : Let him in .

Philamon (Hesitatingly) : He comes from Diocletian .

Panofer :
Achilles : } **Diocletian ?**
Manetho :

Severus (Looking down in deep earnest) : The Monk is right, Achilles.

Hathor : Get us out of this horrible dilemma, Achilles. You are the king.

Achilles (Wringing his bands anxiously and almost dazed) : If what Panofer says is true, then everything is lost .

Apepi : My lord, allow me . My lord Pompeiauns goes at once to Damon of Armant to lead him back with his legions to Canopus. My lord Severus goes to Frisca to lead his forces back to Naukratis.

Achilles : Yes, of course . Yes, of course.

Serverus : Let us save what we can.

Manetho : O ye gods : Have mercy upon us . How will they believe these conflicting orders.

Achilles : Pompeianus, go at once ; and you, Severus, lose no time **(Exit Pompeiarus and Severus through the left door) .** Apepi, bring me my armour. Make ready my horse. **(Exit Apepi through the right door) .** Philammon. The cavalry trumpet. The infantry trumpet. The battle trumpet. **(Exit Philammon through the right door . After a few seconds different trumpets are heard in succession, then their**

is indeed a strong assault, but it is spurious. Do you know where his main forces are now ? In Canopus and at Naukratis canal beyond the walls of the city. His plan is to block the aquaducts of Alexandria and cut off our water supply so that we may either surrender or die of thirst . How could I then not sacrifice the tower, not sacrifice Martha with two thousand men ? You are blithely ignorant of the situation. You draw your plans with pencil and ruler while your enemy cunningly works out his strategy. Where are your spies? You do not send them after Diocletian, but after Panofer and the Egyptians. Woe to Eyppt . Woe to Egypt . There is nothing to expect now but ruin and disaster .

(As he speaks, there spreads a general confusion . Achilles stands perplexed, then descends from the throne. All looks quite disturbed. A few short, subdued shrieks come from the frightened women. Manetho, Apepi, and Philammon rush to the side of the Monk spontaneously, while the Romans cluster around Achilles).

Manetho : What is to be done ? What is to be done ?

Pompeianus : Don't listen to this raving fool . Diocletian is after the Palace.

Panofer (Greatly upset) : What have you done ?

Achilles : After the tower, the Palace will fall into the hands of the Romans. The Palace must be fortified.

Severus : And after the Palace the harbour will fall into their hands . The harbour must be fortified.

Pompeianus : It seems that General Panofer has a different view.

Panofer (Exploding) : Oh ruin . Ruin . Ruin . You fools . What have you done . The Palace is well-protected. There are fifteen thousand archers stationed in the Palace and its precincts. There are twenty thousand national guardsmen protecting the harbour, backed by two thousand cavalry men. The harbour is out of danger. You were duped by Diocletian's trick. Diocletian has no hope to capture Pharos Palace. After eight months of siege, of incursions and retreats, Diocletian knows full well that he can never gain access to the city unless his forces and ours are completely exterminated . He has attacked the tower fiercely to lead us to believe that he is after the Palace and make us concentrate all our forces there, whereas his real plan is to encircle the city and break through its southern gates. Do you know with how many soldiers he stormed the tower ? With five thousands, so the reports say. It

Apepi : This is women's talk.

Pompeianus : And they say that he frequents taverns.

Panofer : Leave me alone.

Pompeianus : .. and that he frequents brothels too.

Philammon : What is all this nonsense ?

Apepi : Must we be subjected to all this silly gossip ?

Achilles : Then what is the truth ?

Panofer : They say. They say. Listen, Achilles . They also say that my lord Manetho extorts money from the people to fill the royal purse. They say that my lady Hathor is the palace Bawd and that you shower gifts on her because she brings you the dancers of the Temple of Isis.

Manetho (Interfering). Watch your manners, Panofer .

Panofer : Who started this ? You started it. You said I gave up the tower to let Martha be captured by the Romans. You don't understand .

Achilles (Coldly) : We understand everything . This is why we sent Africanus and Diogenes to Damon and Frisca to return with their legions to Pharos Palace.

Achilles : Achilles is asking Panofer : "Why did you give up the tower ?"

Panofer : And Panofer answers Achilles : "Because of military necessity."

Severus (Quietly but firmly) : Where did you learn military science, Panofer ?

(Panofer looks at him fixedly but does not answer).

Achilles : What necessity?

Hathor (Crying): To hand Marha over to the Romans.

Panofer : Have you lost your mind, Hathor ?

Hathor : We all know that you detest her like poison since the day she...

Panofer (Beseechingly) : Hathor !

Achilles : Then what they say is true .

Panofer : No. No. No. No.

Pompeianus : All Alexandria knows that she refused your bed.

Panofer : O : my God **(He staggers. Apepi comes to support him).**

Apepi : Enough . Enough.

Pompeianus : Why do you defend him ?

Apepi : Can't you see that he is suffering ?

Hathor : And Martha . Is she not suffering now in the hands of the Romans ?

Pompeianus : All people are talking about Panofer's desperate love .

Panofer : The nobility. The court . The royal retinue. The generals. We are sick and tired of all this . We crowned you Emperor of Alexandria. The crown of Pharaoh shall be worn only by an Egyptian . We said the crown of Pharaoh shall be worn by Constantine, son of the Eyptian Helena . After he inherits Rome and Byzantium he rules the world from Alexandria.

Manetho : These matters are to be settled after the siege is raised.

Achilles : If this is contrary to the will of the people , we shall give up Pharaoh's crown, Let us go back to the subject.

Panofer : What subject?

Achilles : Do you know that the Romans have occupied the tower of Pharos ?

Panofer : Yes .

Achilles : And that they have captured Martha ?

Panofer (Sighing in deep pain) : Yes .

Pompeianus : Why did you give up the tower ?

(Panofer ignores him and does not answer).

Achilles : Yes . Why ?

Panofer : Who is asking ?

Severus : A battle bugle ?

Manetho : No. The Royal call. From ancient times.

Achilles : For whom they play the royal call ? **(All look in the direction of the right door. Enter Panofer).**

Pompeianus (Mockingly) : The king : **(Bows mimicking the royal salute ironically .Panofer ignores him and walks straight to Achilles who is sitting on the throne . Philammon comes forward and kneels down before the Monk, kisses his hand and says : " Bless me, Father." Panofer makes briefly the sign of the cross over his head and mutters a short prayer. Philammon stands up).**

Manetho (In a half angry tone) : Why the bugle, Panofer ?

Panofer : Don't ask me. Ask the palace-guards.

Achilles (Coldly) : Panofer . Who authorised you to give orders to the army ?

Panofer (Looking at the double crown of Menes hung over the throne) : Was this the agreement ?

Achilles : What agreement ?

Panofer : That you put the double crown of Pharaoh over your head ?

Achilles : This is the wish of the nobility.

Diogenes : Until when you remain passive, Achilles ?

Pompeianus : (Bursting with sardonic laughter) : Panofer, after leading the mob, is leading the army . The mad monk is conducting military operations :

Achilles (Descending angrily from his throne) : Who gave him the authority ? Africanus.

Go and join Damon of Armant . Tell him I command him to go back and defend Pharos Palace .

Africanus : Post haste, my lord.

Achilles : You Diogenes. Go and join Frisca. Tell him I command him to return to Pharos Palace. All must defend Pharos Palace . The tower must be recovered. If Pharos is lost. Then Alexandria is lost. Then everything is lost.

Diogenes : Quicker than the lightning, Achilles.

(Exit Africanus through the left door, then exit Diogenes. The officer salutes, then goes out through the right door. Hathor bursts into silent tears and hums dolefully a song of wakes of professional mourners while Tafeeta plays with the strings of her harpsichord).

Hathor : Farewell, my child :

(Alarm outside. All listen. Achilles mounts the throne).

Officer : She was at her post on Pharos Palace defending the tower. The Romans attacked fiercely. She sent to Panofer asking for reinforcements but Panofer did not send her a single solldier. He was standing on sands of Cleopatra's beach drawing incomprehensible designs with his cane when they broke the news to him, but he went on drawing his designs as though he heard nothing. When they repeated the news he turned to the Monk Arius and said : "Send Damon of Armant with ten thousand troopers to Canopus and send Frisca with ten thousand to Naukratis canal beyond the walls of the city. Let them wait there, for things shall come to pass." When we returned we found that the Romans had occupied the tower and captured Martha with five hundred of the national guard and shipped them off to the fleet of Diocletian.

Achilles : Is the tower still in the hands of the Romans ?

Officer : The tower is still in the hands of the Romans .

Africanus : And where is Panofer now ?

Officer : Since then he completely vanished.

Achilles : Poor Martha : She fell into their hands . God help her.

Pompeianus : This is utter madness. I told you the man is mad.

Severus : This is unbearable .

Not with proud legions and high-helmeted horsemen. but with the mob of Alexandria he has repelled the siege.

In the harbour.. at the city walls .. for eight long months the baffled Diocletian could not find a foothold where he could land his men, and whenever he was able to make a spear-head on the coast, Panofer came and cut it off like the tentacles of an octopus.

(Great noise outside. Enter Eyptian officer panting and in a confused appearance. He bows briefly to Achilles, then rises up quickly).

Officer : They have taken her. They have taken her.

Achilles : Taken whom ?

Officer : They have taken Martha.

Achilles : Who have taken Martha.

Officer : The Romans. The troops of Diocletian . **(Achilles stand up thoroughly upset).**

Voices : How ?

How ?

When ?

questioning God and raving deliriously : "O God, why did you choose to descend among the sons of Israel ? Why did you not descend in this holy valley of the sacred Nile ? Christ could not have been a Jew ! ". He was crying at the top of his voice : "God descended in Egypt! God descended in Egypt ! " while his tears flowed down on his bushy black beard and dripped on his frock. He almost reverted to the gods of his fore-fathers. When he called Mary we thought we heard him calling Isis. When he called Christ we thought we heard him calling Osiris. Then he fainted and fell down with a foaming mouth and only recovered consiousness when Martha came at nightfall and washed his feet with perfume like a demi-god in the agonies of passion, then departed with the break of day .

Manetho : All this is true, my lord.

Hathor (As though she had seen a miracle) ; O holy Isis : The Monk has a heart !

Tafeeta (Bursting with tears) : We knew not this . May our ignorance be forgiven.

Apepi : We would have been lost without Panofer. For eight long months he has repelled the siege, the longest siege in history.

(Everybody, dumbfounded, look at Philammon. Hathor beats her breast crying : "Philammon ! " Achilles stands up from his throne exclaiming : " Philammon !" Tafeeta gasps and cries : "Philammon" Severus and Diogenes Interfere to separate them).

Achilles : For heaven's sake keep quiet. Haven't we enough trouble as we are ?

Apepi : Philammon is right. These Roman gentlemen do not want to forget Rome even when they stand before the throne of Egypt. They are engineering trouble all the time . Panofer is a rough man, we all Know this . But he is unswerving in matters. Philammena belonged to his Christian faith, , yet that was not help to her. Speak, Manetho. The day Philammena was executed, how did you find the Monk. **(Achilles sits down).**

Philammont : Let me speak. He was weeping like a frail woman. His tears flowed down on his bushy black beard and trickled on his frock. He only had one thing to say and kept repeating ; Have mercy on her soul, O Lord' place her by the side of Mary, Mother of Christ." He almost went mad. He kept

Pompeianus : We will never leave her to the justice of the Egyptians . By Roman justice she must be tried.

Apepi : (Protesting) : My lord Achilles !

Achilles (Pacifying everybody) : There is no need for that, please.

Apepi : Listen, Pompeianus. Listen, Diogenes. We are all Egyptians here. Egyptians . Do you undestand ? Domitius Domitianus is finished. You must forget him. Our lord Achilles is an Egyptian. Is that clear ? His justice is Egyptian justice. Here you are simply Romans in the service of Egypt. Is that clear ? There is no Roman justice in the Royal Palace . If you fail to understand this, we will bring you Panofer to make you realize it .

Diogenes (Intervening) : Let it be so. Let it be so .

Manetho : Curb your temper, Apepi.

Pompeianus (Drawing) : With this I shall reap the head of your monk Panofer. I am a Roman and no one can blame a Roman .

Philammon (Drawing and crossing swords with Pompeianus) : Stay where you are .We shall all die before one hair of his head is touched.

Pompeianus : We will lead a hundred equestrians to rescue her from prison.

Manetho : To be tried in the court of Achilles ?

Severus : Let it be so : to be tried in the court of Achilles.

Manetho : Think twice, Achilles. A massacre might ensue.

Achilles (Anxiously) : Could it be done without bloodshed ?

Severus : We shall try .

Tafeeta (Sobbing, throws herself upon the steps of the throne) : Kill him, my lord.

Achilles : No. No. **(Taking her by the hand, he helps her to rise and calms her dowm)** Control yourself, Tafeeta. Sit down. **(She goes back to her place) .**

Africanus : He carries himself in Alexandria as though he were the king.

Pompeianus : Why don't you arrest him ?

Achilles : No. Let us face facts. He is the king .

Manetho : If we arrest him there will be a revolt against the crown and people will forget the siege of Diocletian.

Diogenes (Protesting) : You mean to say that Achilles is helpless ?

Achilles : Try to understand the situation, Diogenes .

Tafeeta (Taking up the same tune while Marina plays on her strings) :

The sun has sunk beyond the western wave ;

The Skyline caught the twilight's crimson blaze

And in my heart the embers glow

Since sank the setting sun of Philammena.

Marina : One word from the Monk would have saved her life.

Manetho : Panofer is alwaya repeating two words like a parrot : Justice. The Father - land. Justice . The Fatherland.

Pompeiams : This is the fate of Faustina, Achilles.

Achilles (Stung with pain, turns his face away) : Yes . Yes.

Severus : We must save my lady Faustina.

Afrioanus : She is in the prison of the star-chamber.

Pompeianus : No doubt a hostage.

Severus : No. She awaits trial .

Achilles : When will it take place ?

Apepi : Tomorrow .

Achilles (Wringing his hands with anguish) : What is to be done ? What is to be done ?

Severus : It is impossible that we leave her to the mob.

defence and talked at length about God's infinite mercy and about his son the redeemer, saying obscure words about marriage whose bond is fastened in heaven and cannot be unfastened on earth. The magistrates, pretending to grasp his meaning, stupidly shook their heads like idiots and seemed to deliberate among themselves. Finally, Imri, the cup-bearer stood up and a deep silence followed. He pronounced in a resounding voice ; "The verdict of this court is that Philammena, daughter of Aury son of Anubis, of the district of Bacchus, lady-in-waiting to Faustina, enemy of the father-land, is found guilty of high treason and shall be put to instant death in the manner prescribed by the law for traitors. " Philamena then lifted up her face to heaven and made the sign of the cross, and the soldiers led her out amid the spiteful jubilation of the uproarious mob and the scathing remarks of the furious rabble.

Hathor : Then at night we went to the prison to visit her, but found out that she had already been executed at sundown and that her body had been sent to her brother Philammon.

(All eyes turn to Philammon who stands pale and rigid like a wax statue murmuring : "God's will is done ! God's will is done ! ")

nine magistrates who looked like an Ennead of devils just emerged from the bottom of hell: a baker, a miller and a carpenter, a fisherman, a procurer, and a donkey - driver, a cobbler, and a cab-driver, Just think, Achilles, this band of ruffians whom they called the People's Tribunal, was headed by Imri, the palace cup-bearer whom we dismissed a year ago because he looted our wine - cellars ... (**She remains silent**).

Tafeeta : And when the soldiers pushed Philammena behind the bars, the men raised their fists threateningly and women hurled at her filthy words of abuse and smutty jokes, while Philammena blushed for shame and tears gathered in her eyes. Imri smiled complacently, and a famous prostitute, name Toota, whom every Roman soldier knows well, stood up to represent the prosecution. This woman said that the people accused Philammena of high treason on three grounds : that she married one of the enemy, that she helped him to escape, and that she escaped herslf to the camp of the enemy. Philammena stood with uplifted head looking at everyone with contempt. Then a Christian priest stood up as Counsel for the

Achilles (Smelling the frankincense) : Why the frankincense ?

Hathor : We were praying, my lord.

Achilles (Surprised) : In the Throne Hall ?

Hathor : For the soul of Philammena, my lord.

(Achilles shakes his head in grief . Philammon hides his face in his hand and a deep gloom sets in) .

Achilles : Which of you saw the trial ?

Hathor : We were all there, my lord .

Manetho : (At the same time) : I was there with Philammon.

Achilles : How did it happen ?

Manetho : (Stands speechless, his eyes bulging with stupor).

Hathor : Speak, Manetho .

Manetho : What shall I say ?

Hathor : (Walking like a somnambulist and talking to herself) ·

The court- room was quite bare, It was in the barracks of Camp Caesar. There were a hundred benches.

The crowd soon poured into the place which became packed with the angry mob. In the uproar were mixed the hoarse voices of furious men, the lewd laughter of indecent women and the shrill screaming of disgusting children . The atmosphere was choking with bad smells. On the rostrum sat

goes out , Hathor prays : " o Isis ! Goddess of the sacred veil ! Bless her pure soul. Bless her mutilated body. Gather together her torn limbs as you have gathered those of your beloved husband. Lift her soul to the abode of the immortals, there to shine with the brightest stars of heaven by the holy intercession of your wondrous husband, Osiris Khenti Amenti, Lord of Hapu and Chief of the Westerners."

Marina : Great zeus ! Answer the supplication of the holy Aphrodite.

Tafeeta : Great Ptah ! Answer the supplication of the holy Tefnut.

(Enter Emperor Achilles, Pharaonic dress but still retaining his Roman purple mantle, followed by Manetho who still retains his Greek costume , by Africanus, Apepi and Philammon who are all dressed in Pharaonic costume. Diogenes, Severus and Pompeianus follow, still accoutred in the Roman fashion. The women courtesy very deeply, almost touching the floor. As Achilles ascends the throne the Men also bow deeply. When Achilles makes a gesture with his hand the women rise up and the men stand erect.).

Marina : Whene'er a bark sails on the westward wave,

O mermaids of the sea, forsake your cave .

To bid it farewell in its western grave .

But oh ! without good-bye went Philammena.

Tafeeta : Whene'er the moon is down and black night hovers,

O mermaids of the Nile, forsake your rivers,

With tambourine awake the city-lovers.

To mourn with you the queen-moon Philammena.

Hathor : Enough of that, girls. Enough of that . Tears never bring back the dead.

Tafeeta : There remains only one hope.

Marina : That A chilles strikes.

Tafeeta : Just one stroke.

Marina: To rid us of this Christian wolf.

Tafeata : It was upon his behest that they killed Philammena .

Marina : As they would kill an innocent dove .

Hathor : A sacred offering on Love's altar. **(Going towards the right door, she claps her hands crying : " Frankincense! " Enter a slave carrying a burning censer exhaling the smoke of frankincense . The slave goes around the hall then**

side of the throne sits Marina in Greek dress holding a small Greek guitar. Flute music sad and soft, is heard from the neighbouring Reception Hall, punctuated by the sad deep beats of a distant drum Hathor is silently sitting in Pharaonic dress on a sofa looking thoroughly afflicted and nervously wringing her handkerchief).

Tafeeta (Singing while playing) :

Whene'er the wailing wind means in the night .

The melancholy nightingales are put to flight .

Whene'er the rising sun pours in the light .

The sea - waves murmur calling Philammena.

Marina (Responding) :

Like autumn leaves my thoughts are shed and scattered .

My captive soul is bruised and bound and battered.

And in my tower'd palace dreams are shattered.

For she I love is gone, my Philammena .

Tafeeta : The garden of my love is dry and sere,

Dead are my roses, withered around the year,

And birds no longer twitter in my ear :

The one I love is gone, my Philammena.

ACT III

(The Throne Hall in the Palace of Achilles, Emperor of Alexandria. The Pillars are of the Pharaonic type with gilded lotus capitals. The two entrances on the right and the left are also of the Pharaonic type, equally high and both crowned by the emblem of the falcon Horus with outstretched wings. Each entrance is inlaid with gilded stalks always ending with a lotus flower. The fresco on the ceiling shows the zodiac, an exact copy of the zodiac in the Temple of Tentyra (Denderah) , but the dominant colours are turquoise and gold . Many lighted candles in brazen stalks of lotus hang in the corners of the hall. The Throne is placed in the centre of the back wall facing the spectators and on both sides of the throne there are two enormous windows whose glass shows delicately painted patterns. Steps covered with a most luxurious purple carpet lead up to the throne which has overhead the double crown of Menes, the crown of Upper Egypt and the crown of Lower Egypt. A Few pieces of Pharaonic furniture are scattered here and there . On the right side of the throne sits Tafeeta in Pharaonic dress, holding a huge Pharaonic harpsichord. On the left

proud of it because my pure love has made me see the light, while your sinful love is hurling you into a bottomless pit .

Panofer : Oh ! The slut ! The Slut !

Martha : (With a resounding voice) : Come, all of you ! Come to see Panofer, the great monk, wallowing in the mud **(Exit Martha through the right door thoronghly agitated).**

Panofer (After a moment of silence) : Oh, my God ! What have I done ? What have I done ?

(As though talking to himself) I have served God . I have served men. I have only asked for my right to live .

Martha : You closed the doors of mercy, then you speak of love ?

I seek to repent and you say : thou shalt not be forgiven. Philammena asks to be pardoned and you say : justice before mercy.

Panofer (Forgetting himself) - One word from you could save her life.

Martha (Calling out at the top of her voice) : Come, all of you. Come and witness. Panofer, the great hero, is bargaining over the life of a traitress.

Panofer (Lowering his head, covered with shame) : Forgive me.

Martha : I have forgiven you. Let this teach you to forgive others.

Panofer : Yes. Yes . I am damned . Only you can save my soul.

Martha : I Shall pray for you, Panofer, May you have peace.

Panofer : When shall we get married ?

Martha : I have chosen my lover.

Panofer (Anxiously) : Your lover ? Who is your lover ?

Martha : Christ is my lover.

Panofer (Furiously) : Heresy. Heresy . It is Constantine, you slut.

Martha (Biting her lip) : Yes, It is Constantine, and I am proud of it .

He came and went away like an iridescent angel, Yes . I am

You are an experienced woman. You know what life is . You have known many men. I have known no woman . Do you understand ? No woman. I have met a thousand women but took notice of none, until I saw you dancing in the Palace of Achilles.

Your wild perfume awakened in me something that devoured my soul and flesh, something that devours as faith devours, Yes, faith eats the heart, gnaws the mind, lacerates the body. So does sin. It is something devouring like faith. (**He chases her across the room to take her in his arms)** .

Martha : Don't come near me. (**Sarcastically**) What do you know about faith ?

(Pointing to her heart) It descends like an angel with luminous wings bringing peace and solace to the aching heart.

Panofer : Come to me. Without sin. Without sin, For you I shall cast away this frock.

We shall get married. Who said that love is a sin ?

Martha : What do you know about [illegible] , Panofer ?

Panofer : You will teach me, You will teach me.

Panofer : But men will never accept it .

Martha : Then I shall roam in the wilderness.

Panofer (Holding her arm) . If you do, I shall also roam with you to the edge of the sandy infinite.

Martha (Suspiciously) : What are you saying, Panofer .

Panofer : Martha. Listen to me, I want to tell you something. (He looks around him).

To you alone **(He leaves her arm).**

Martha : Go on. Speak..

Panofer : Try to understand.

Martha : I shall understand everything you say.

Panofer (Pointing to his heart) : I am in love with you.

Martha : Impossible !

Panofer : Hopelessly. My doom is sealed. Come here. Come nearer. Let me touch your exquisite flesh, Let me inhale your odorous breath. **(He takes her in his arms and kisses her arm from shoulder to wrist),**

Martha : (Fleeing angrily) ; Go away from me.

Panofer (Imploringly) : Don't ever leave me . If you do I am ruined, utterly ruined.

Martha : Panfoer !

Panofer : And that you are more seductive in your dancing costume than in this plain dress?

Martha : Have you gone mad ? What are you talking about ?

Panofer (Holding her face with his two hands) : Like a red ruby radiating blazing flames and inspiring hectic dreams.

Martha : I don't understand all this talk. Dancing . Sorcery Beauty. I never thought that Panofer the Monk would pay attention to such things.

Panofer (Talking to the void) : Like a black diamond spreading fearful darkness that dissipates the light of day .

Martha (angrily) : Why do you remind me of my past sins ? Have you forgotten what I told you .

Panofer : What ?

Martha : That I shall go to a convent .

Panofer : That is impossible .

Martha : What right have you to prevent me ?

Panofer : They will never accept you .

Martha : God has accepted my repentance .

Martha (Bewildered) : Are you talking to someone ?

(Panofer stares at her)

Panofer : Martha !

Martha : Are you unwell, Panofer ?

Panofer : Are you happy Martha ?

Martha : Happy ? Yes. I am happy. Why do yo ask ?

Panofer (Drawing still farther from her) : Never mind . Never mind .

Martha (Drawing near to him with great tenderness) : What ails you, Panofer ?

(Panofer stares at her and remains silent)

Martha : Why do you stare at me like that ?

Panofer (Holding her arm violently) : Do you know ...

Martha (Screaming and laughing, disengages her arm) : You are hurting me .

Panofer : .. that you are the finest dancer in Alexandria ?

Martha : (Smiling) : Indeed ? I have already forgotten .

Panofer : And the greatest sorceress ?

Martha (Reproachfully) : oh, please. Do not revive the past.

Panofer : And the most exquisite woman ?

Martha : Here is to Egypt **(She drinks).**

Panofer (Drinks) : And here is to Achilles.

Martha (Drinks) : Here is to Constantine.

Panofer (Stung with pain, drinks) : Here is to Martha.

Martha (Drinks) : Here is to Panofer.

Panofer (Sighing sadly) : The sad Panofer.

Martha (Surprised) : What saddens the heart of Panofer ?

Panofer (Drinks pretending that he has not heard) : This one also is to Martha.

Martha (Drinks, still surprised) : And I drink to your health, Panofer.

(Panofer draws far from her, His eyes vacantly turn in the empty air and look at the ceiling).

Panofer : He is back.

Martha (Unable to understand) : Who is back ?

Panofer : It is he. It is he. Avaunt. Away. Away.

Achilles : How dare you remove their forces from the tower. Don't you know that the fleet...

Panofer : Yes, I know, but they are Romans.

Manetho : Why did you not wait for Achilles' orders ?

Panofer : You expect me to leave them to Diocletian to bargain with them ?

Achilles : And, may I ask, who will defend Pharos Palace ?

Panofer : Apepi and Philammon.

Manetho : With the mob of Alexandria ?

Achilles (To Manetho) : Leave him alone. All civilians must be evacuated from the Palace at once. I shall lead the army myself. Come on, Manetho. Come on. **(With bitter reproach)** Panofer is an uncrowned king. **(A guard sounds the bugle at the left door. Exit Achilles and Manetho through the same door).**

Martha : Panofer. Achilles is incensed against you.

Panofer (Nodding thoughtfully) : Perhaps. Perhaps.

Martha : What did he expect ? You were only doing your duty.

Panofer : He is angry because of Faustina,

Martha : He is jealous of your power.

Panofer : No. No. He will thank me when he knows everything. Let us drink to victory.

(He fills up two huge silver goblets from the pitchers placed on the marble table and gives one to Martha. He raises his cup) Here is to Egypt **(He drinks).**

Panofer : Not quite.

Achilles : Speak.

Panofer : My lady Faustina.

Achilles (Confused) : Where is she ?

Panofer : We have arrested her.

Achilles (Hiding his face in his hands for a moment, then saying in a low voice) :

Send her to the Royal Palace.

Panofer : She is with the war-captives.

Manetho : Panofer ! How dare you ? She is still her majesty the queen.

Panofer : No. No. She refused the crown of Alexandria. She did not attend the coronation ceremony. She escaped to the camp of the Romans.

Manetho : Then hand her over to her husband Achilles.

Panofer : We are in a state of war. Her place is with the war-captives.

Manetho (Threatening) : You damned...

Achilles (In extreme anguish) : Enough, enough. Tell him the news, Manetho.

Manetho : The latest news : The Roman garrison in Busiris has surrendered to Prince Tadrus; that of Coptos to Prince Timagenes. We have forty thousand captives from Coptos and Busiris.

Panofer (Jubilating) : Blessed be the Lord ! Now all the country is in our hands. At last the great dream is fulfilled. **(Murmurs a short prayer).**

Achilles : Is it true what I have heard of Diogenes and Severus ?

Panofer : Yes. It is true.

Guard (Pulling her gently by the arm) : Let us go.

Philammena : No. No.

Guard (Pulling her roughly towards the right door) : Come on. Let us go.

Panofer (Full of dread and tenderness) : Don't be afraid. Don't be afraid.

Philammena (Screaming as she goes out of the right door) : Martha ! Martha ! Martha !

(Her voice vanishes gradually. Enter Martha hurriedly through the left door with the echoes of Philemmena's call ringing in her ears. She fixes her eyes on the right door).

Martha : That is Philammena's voice.

Panofer : Yes

Martha : What have you done to the poor girl ?

Panofer : Nothing.

Martha : Then why was she screaming ?

Panofer : Because she is going to prison.

Martha : Panofer !

Panofer : I said everything will proceed justly. Don't be afraid.

Martha (Wringing her hands not knowing what to do) : Release Philammena, Panofer.

Panofer : Let us forget about that.

Achilles (Coldly) : Have you finished ?

(Martha realizes Achilles' presence. She courtesies very deeply, exclaiming : "My lord Achilles !")

Panofer (Looking at heaven) : I leave her to justice.

Manetho : Perhaps Achilles has another view.

Panofer : Achilles views only what the People views.

(Achilles goes up and down pondering with obvious displeasure).

Manetho : Who rules the country, Achilles or Panofer ?

Panofer : The People rules the country.

Philammena (Sarcastically) : And Panofer rules the People. **(In calm grief, suffering with dignity)** Do what you like. I shall face the people and cry at the top of my voice : Come, Take. I accept my martyrdom. If I am a criminal, then my crime is to have loved greatly. Love knows no bounds, no difference of creed or race or colour, no bars between the rags of the poor and the purple of the mighty. Love surpasses all things terrene because it flows from the Godhead.

Panofer : Come along. Take her away. **(Enter guard. Panofer whispers in his ear).**

Guard : Indeed, Sir, indeed.

Panofer : Follow him. Philammena.

Philammena (Suspiciously) : Where to ?

Panofer : He knows where to go. Don't be afraid.

Philammena : I shall wait with my lord Achilles.

Panofer : No. No. **(Achilles turns his back and looks petrified).**

Philammena : I shall wait until Martha comes.

Panofer (Ironically) : My lord the Emperor, Philammena is a brave girl. She confesses. She will confess before the court **(Cruelly)** that she is a traitress.

Philammena (Proudly) : Yes, I shall confess. Do what you like. You call this treason? Since when love is treason ? I understand nothing about your politics. Fighting fighting, this is all I see around me. Egypt, Rome, Rome, Egypt. All this does not concern me. When I eloped with Armanus we hid out in the church. Armanus kissed the cross. He took the sacrament. We were married by the priest. We were dreaming of having fair children, of making a happy home. For me my home is my sheltering nest, my brave kingdom, my country green. Roman or Egyptian, who cares ? He is God's creature. We are all God's creatures. To him I vowed my life. To me he vowed his love. I want nothing else, nothing. nothing.

Panofer (Speaking like a judge) : Love is not love unless it is blessed by God. The country's enemy is God's enemy.

Manetho : Philammena simply made an error of judgment.

Panofer : She will be justly tried.

Manetho : No. No. I beg her life from our lord Achilles.

Panofer : I said she will be justly tried by the People's Tribunal, to be an example to all traitors.

Manetho : Panofer ! You will not leave her to the mob !

Panofer (Sarcastically) : But if she goes on despising us we shall treat her as an Egyptian traitor. Do not forget that she is Achilles'wife, and Achilles now is an Egyptian.

(Philammon is about to leave with Faustina through the left door. Philammena follows).

Panofer (Staying her) : Whereto, Philammena ?

Philammon (Before he disappears) : Leave her in my custody.

Panofer : Get along Philammon. **(Exit Philammon anxiously looking behind).**

Philammena : I shall follow my brother.

Panofer (Seriously) : Well said. How wise you are.

Philammena : Let me join my brother.

Panofer (Sarcastically) : Who taught you this wisdom ?

Philammena : Let me go.

Panofer : Did Armanus teach you a lesson in patriotism ?

Philammena (Defiantly) : You are wrong, Panofer. I wanted to join Armanus. but the soldiers protested and said "No women come on board".

Panofer : Ah ! So this is the reason why you came back.

(Sighing ironically) It is love. It is always love.

(Enter Achilles with Manetho and guards. Panofer bows and Philammena courtesies.)

Achilles (Smiling) : I hear words about love.

Severus (Angrily) : Yes. I refuse your hand.

Diogenes : Pompeianus was right.

Severus : No. No. Achilles will put everything right. **(The Romans move to leave).**

Panofer : Diogenes, before you go. Do you know Diocletian?

Diogenes : Yes.

Panofer : Personally ?

Diogenes : Yes, personally. Why do you ask ?

Panofer : Do you know that he is very cunning ?

Diogenes : Perhaps.

(Philammon approaches Panofer and whispers in his ear).

Panofer : Tell your lord Achilles.. **(Hesitating)** No need. No need. Go along before he lays his snares in your way. **(They approach the left door)** My lady Faustina waits. **(Faustina stops midway).**

(Exit Romans and Apepi through the left door. Philammon and Philammena are also about to leave but are stayed by Panofer. Bugle outside).

Panofer : One moment Philammon.

Philammon : At your service.

Panofer : On your way, put my lady Faustina with the war captives.

(Faustina spits contemptuously but no saliva comes out).

Panofer (Calmly) : She is a Roman. She will enjoy the privileges of an enemy prisoner. **(Faustina waves her head and hand contemptuously).**

a hunted man. Is there not an order for your arrest ? But we shall not hold you up at this critical time because you are a useful man; because we do not want to antagonize the mob.

Panofer (Cajoling him) : Don't be angry, my lord Severus. Try to understand the situation. It is an absolute necessity.

Severus : What necessity ?

Panofer : Let us speak frankly, You are Romans and we are Egyptians. You are partisans as you call it, but still you are Romans. To-day you may be against Diocletian. but tomorrow you may make up your differences with him. How can I leave the Palace in your hands ? No. No. Neither the Palace nor the walls of the city. Both must remain in Egyptian hands.

Severus : In short, we are captives.

Panofer : No. No. **(Reproachfully)** You have a suspicious mind, Severus. **(Offering him his hand)** This is a word of honour, Egyptian honour. Take the Roman garrison to the Palace of Achilles. He will dispose of you in the manner he likes. Perhaps he will ask you to defend the royal palace, or even the centre of the city. Anything but the coast and the city-walls. Are you convinced now ? You and your men are perfectly free. Do not then talk of Egyptian treachery. I gave you my word of honour. Do you refuse my hand ?

Apepi (Calmly) : Every sword back to its scabbard. You have a choleric temper, Panofer.

Panofer (Going up and down weighing the situation) : I beg your pardon. Apepi...

Apepi (Coming forward) : Yes, Panofer.

Panofer : Can you defend the tower ?

Apepi : With civilians ?

Panofer : Until Achilles comes.

Apepi : When will he come ?

Panofer : He is on his way to us.

Apepi : Yes, I can.

Panofer : And you, Philammon, you defend the coast : the front of the Palace **(To Apepi and Philammon)** : Evacuate all the Romans from the Palace. Only the Egyptians will defend the Palace. All the Romans must withdraw to the interior of the city. None but the Egyptians shall remain in Pharos Palace. These are orders and they must be carried out strictly. Whoever resists, slay him to pieces.

Severus : Listen, Panofer. You are an ignorant man. You know nothing of the art of war. Don't you know that one Roman soldier is worth ten of your Egyptian rabble ? Alexandria will fall within one week of the siege. You bear the responsiblity alone. If we were not making accounts with Diocletian we would have dealt with you adequately. Do not forget that you are

Diogenes : Let it be so. We shall not waste our time quibbling.

Severus : Achilles is the master of the country.. I shall surrender the standard to him personally.

Panofer : And where are the rest ?

Diogenes : They sailed to Diocletian.

Panofer : What ! sailed to Diocletian !

Philammon : Yes. They sailed to Diocletian.

Panofer : How many were they ?

Philammon : There were Armanus, Rufinus, ten centurions and three hundred footmen. The rest are in the tower.

Panofer (Angrily) : Why did you not arrest them ?

Diogenes (Sarcastically) : Why should we arrest them ? They are Romans. Free-born Romans. Do you understand ? They simply had a different point of view. They thought to serve Rome under the flag of Diocletian and we thought to serve Rome under the flag of Achilles.

Panofer (Furiously roaming about the room) : Vipers ! Vipers ! Martha was right. They are Romans serving Rome under the flag of Achilles. **(Threatening with his fist)** Apepi ! Philammon ! Arrest them. There are no Romans here. Achilles himself serves Egypt under the Egyptian flag.

Pompeianus (Draws) : Treachery ! Treachery ! On your guard, men. We are captives. **(The Roman officers draw their swords instantly).**

Panofer : No. No. All Romans go to Achilles. At once.

Diogenes : I said I am staying here with my men.

Panofer : And I said my men will defend the Palace.

Pompeianus (Sarcastically) : Your men ! Do not talk to us about your men. They are bands of mob armed with knives and axes.

Panofer (Furiously) : And yet they defeated you. I won't allow you I won't allow you. **(General confusion)**

Philammon : Be patient, Panofer. My lord Diogenes is right.

Panofer : Shut up. You are still green in judgment.

Apepi (Interfering) : The siege has begun, Panofer. This is not a battle for civilians.

Panofer : We are aware of that. Siege or no siege, the command must be changed.

Pompeianus : We are not captives, Panofer. We have come...

Panofer : Of your own free will. Yes. Yes. **(He ponders).**

Severus : We are Romans. Diocletian has disobeyed Rome, so we disobey Diocletian. This is the way we look at it.

Apepi : My lord Diogenes is right.

Panofer : Surrender your standard.

Pompeianus : No. The standard of the Romans remains in the hands of the Romans.

Severus : We are not captives, Panofer. We are partisans.

Panofer : Partisans. You say partisans. We are all subjects here, subjects to Achilles, Emperor of Alexandria.

Diogenes : You are still Achilles'wife Faustina.

Panofer : Let her give vent to her fury.

Faustina (Contemptuously) : Achilles is the puppet of the Egyptians. I am no longer his wife. You will all be led in the triumphal procession through the streets of Rome. Your heads will all be chopped off. As for you, dirty monk, you will be crucified on the road to Capua with slaves and brigands for vultures to feed on your carcass.

Panofer : Never mind. Never mind. **(Turning to the group)** Have you come to an agreement?

Apepi : This is General Diogenes. He is first in command here.

Panofer : Welcome to you, Sir. Welcome to you, my lord Pompeianus. **(Pompeianus looks at him superciliously and does not answer)**

Philammon : And this is General Severus.

Panofer : Who does not know Severus the Conqueror ? You have agreed ?

Apepi : On everything.

Philammon : The Egyptian flag is now hoisted on the tower.

Panofer (Going round them and scrutinizing them with a questioning look) : Then you have accepted.

Diogenes : Yes, we have accepted.

Panofer : You will go at once to Achilles.

Diogenes : To Achilles ? Impossible. I am staying here with my men.

Pompeianus : My men will also defend the Palace.

Martha : Say it : the queen of prostitutes. I know that he is as lofty as the clouds, as unattainable as the mirage, as pure as the snow-caped pinnacles of Mount Sinai. That is why my soul was possessed by supernatural peace. Yes, this is the secret of my happiness : that I love in the spirit and not in the flesh. Do you understand now ?

Panofer (Tenderly) : Now, now. Go back to the company. They will miss you. I shall pray for you, Martha. **(Exit Martha through the left door followed by Panofer's heavy breathing)** No. No. Anything but the convent ! Anything but the convent ! **(Enter through the left door Apepi with the Roman generals, among whom is seen Faustina and Philammena. One of the officers is carrying a Roman standard).**

Panofer : Lady Faustina ! **(He bows ironically).**

Faustina (Angrily and arrogantly) : You filthy Egyptian ! **(Murmurs of discontent).**

Diogenes : There is no need for this, my lady.

Faustina : Shut up, you traitor.

Severus : You are now on Egyptian soil, Faustina.

Faustina (With disgust) : Shame ! Shame ! Severus, the conqueror of Gallia, surrenders the Palace. **(She covers her face with her hands. With a trembling voice) :** Traitors. All of you are traitors.

Panofer (Eagerly) : With whom ?

Martha : With Constantine.

Panofer (Drawing back) : Constantine !

Martha : Do not leave me.

Panofer : Martha !

Martha : From the first sight I knew I was enchained by his love. How my tears flowed and flowed, until my eyes became like dried up springs. Thorns of remorse grew in my heart, and pricked me like pointed thistles. I pray to Christ but I always see the face of Constantine.

Panofer : Enough. Enough.

Martha : Then a strange peace dwelt in my soul and saved me from the hounds of hell. His love purified me. I no longer thought of my body. Do you know how fresh we feel when we go out into wet weather when the spring showers have stopped raining ? This is how my body felt and with my body my soul. I knew that my tears have washed away all my sins. I knew that God has accepted my atonement. So. I vowed myself to Christ when the fighting is over.

Panofer : Stop it, you slut.

Martha : Panofer !

Panofer : You do not love Christ. You love Constantine.

Martha : Are you angry, Panofer.

Panofer : This is sheer madness. Constantine is in Byzantium the king of kings and you are here...

Panofer (Laughing hysterically) : Ha, ha, ha, ha ! Martha in a convent ! Ha, ha, ha, ha ! Martha in a convent ! Ha, ha, ha, ha ! Martha in a convent ! I suppose you will go to the convent in your dancing costume with your guitars and cithars and your band of chorus girls ! **(Frowning)** This is sacrilege.. sacrilege .. sacrilege. Do you understand ?

Martha : No, no, no.

Panofer : Do you think that the convent is like your Temple of Isis ? Have you forgotten who you are, Martha ?

Martha (Trying to kneel down before him but he prevents her) : Help me, Father ?

Panofer : (Helping her with his hand to rise) : No, no. Do not confess. Your sins are numberless : as countless as the sands of the sea; as countless as the stars of heaven. Do not confess. It is no use. I shall pray for you. That is all I can do for you. What happened to you, Martha ?

Martha (Sighing) : It is love, Panofer.

Panofer : Love ?And what is new in that ? You were born in the Temple of love.

(Gently caressing her hair with a mixture of tenderness and lust) You close your eyes on love. You open your eyes on love. You breathe love with every breath you draw.

Martha : No, Panofer, no. Do not remind me of my sins. This is something different.

Panofer : We shall see. We shall see.

Martha : From the first sight I fell in love with him. Panofer.

His eyes were blue, of the still sunny blue of Mariotis pool. His fair long hair reached down to his shoulders. His golden beard looked like waves of gold. It seemed to me I was talking to Prince Constantine. With panting breath I said : O Lord ! Why did you not appear to me before my days of thoughtless sin ? When I set eyes on you, love, like gentle lightning, lighted up my murky heart; and when you vanished from my sight my nights were sleepless and sunless were my days. I wept and wept until my eyes were dry and sere. Oh handsome Prince ! Oh holy spouse ! My dowry is my tears. To you I offer all my heart. Will you accept the offering ? He then smiled and patted my hand and answered thus : Precious is your dowry. Take this my ring, for you shall be my bride. And so I said : then you will be thereafter my lord and master. **(Showing Panofer her left hand)** Look at this ring ! Is it not beautiful.

Panofer (Gazing with amazement at her hand, he sees no ring) : What ring ? I see no ring ? What happened to you, Martha ?

Martha (Like one waking from a dream) : Panofer ! After we seize the Palace, I shall go into a convent.

Panofer : What are you saying ?

Martha : I shall go into a convent.

Panofer : You go into a convent.

Martha : Yes, I.

Panofer : What are you talking about, Martha ?

Martha : The Virgin has accepted my repentance.

Panofer (Moving both hands before her eyes as though he wanted to wake her up from a hypnotic sleep) : This is magic ! This is magic ! This is magic ! You are under a spell, Martha.

Martha (With a resounding voice) : The Virgin has accepted my repentance. **(Her voice falls)** She lifted her finger, pointing to heaven, and said : My Son, if He pardons I pardon and if I pardon He pardons. I knelt down and kissed the trail of her gown.

Panofer (Bewildered) : Blessed be the Lord.

Martha : And when I asked Him...

Panofer (More bewildered) : You asked Him ?

Martha : Yes. He came and I asked Him. Don't you believe me ?

Panofer : Yes. No. No. I mean : yes. I believe you.

Martha : He came down from the heights, then He stooped down and held my hand saying "Rise up. Rise up. For the sake of the Magdalen all your sons are pardoned".

Panofer (Terrified as though he sees the devil) : You mean Christ !

Martha (Proudly) : Yes. He is now my Lord and Master.

Panofer (Terrified) : Martha ! This is heresy.

Martha (Smiling peacefully) : Do you know whom He looked like?

Panofer : Beware, Martha. Beware.

Martha : He looked like Prince Constantine.

Panofer : You.. saw.. the Virgin ?

Martha : Yes I saw the Virgin.

Panofer (Doubting the sanity of her mind) : Where ? Where ?

Martha : A little while ago. I fell asleep, then I woke up. Didn't you say that I was weary ? Didn't you say that I should have a rest ?

Panofer : Yes. I said so.

Martha : I listened to your advice. I went out to the palace-garden to have a rest. There I laid down under a fig-tree and fell asleep. In my sleep I saw the Virgin all dressed in green. Why do you teach us wrong thinge?

Panofer : All dressed in green ?

Martha : Yes. She was not in a blue gown as you always teach us. She was in a green gown. On her brow there was a crescent with three stars.

Panofer : That is not the Virgin.

Martha : Have you seen the Virgin ?

Panofer : No. No. Only in pictures.

Martha : I saw the Virgin and she was in a green gown. She smiled at me and beckoned bidding me approach.

Panofer : Did she say anything ?

Martha : When I approached I asked her : "Is it too late ?"

Panofer : Too late ? Too late for what ?

Martha : She answered : "No." I asked her : "Is there still hope ?" and she nodded, covered with smiles, saying : "Yes. Oh, yes".

Panofer (To Arius) : Go along with him, Arius. Let nobody do him any wrong. **(Exit Arius and Offieer. Panofer talking to himeslf) Martha was right. No negotiations. To-day we raise the Egyptian flag over the palace-tower. (Enter Martha through the left door. She crosses over to Panofer in a strangely serene calm).**

Martha (Shyly) : Father Panofer !

Panofer (Tenderly) : Martha !

Martha : Bless me, Father.

Panofer : What is that on your face ?

Martha : Is there anything on my face ?

Panofer (Surprised) : Yes. I see a halo of light.

Martha (Exulting) : Blessed be the Lord.

Panofer (Still surprised) : Have you been praying ?

Martha : Bless me, Father.

Panofer (Turning away obviously tortured) : God bless you. In his boundless mercy may He bless all sinners.

Martha (Shyly) : Yes, I was praying, Why do you avoid me ?

Panofer (Looking intently at her face) : Why is this unusual peace ?

Martha (Dreamily) : I see the light.

Panofer : What light?

Martha : I asked her ...

Panofer : Asked whom ?

Martha : The virgin. Virgin Mary of course. Don't you believe me ? I saw her and asked her.

Write that Achilles is chosen by the Egyptian people and therefore can only be deposed by the Egyptian people. Also write, Arius, that Egypt has honest enough judges to try the murderers of Rusticanus. Do not forget to say that Panofer is nothing but a poor monk who has no worldly desires... **(Biting his nether lip)** I mean who desires nothing more than the Kingdom of Heaven. **(Staring at Arius and asking bitterly)** Is it not so, Arius ? **(Arius moves towards the right door)** Arius ! Begin the missive : "From peace-loving Egypt, Independent and Sovereign **(Exit Arius) (Enter through the right door two mariners and a soldier in a hurry crying : "The Roman Fleet ! The Roman Fleet has appeared". Panofer makes a gesture bidding them to be quiet).**

Officer (Warningly) : Think well, Panofer.

Panofer (Roaring) : Is it part of your mission to threaten too?

Officer : No. No. My master, the Emperor, is a peace-loving man.

Panofer (With diabolical defiance) : Tell your master the Emperor : if he wishes to have Achilles, let him come himself and take him. **(Softening)** No. Tell your master to go back to his country if he truly loves peace. Men of Egypt !

(Enter rushing through both doors crowds of soldiers and citizens). To the tower. To the tower. Follow Philammon.

(Exit crowd chanting the anthem : "Glory be to Pharaoh". Enter Arius carrying a pen and an outspread scroll of papyrus, which Panofer examines carefully, then signs and hands over to the Officer saying : "Fine ! That is fine !").

Officer : My master, the Emperor, did not mention surrender.

Panofer : This is worse. Your master the Emperor wants treason. He wants me to join him and to destroy the nationalists, so that peace and security may prevail in His "beloved province of Egypt".

Officer : Is that not what the Egyptians want ? that they should be ruled by an Egyptian.

Panofer (With cunning sarcasm) : How shall we write back, Arius ?

Arius (Sending his sarcasm) : We give him what he wants.

Panofer (As though dictating) : Then write, Arius :

To my lord and master, Diocletian, August Caesar of the East and sole Emperor of the two hemispheres. In the name of repentant Egypt I kiss the fringes of your purple mantle. No, no. That is not enough. I kiss the dust on which you tread. **(Bursting with laughter)** Ha, ha, ha, ha!

Officer (Angrily) : You are ridiculing my master, the Emperor, Beware, Panofer.

Panofer (Pacifying him) : Don't be angry, Don't be angry.

Officer : Then you refuse ?

Panofer (Dictating seriously) : Write, Arius, that peace and security perfectly reign in our beloved Egypt under the banner of our beloved Egypt. Write that all Alexandria cheers with the voice of one man : "Long live Emperor Achilles !" and that Panofer also cheers : "Long live Emperor Achilles !"

"It is now our certain belief that the problems of our beloved sons of Egypt, exemplary in loyalty to the glorious Empire, can never be understood except by an Egyptian. Since you, Panofer, enjoy the confidence of our beloved Egyptian people, we have thereupon deposed the unjust and rebellious son of Rome, Lucius Domitius Domitianus, better known to you by the name of Achilles, and it is our pleasure to instate you in his place as Prefect of Alexandria and Viceroy of Egypt on two conditions : First, that you surrender to us this traitor togethor with his rebellious associates, yielding all those who have taken part in the foul assassination of our faithful servant Rusticanus to the justice of glorious Rome; Secondly, that peace and security should prevail in our beloved province of Egypt. Should you need a striking hand, you will find our fleet waiting outside the harbour for you to command".

Arius : Then... the Roman fleet has actually arrived.

Panofer (Laughing sarcastically) : The sly fox. The sly fox. The cunning Diocletian. He is trying to bargain.

Arius : He speaks of anxiety and unrest. He does not recognize the revolution. He speaks as though he is still the master of the country.

Panofer : He is trying to bribe me, Arius. Ha ! ha ! ha ! If you surrender we make you Prefect of Alexandria and Viceroy of Egypt. Ha ! ha ! ha !

Officer : Which of you is Panofer ?

Panofer : I am Panofer.

Officer (Taking out of his doublet a sealed message which Panofer breaks and peruses) : My master, the Emperor, is waiting for the answer.

Panofer : Where is your master, the Emperor ?

Officer : The Roman fleet is waiting outside the harbour.

Arius : That is a lie. There is nothing outside the harbour.

Officer (Politely) : Beyond the horizon, venerable monk.

Panofer (Reading slowly and aloud) : "From Diocletian, Emperor of glorious Rome, to the pious Monk Panofer:

"Our greetings to you and the greetings of the Roman People to the beloved Egyptian People".

"It has come to us that you are beset by various anxieties and causes of unrest. We have taken note of the many acts of persecution, tyranny, and injustice that have been lately inflicted on our beloved Egypt, the gem of the Empire. We wish it to be Known to all Egyptians that Roman Justice is unscruplously impartial and for ever awake, ready to smite evil doers and blast the enemies of Roman peace; that the unsheathed sword of Romulus will never go back to its scabbard until every injustice is redressed and all our subjects feel safe to worship their various gods in perfect freedom".

Panofer (With a dangled head) : No. She knows nothing.

Arius : You break your pledge to God.

Panofer : I shall put away the monk's apparel.

Arius : No. No. Never lose hope in God's mercy. Leave everything. Retire into a monastery, and pray and pray and pray.

Panofer : Leave everything ? Impossible. We must finish what we have started.

Arius (Approvingly) : Yes. You are right.

(Philammon appears at the left door)

Philammon (Looking puzzled) : A messenger from Diocletian. He asks to see Panofer.

Panofer : From Diocletian ?

Philammon : So he says.

Panofer : Have you examined his credentials ?

Philammon : Apepi examined them.

Panofer : (Stepping forward) : Arius, ask him what he wants.

Philammon : He wants to see you personally, Panofer.

Panofer : Grant him safe passage. Has the Roman fleet arrived ?

Philammon : No. Nothing yet in the horizon.

Arius : It is a stratagem. Turn him away. Arrest him.

Panofer : No. No. Give him safe passage. Remember this. A messenger's person is sacred.

Arius : No doubt Diocletian is threatening fire and destruction.

Panofer : Why did he not go to Achilles ?

(Enter a Roman officer. Philammon waits at the door).

Arius (Drawing back) : Panofer !

Panofer (Stammering) : Come. Let us pray for Martha.

Arius : Yes, indeed. She needs our prayers. **(He mutters).**

Panofer : She has known many men. **(He mutters).**

Arius (Raising his eyes to heaven) : God's mercy is infinite.

Panofer : Stay where you are. **(Kneeling down before him).**

Arius (Puzzled) : Panofer !

Panofer : Pray for me, my son.

Arius : Panofer !

Panofer : Yes. Yes. Panofer is in love. Hopelessly and irretrievably in love. Have you heard me ? I am in love. I love Martha. I loved her since the day I saw her in the Palace of Achilles. Do you remember how she danced for Achilles ? **(Stung with pain)** For Constantine ? Her body twisted in mortal coils like a seductive snake. Oh, the rhythm ! the rhythm ! Do you remember the rhythm ? And her perfume. It awakes my senses, like a thousand red roses. No. It is black magic. Like a thousand snakes twisting round my body, squeezing, squeezing, squeezing. I no longer pray, my son. **(Looking at the ring on his left ring-finger)** Oh, mother of God ! Boundless is your mercy. **(He bursts into tears, sobbing aloud).**

Arius : My God. This is the curse of the Patriarch !

Panofer : The curse of the Church.

Arius : Rise, Panofer, rise. **(Helping him to rise)** Have you told Martha anything about this ?

Arius : What is the matter, Panofer?

Panofer (Pointing to his heart) : My heart, My heart.

Arius (Shouting) : Send for a doctor !

Panofer (Laughing hysterically) : This is madness, madness, utter madness.

Arius : What is it ? Speak, man.

Panofer : You will never understand. You will never understand.

Arius : Speak, for God's sake. I beseech you. What is it ?

Panofer (Scours the room staring in the void and pointing to the ceiling and the corner. The devil ! The devil ! Look ! Look !

Arius (Bewildered) : What has come upon you, Panofer?

Panofer : Don't you see it ? It is there. Floating in the air. Here. Lurking right in that corner. There, there. Hidden in the ceiling. Can't you see ? **(Examining his cape)** Right here in this frock. Yes, in this frock. **(Pointing to the left door)** No. No. It has left. It has gone out of that door.

Arius : You are delirious. Pull yourself together. The doctor will soon come.

Panofer (With hollow laughter) : Come here, my son.

Arius (Drawing near) : Do you want something ?

Panofer : Have they ordained you to receive the confession ?

Arius (Surprised) : Yes. Why do you ask ?

Panofer : You are twenty years younger than I, but never mind. Come. Come. Let me confess to you.

Panofer (Cruelly) : Justice is above mercy.

Martha (Sighing) : Love is blind, Panofer.

Panofer : Yes. Yes. Love is blind, Martha. **(He feels weak and staggers. Arius rushes to support him by the arm).**

Martha (Anxiously) : What is wrong ? Are you ill?

Arius : Are you sick, Panofer.

Panofer : No. No. Just a passing fit.

Arius : Your face is pale.

Martha (Putting her hand on his forehead) : Your forehead is burning. You have a fever. **(She wipes his sweat).**

Panofer (Recovering and pulling himself together) : Yes, Martha. Love is blind. Love is deaf and dumb. Love listens only to its own reasons. **(Thundering)** So is my love for Egypt. It is blind, deaf and dumb. it listens only to its own reasons. Philammena escaped to the camp of the enemy. I have no mercy for traitors.

Martha : Think of her poor brother.

Panofer : Enough. Enough of that. Go, now. Go.

(Exit Martha with her followers through the left door. Panofer is alone with Arius. He is overtaken again by the fit and almost collapses but is supported by Arius).

Arius (At the top of his voice) : A doctor. A doctor. Call for a doctor.

(A bustle is heard near the right door. A head appears through the door then disappears, obviously to bring medical assistance).

Panofer (Sadly) : No. No. There is no medicine to cure my sickness. I am lost, lost, lost.

Panofer : Marcus Sextus has twenty men-of-war. If they join us we might be able to prevent the siege.

Martha : Let it be as you think.

Panofer (Looking at her face with extreme tenderness) : Martha, your eyes...

Martha (Turning away her face) : Yes, Panofer.

Panofer : Your eyes are swollen. Have you been weeping ?

Martha (Wipes her eyes with her sleeve) : No, no.

Panofer : You look tired, Martha.

Martha : Yes. Yes.

Panofer : You should take a rest.

Martha (Aside with a low hysterical voice) : Eternal rest. **(To Panofer)** After Victory we shall all rest.

Panofer : Philammon and Apepi are at the tower. Join them. The people shall fight side by side with the army.

Martha : What about the question of Philammena ?

Panofer (Angrily) : I said no intercession for traitors.

Martha (Trying to calm him down) : Philammena is simply a mad girl.

Panofer : She will have a fair trial.

Martha : You are not going to leave her to the mob ! They will tear her to pieces if she falls in [illegible] hands.

Panofer : I said she will have a fa[illegible].

Arius : Do not plead for a criminal.

Martha : I plead for mercy.

Panofer : To the palace-tower, brave citizens.

Martha : To the coast-wing, brave citizens.

Panofer : No, Martha. To the palace-tower.

Martha : Have you seized the coast-wing?

Panofer : No. No. That we attack last.

Martha : What is your idea?

Panofer : There are fifteen hundred Romans in the tower and three generals.

Martha : Diogenes and Pompeianus?

Panofer : And Severus too.

Martha : All the more reason why we shall attack the coast-wing. This way we intercept them. They will be stranded in the tower.

Panofer : I said no. We are negotiating with them to surrender the Palace.

Martha : What negotiations. Kill them off. Kill everyone of them

Panofer : No, Martha. They might join us.

Martha : We don't need them.

Panofer : Yes, we shall need the fleet.

Martha : Is the Admiral with them ?

Panofer : Yes, he is. Diocletian sailed from Latakia a week ago. He has a hundred men-of-war. Diocletian is leading the expedition himself. **(General agitation. Confused words. Shouts of "Down with the tyrant" "Down with the butcher" ! Martha makes a sign to keep them quiet).**

not a light to guide. It is a fog that makes us go astray. Follow your heart, Arius. Do not ask : where is the right road. Just follow your heart, Arius. By faith I fight; by faith the Patriarch preaches peace. One of us will go to hell. Perhaps both of us. Come on. Waste no time, my lads. To you swords. To the gruesome battle. Philammon, take your men and join Apepi.

Philammon : Panofer !

Panofer : Yes, Philammon ?

Philammon : For the tenth time, I want a promise that Philammena be secure.

Panofer : I promise nothing except justice.

Philammon : Write to Achilles.

Panofer : No. no, no. I cannot mediate for a traitor.

Arius : Come on, brave heroes. To victory behind Panofer, our hero of heroes. All the people shout : "Panofer and liberty ?"

(Exit Philammon through the left door followed by his soldiers. As soon as they disappear, Martha rushes through the right door carrying a flag and followed by an armed crowd of citizens. Martha is wearing a long black garment of the type worn by Egyptian peasant women).

Voices : Martha and liberty !

Penofer (Greeting Martha) : All the people cheer : "Martha and liberty !"

Arius : Martha and Panofer !

Martha (Shouting) : Egypt and liberty ! Remember nothing except Egypt and liberty.

(The crowd cheers : "Egypt and Liberty !")

Arius : What has come upon you, Panofer ?

Panofer : But the Patriarch forgets that we are one of the scourges God has sent upon the Romans. With sinners He destroys sinners. God is eternal peace, and yet he suffers war to ravage the world. He is eternal goodness, and yet He suffers evil to prevail. He is eternal mercy, and yet He lets loose the hounds of hell. This is God's justice. He punishes us on earth and in heaven.

Do not think too much, Arius, or you will be confused and damned. This is the great riddle. How can the perfect create the imperfect ? How can good beget evil ? Once upon a time I heard a monk, who was about your age, saying : "He who can remove evil but does not do so is himself evil". He was piteously raving. He kept on asking : "Why does God not remove evil ? Is He lacking in goodness ? Is He lacking in power ? " Then I said : "Peace, young man. For some purpose God created evil and left Satan to corrupt the world". Do you know, Arius, how he answered ? He said : "Then He is trying with us. Then we are mere puppets on His stage and He pulls all strings to construct a show coherent to His mind Alone". I said : "No. No. This is heresy. He suffers with us, because He is within us". To this he answered : "Then He is the play-wright, the actor, and the spectator, all at once". I say do not reason much. Reason is

Philammon : No. Arius, but your turn will certainly come.

Panofer (Still stunned) : My God ! The curse of the Church !

Philammon : He also said that you corrupt the faith of Christ.

Panofer (Dreamily) : What have I done ? Is not redemption the faith of Christ ? All I said was : every Egyptian who redeems Egypt with his blood will go to paradise.

Philammon : And he declared that you are defrocked.

Panofer (Looking angrily at his clothes) : Impossible ! No one can defrock me. **(Examining his left ring-finger dreamily).** This ring which I wore the day I was betrothed to the Virgin, I shall never take off until the day of my death.

Arius (Sarcastically) : Our father the Patriarch is raving. He wants to drive the Romans out by fasting and praying. I heard him once say : "God alone will send his scourges upon the Romans and rid the country of their evil. All we have to do is to pray contritely and await God's will." When I asked him : "Why did God not send his scourges upon them till now ?" he looked at me suspiciously and said : "Are you trying God, Arius ? If we were not sinners like the Romans, my son, He would have saved us from them long ago".

Panofer : The Patriarch is right, Arius. You do try God with your questioning spirit and your cold ratiocinations.

Second Soldier : Yes. Yes, by Jupiter.

Apepi : This is a miracle.

Panofer : Or a trick.

Second Soldier : No, by Jupiter. This is true. They want to negotiate the surrender of the Palace.

Panofer : Arius, come here. No. No. Apepi, you come here. Ask Diogenes to meet you outside the tower. **(Exit Apepi through the left door followed by the Egyptian crowd and the Roman soldiers. Panofer and Arius alone. Enter Philammon through the right door panting and extremely terrified, followed by three Egyptian soldiers brandishing their arms).**

Philammon : Panofer ! Panofer ! Woe to you Panofer !

Panofer : What happened ?

Philammon : Don't you know ?

Panofer : Speak, man. What happened ?

Philammon : The Patriarch

Panofer : Where is he ?

Philammon : When he saw thousands of Egyptians carrying arms and disregarding his commandments, he was seized by rage, shouting in the Chapel at the top of his voice : "Panofer is an accursed spirit forever raging and roaming restlessly over the earth. He will never find rest except in the bottom of hell!"

Arius : Did he say anything about me ?

Second Soldier (Flabbergasted) : The rest. The rest.

Fourth Soldier : If I am penniless, I go with Christina

Third Soldier : What about the fifth ?

Fourth Soldier : Jasmina ?

Third Soldier : Is her name Jasmina ?

Fourth Soldier : That is the wife I run away from. **(Singing) :**

Maria has a lovely teat;

Sophia is a warm retreat;

Rosina is plump and sweet;

Christina's a poor man's treat;

Jasmina's a shrew to beat.

(Enter Panofer, Arius, and Apepi, drawn, through the right door, leading a band of armed mob. A fight ensues, lasting only two minutes, after which the Roman soldiers lay down their arms. Some of them shout "We are on your side").

Panofer : Leave them alone. They are drunk.

Apepi (Pointing to the crowd) : Follow me.

Panofer : Proceed carefully, Apepi.

Second Soldier : They are all in the tower.

Panofer : To the tower.

Second Soldier : You do not need to assault them.

Panofer : What. do you mean ?

Second Soldier : Severus, Diogenes, and the Admiral are for Achilles.

Apepi : Marcus Sextus !

Third Soldier : I am for myself.

Fourth Soldier : And I am for all.

Second Soldier : This is a problem. How do you solve it ?

Fourth Soldier : It is very simple. I fight with the winner.

Third Soldier : And I never fight at all **(He makes a gesture denoting that he always dodges in a real fight).**

First Soldier (Frowning) : I am for Diocletian.

Second Soldier : What are you waiting for ? Go. Run along before the Egyptians catch you.

First Soldier : What will you do ?

Second Soldier : As soon as they arrive we shall lay down arms of course. **(Exit First Soldier through the left door).**

Third Soldier : Rufeia is a sweet girl. **(Pointing to the marble tables and screaming : "Wine ! Wine !" They all rush to the pitchers and the goblets and drink greedily).**

Second Soldier : Like sugar-candy.

Third Soldier (To Fourth Soldier) : Do you have a girl friend?

Fourth Soldier : Ha. ! ha ! ha ! Five. Four Egyptians and a Greek.

Third Soldier : Amazing !

Second Soldier : This is a problem. How do you solve it ?

Fourth Soldier (Taking a coin out of his pocket to illustrate his method) : Very simple. I throw up the coin. If it is heads, the night is with Maria. If it is tails, the night is with Sophia. If it falls on its edge, the night is with Rosina.

Philammena (Proudly and with disgust) : Yes, the Egyptian. Better than your Roman women. I follow my husband to the end of the world.

Armanus : Pharos Palace is overrun by the mob. If you do not hurry to the tower they will soon overtake us.

Pompeianus : What about our men ? What shall we do with them.?

Severus : They are free-born Romans. No forced loyalty. Those who want to join Achilles, let them stay in the tower.

Pompeianus : What about those who want to join Diocletian ?

Marcus Sextus : I shall give them a man-of-war to sail in.

Pompeianus : Agreed.

Armanus : Let us go. Let us go.

Pompeianus : No. I am staying here. I have changed my mind. Marcus Sextus is a shrewd man. If Achilles is left alone with the Egyptians he will be at their mercy.

Armanus : What shall I do, my noble Commander ?

Pompeianus : Sail at once with Rufinus to Diocletian. He needs your experience.

(Exit Roman generals hurriedly through the left door. Enter through the right door, almost instantaneously, four Roman soldiers).

First Soldier : Are you for Achilles ?

Second Soldier : I am for the Egyptian Rufeia.

First Soldier : And you ?

Rufinus : It is time to come to a decision. Pompeianus.

Pompeianus : I am for Diocletian.

Rufinus : And you Severus.

Severus (With hand on hilt) : I am a free-born Roman and I shall never return to Rome before the tyrant Diocletian falls. I am for Achilles.

Rufinus : What do you say, Diogenes.

Diogenes : I am with Severus. If my capital is not Rome, then let it be Alexandria. I am for Achilles.

Rufinus (To Marcus Sextus) : And my lord the Admiral ?

Marcus Sextus : I am for Achilles, because Achilles is for Rome.

Pompeianus : How is that ? I thought you said...

Marcus Sextus : Achilles needs us to protect him from his Egyptian wolves. Achilles needs Romans.

Pompeianus (Deliberating) : Ah ! I see.

Rufinus : I am with Pompeianus.

Armanus (Stepping forward and unsheathing his sword) : And I am with Pompeianus.

Pompeianus
Diogenes] : Armanus !

Armanus (Coming forward and leaving Philammena behind) : Yes, I am able to escape from the Lazaretto. Philammena helped me out and escaped with me.

Rufinus : The Egyptian !

Voices: A Christian ?

Diogenes: No. No. You do not understand Diocletian. I know him better. All he is interested in is power. He brings offerings to Jupiter and the Roman gods to please the Romans. He condones the excesses of the Christians to please the slaves of the Empire. But in his heart of hearts he holds only one thing sacred, and that is Diocletian. He looks calm and clement, but in reality he is more cruel than his two partners. Maximian and Galerius. He never takes by force what he could take by diplomacy and gentle words. Yet he is fiercer than a tiger when he meets with effective resistance. When he wants to destroy an opponent, he gets Maximian and Galerius to arrange for massacres and assassinations, then he interferes like a merciful father to repair the damage caused by his partners. This is how the Dalmatian slave came to be the Emperor of Rome .

Rufinus: That is true. Frisca is a secret Christian. So is his daughter Valeria. These are not mere rumours. They are facts. Do you know that four of his eunuchs in Nichomedia are Christian ?

Diogenes: Everyone knows that Frisca and Valeria have filled public offices with their fellow-Christians.

Pompeianus: And the royal centurions. Half of them now are of this accursed fraternity.

Rufinus: Alas ! the twilight of the gods has set in. Diocletian has let loose the Christians and permitted them to hold their rites in the open. They have increased and multiplied and become a public menace, both rich and poor flock to their faith. The army itself is full of their venomous propaganda.

Diogenes: Reports come every day of soldiers laying down arms and refusing to fight, claiming that killing is against their Christian conscience. What keeps silent, Marcus Sextus ?

Pompeianus: Marcus Sextus is thinking of his dear fleet.

Marcus Sextus: Yes. The fleet has become a hot-bed of Christian mutiny. I think Rome stands on the edge of a disaster. If this mutinous spirit spreads amongst the soldiers, we shall not be able to defend the Empire against the incursions of the barbarians.

(Armanus and Philammena appear at the right door unobserved).

Rufinus: You know, I am beginning to suspect that Diocletian is **(His voice falls as though letting out a secret)** a Christian .

Even the great Julius and Augustus himself did not attribute to themselves divine titles. But Dicoletian learned all this empty pomp from the kings of the orient since his wars with the Persians. We have lived to see the free-born Romans ruled like the slaves of the east.

Severus: The tyrant has put an end to the Republic.

Diogenes: And destroyed the Senate.

Severus: Yes. Yes. Diogenes. He forfeited the liberties of the Romans and sent their patricians into exile .

Pompeianus (Sighing in grief) : Worse. Worse. He moved the Capital of the Empire from eternal Rome to Asia Minor. Diogenes. Severus. Enough of this. To me this was the most horrible crime perpetrated by this foreign slave. Nevertheless, my mind is made up. I shall fight under his banner until it pleases the great Jupiter to rid us of Diocletian.

Severus: I am a free-born Roman. I shall never fight for the rule of eunuchs in the Eastern Empire.

Rufinus: I, Rufinus, high-priest of the great Jupiter, hate Diocletian more than anyone does ; and yet I say we must fight under his banner for Rome's sake. I ask you : who threw discredit on the great gods ? It was Diocletian. Who let accursed Christianity creep like a venomous snake everywhere in the Empire ? It was Diocletian. And yet I say : for Rome's sake fight under his banner.

Severus: Rufinus. I heard it said that his wife Frisca was secretly converted to Christianity .

Diogenes: If ? Consider it already lost .

Pompeianus: Then we shall not be able to divert the India trade-route to Libya .

Severus: Listen Pompeianus. We have completely lost control of the interior of the country since our garrison of Thebes surrendered. All that remains to us is this wing of Pharos Palace. Let us face it.

Diogenes: I say we should evacuate this hall. The Egyptians have seized the palace-garden, the stables, the cellars, and the kitchens. In fact, all we have now is the tower and the coast-wing. If we hold out we must expect to bleed heavily.

Severus: Pompeianus, my opinion is to surrender the Palace and side with Achilles.

Pompeianus: This is utter madness, Severus. Emperor Diocletian has sailed with his fleet from Nichomedia. If we hold out two days reinforcements will certainly come.

Severus (Contemptuously) : You know my opinion of your August Emperor. I shall never fight under the banner of this Dalmation slave. You have more reason to resent Diocletian than we have, Pompeianus. Did not your uncle Anulinus buy him as a child from the slave-market?

Pompeianus: Do not remind me, Severus. That was in Dioclé where he was born. My uncle bought his father and mother for fifty pieces of silver. The whole family: father, mother and son for fifty pieces. And now think of it. He is the master of the world. Do you know what they call him now ? Your Majesty !

ACT II

(A hall in the Pharos Palace - where Ras-el-Teen Palace now stands - with one door on the right and another on the left. A door in the centre leads to a terrace overlooking the Palace garden. Close to the middle of the right and left walls are two identical narrow but elongated marble tables with high, curved legs. Each table carries an enormous mirror which is set into the wall. Near the back wall stand two marble benches somewhat spaced and in the corners there are armchairs made of alabaster. The hall has four columns of the Roman style in its four corners. At the deep end of the right wall is a high Roman arch obviously leading to a corridor, and opposite it is an identical arch in the left wall. The Roman generals : Severus, Diogenes, Pompeianus and a number of staff-officers are with Marcus Sextus, admiral of the Roman fleet at Alexandria and Rufinus, high-priest of Jupiter, discusssing the surrender of the Palace) .

Pompeianus: And the situation in Busiris ?

Severus: Very critical.

Pompeianus: And in Coptos ?

Severus: Worse .

Pompeianus: If we lose Coptos .

tians and sends his drunken soldiers to desecrate and sack their churches. Also do not forget to mention the bribes he used to extort from wealthy Egyptians to spare them his ugly persecution. Mention everything in detail ...

(Bustle outside. Enter Philammon in a great hurry through the right door panting and extremely pallid).

Philammon: Sir ! Sir ! Rusticanus is murdered. They found his body on the great marble steps of the Palace with a dagger in his back. **(General confusion).**

Achilles (After a moment of silence) : Write nothing, Manetho. **(Shaking his head regretfully)** Rome will now think that we are a band of killers and assassins. In the morning we shall deliberate what to say to Diocletian and the Senate. But until the morning comes, let everthing proceed according to plan.

(CURTAIN)

Africanus: What is the meaning of these enigmas ? Woe to us if we listen to soothsayers .

Achilles: Go , now, Martha. Get ready for the party. Go with her Philammon and tell them to be hospitable to her, then come back as soon as you can. **(Martha, bowing, almost touches the ground. She retreats with her back to the right door preceded by her female assistants. Achilles looks at Constantine, then at the vanishing Martha)** One more word, Martha. You may also tell Alexandria that there is a place for Christ among these gods **(He points to the busts of the Roman gods. Martha takes another deep bow, then leaves followed by Philammon)** . Apepi, come here .

Apepi (Approaching) : Sir.

Achilles: Immediately after the party you begin the arrests. Start with Rusticanus.

Apepi: Certainly, Sir.

Achilles (Slowly as if dictating) : And you, Manetho, write a letter to Diocletian, Emperor of Rome, concerning Rusticanus. Tell Diocletian that we have dismissed and arrested him because it was proved to us beyond all doubt that he, though Commander of the garrison of Alexandria, speaks insultingly of the gods of the Egyptians and, instead of maintaining peace in the city, he foments endless trouble. Tell him that he daily violates the old Imperial licence granting absolute freedom of worship to all citizens of the Empire and that he is constantly plotting to prepare massacres for the Chris-

er. She examines his face, half conquettishly and half in deep earnest, and strikes him on the cheek with her silk scarf).

Martha: And who is this handsome cavalier ?

Achilles: How curious you are, Martha!

Martha (Speaking like a fortune-teller) : I read great secrets in his eyes.

Achilles: So you read fortune as well as dance.

Martha: Yes. I learned soothsaying in The Temple of Isis. I read in his eyes that he will change the face of the earth.

Panofer (Goes to one side of the stage and mutters in an audible voice. Spellbound, his eyes move between Martha and the ceiling) : A vision ! A vision !

Africanus: What does he say?

Panofer: I see a jet-black dove coming from the orient, from the Temple of the Sun; thirsty, thirsty, she flutters over the water; she falls into the sacred pool, then comes out as white as the snow on the pinnacles of Mount Sinai, as effulgent as the Holy Ghost. She perches on the altar of the Lord, singing : " I am the Offering, Hallowed be His name".

Africanus: The man is raving.

Achilles: What do you say, Panofer?

Panofer: Nothing, Sir. Nothing.

Martha (Equally spellbound as though she understands his words) : Amen ! Amen !

Achilles (Embarrassed) : Quite obvious. Quite obvious. But if your lady Faustina prefers another dancer, what am I to do ?

Martha (Back to her rage) : Prefers ? Prefers ? **(Proudly)** I am the best dancer in Alexandria. The question .is :? Martha is a Christian. **(Showing with diabolical defiance a small gold cross hanging on her breast).** This is it. Have you seen it ? No Place in the court for a Christian dancer. That is Faustina's opinion. All Egyptians know that. If that is also Achilles' view let him speak out frankly. Alexandria is waiting for the answer .

Achilles (Looking in bewiderment to Constantine and the others) : What can I say ? It is not my custom to interfere in such matters. But do not be disturbed, Martha. You shall dance to-night in the court party. **(Soft rhythmic string-music is faintly heard from the interior. Martha performs a brief dance across the whole stage and concludes the last movement by prostrating herself at the Prefect's feet. The Prefect takes her by the hand and helps her to stand up, patting her hand). (This scene can be further enlivened by two female dancers,of Martha's troupe, flitting through the right door in Craeco-Roman dress to join their mistress in a ballet dance).**

Achilles: You may tell Alexandria that there is a place in the court for a Christian dancer.

(Martha, magnetized, draws very closely to Prince Constantine, as though attracted to him by a magic pow-

main unperturbed, smiling placidly) .

Achilles (Making a gesture to the two guards to leave) : Leave her alone. **(Exit the two guards through the right door).** Come here. Draw nearer. Who are you ? What do you want ?

Martha: Are you the Prefect ?

Achilles: I am the Prefect .

Martha (Confused by his imperturbability) : I .. am .. I am Martha. Martha the dancer.

Achilles (Looking at her intently) : Ah, we have heard much about you. You are more famous in Alexandria than the Prefect.

Martha (Shyly) : I beg your pardon, Sir.

Achilles: What is it you want from the Prefect ?

Martha (Back to her former rage) : They refused to let me in. Hathor, the high-priestess of the "goddess" Isis **(biting her nether lip at the word "goddess"),** agreed with me to dance tonight in the court party. I came with my band and instruments and the chorus-girls assisting me, but when we tried to go into the reception half the guards stopped us saying that I am not to enter the Palace by order of Faustina ... I mean my lady Faustina, your wife. They tried to throw me out by force. **(Proudly)** But I am Martha **(her hands clench convulsively);** Martha .. a tigress when provoked **(she suddenly moves in a calm seductive rhythm with her hands vampishly interlacing behind her head),** but, when pleased, as gentle as the April breeze .

great Byzantium, rightful seat of the saintly Helena; and when I have restored the unity of the world under one sceptre, I swear to move the seat of the Empire to Alexandria. Only then shall I wear the Double Crown of Pharaoh, my noble ancestor. Let this be my solemn pledge to you .

Apepi (Dreamily) : Glory be to Pharaoh !

Philammon: Lord of the two lands.

Manetho (Enthusiastically) : Alexandria is your crown .

Apepi: Egypt is your throne .

Philammon: The whole earth is the dust you tread on .

Manetho (Recovring his former mood as though from a delirium and soliloquizing in a low voice) : Thus we used to sing for Aemilianus.

(A great noise is heard near the right door and the voice of a woman in fury screaming "Let go : Let go my arm; I must see him", mixed with male voices crying "Impossible". "Come back; come back". Enter Martha the dancer, dressed in dancing costume, rushing inside and crying; "Noble Prefect ! Noble Achilles! She is followed by two guards who look perplexed, their clothes disordered as a result of the dancer's physical rage. Martha is a violent young woman, about twenty-five, full of animal femininity. In her turbulent disposition and shifting moods, she can be as gentle as the April breeze and as ferocious as the wild tigress. Her entrance causes a general commotion. Only Achilles and Constantine re-

high-priests must be present in person. Remember that Achilles will sit on the throne of Pharaoh. If they do not appear in the investiture, their subjects will never accept your authority as lawful.

Manetho (Disturbed) : What is this, Africanus ?

Panofer (With a thundering voice) : No one but an Egyptian shall sit on the throne of Pharaoh.

Arius: No one but Constantine shall sit on the throne of Pharaoh .

Manetho: Achilles, you shall wear the Imperial Crown, but not the Crown of Pharaoh.

Achilles: Yes. Yes. I shall rule in the name of Empress Helena the Egyptian.

Panofer: Until Constantine comes back to us ...

Apepi (With a thundering voice) : To sit on the throne of his ancestors.

Arius: (With a thundering voice) : This was our pledge to the people.

Achilles: Yes. Yes.

Panofer (Enthusiastically) : The Great Constantine.

Arius: God's flaming sword.

Constantine: I Constantine, son of the noble Constans and the pious Helena, will not come back to you until I recover my father's throne and rule with righteousness and justice from farthest Britain to drowsy Hibernia and the Pillars of Hercules. I shall not come back to you before I recover the Imperial Crown of Rome, my rightful inheritance usurped by the butcher Maximius; not before I have driven the slave Diocletian out of

Manetho (Sadly) : But the worshippers of Ammon, Ptah, and Thoth will not follow him to death without hesitation .

Apepi (Disgusted) : My lord Maenetho sees nothing but darkness everywhere .

Manetho (Angrily) : Watch your manners, young man.

Apepi: If we listen to him we will do nothing.

Manetho (Appealing to Achilles): Sir, do you allow this ?

Achilles: More respect to the wisdom of old age, Apepi.

Manetho: The country is torn by a hundred factions who distrust each other. They all hate the Romans but each of them wants independence for its own advantage. Each faction asks : what will become of us if others seize power .

Panofer: Secret agents work in the dark, setting one Egyptian against another. Those of Thoth hate those of Ammon; those of Ammon hate those of Ptah; all hate the Christians and the philosophers hate all. The city is full of foreign gods .

Manetho: Keep calm, Panofer. Do not fan the fire.

Achilles: Very soon all shall live in peace. Foreigners as well as Egyptians shall live in peace. Freedom of faith for all. Justice and equality for all.

Manetho: For this we fight.

Achilles: Manetho. Ask the high-priests of Ammon, Thoth, and Ptah to tour the country urging their adherents to support Prince Tadros.

Africanus: Not yet, Achilles. Have you forgotten the coronation ceremony ? They can only leave after your coronation. All the

The greedy Zenobia sold us to the Romans. She extended her dominion to Egypt and accepted to rule us in the name of Emperor Aurelian. A foreigner chasing a foreigner, most naturally takes his place. I depend on no allies. I depend only on myself and the gracious gods .

Achilles: No, Manetho, no. You are too pessimistic. Had this great queen known that your common struggle was the only way to freedom, she would have spared you all those disasters.

Apepi: With 50,000 warriors we can defend the South .

Manetho: Zealous words of zealous youth. You mean with pacts and alliances we try to defend the South. Not more than seven years after the failure of Timagenes, Firmos of Alexandria led his revolt and expelled the Romans. But he made the same mistake .. the same mistake. He depended on Palmyra's troops and on the Blemmyes tribes. In my opinion, Zenobia should withdraw her troops from Rafa and Sinai to defend her own country and to defend Antioch and Palmyra.

Constantine: Manetho is right. You should open a second front in Syria. Send to Zenobia to besiege Palmyra and to try to capture the great arsenals funded by Diocletian in Antioch, Emesa, and Damascus. Timagenes will defend the Thebaid all by himself and Prince Tadros must shift his headquarters to Tanis, east of the Delta. Tadros is the idol of the Christians and they will follow him to death without hesitation.

Zenobia? Waballath. The Nubians. The Blemmyes. Alas ! All this reminds me of poor Aemilianus and his sad revolt .

Africanus (Reproachingly) : Manetho !

Manetho: Shall I hold my tongue, Achilles ?

Achilles: In short, Manetho would rather have us wait.

Constantine: Until when ?

Manetho: Until we have trained an army of peasants, at least 100,000 men. Only the Egyptians will liberate Egypt. Have you forgotten Aemilianus ? He was strong and sure of himself; as strong and sure of himself as you are, Achilles. But he thought of Alexandria and forgot Upper Egypt. When the Axiomites invaded the Thebaid and he withdrew his forces from Alexandria to repel them, he left it defenceless for Theodotus to recapture and raise to the ground. Then think of the noble Timagenes. Consider why he failed. Only seven years after the tragedy of Aemilianus, when this great Egyptian prince revolted against Emperor Claudius he had to appeal for help to Zenobia, Queen of Palmyra, who sent him general Zabda With 70,000 men.

Damon (Enthusiastically) : Say not a word against the noble Timagenes. Did he not rout Phrobus' army at Babylon ? And was not Egypt about to achieve her independence?

Manetho: "About". This is precisely what I meant. Each time "about" to achieve her independence. But has she achieved it ? No.

Touaregs will emerge from the desert to combat the Romans in Numidia and the Atlas Mountains.

Constantine: Our chances are great. The little fleet, loyal to Empress Helena, has secretly sailed from Byzantium. Nineteen men-of-war will reach Canopus tomorrow. You will supply them with Egyptian uniforms. I want no leakage of the news. It will jeopardize the position of Helena and will give Diocletian a pretext to destroy the Empress.

Achilles: Indeed, Sir. If everything goes well, Alexandria is sure to fall into our hands in twenty-four hours.

Manetho (Shaking his head ruefully): The problem is not in Alexandria.

Constantine: Where is the problem?

Manetho: Speak, Achilles.

Achilles (Patting him on the shoulder): You have no need to worry, Manetho.

Manetho: The problem is in Luxor and Rafa.

Achilles: But the Blemmyes tribes have pledged themselves not to invade Luxor from their positions near the Red sea as they did in the time of Aemilianus' Revolt, and the Nubians promised not to push further north than Aswan.

Manetho (Gloomily) : Then prepare yourselves for the auction. Achilles bribes the Nubians and the Blemmyes to remain neutral Diocletian bribes them to invade Aswan and Luxor. What do you think will happen if Diocletian's bribe exceeds that of Achilles. Then how do you trust Waballath, son of

nus has proved to me that you were responsible for the riots that took place in the temple of Jupiter and Juno .

Panofer: The gods of the Romans are the gods of the enemy .

Achilles: You forget that they are the gods of the men I command.

Panofer: (Does not answer)

Achilles: This is why I signed a warrant for your arrest .

Panofer (Taken aback with bewilderment) : But ....

Achilles: Make out your plans with Africanus, then hide out before daybreak. You are warned not to be seen in Alexandria by my soldiers after sunrise. Achilles rules by one law : freedom of worship for everyone, justice and equality for all. Where were we Manetho ?

Manetho: Here is a proclamation to all Roman soldiers of divided loyalty between Achilles and Diocletian, pledging security of person and property if they lay down arms and take no side in the battle. **(Unrolling another scroll)** And this is the decree appointing Prince Timagenes governor of the Thebaid and Upper Egypt. The remaining decrees are in your office .

Achilles: Send a copy of this to everyone concerned.

Manetho: Shall I notify Diocletian ?

Achilles: As from tomorrow, it will be no concern of Diocletian's in Nichomedia whom we appoint to office in independent Egypt .

Constantine: Any news from your allies, Achilles?

Achilles: All is in perfect unison. They will all rise at the same time: Julian in Carthage, Kama in Mauretania, and fifty thousand

procession of the slave Diocletian and burn offerings to the idols of Rome. If they find me out they would tear me to pieces. But the Egyptian Helena has taught me to wear a hundred masks until God's will be done.

Arius (With a terrible voice) : Christ also said : "Think not that I am come to send peace on earth : I come not to send peace, but a sword" .

Panofer: But the Patriarch does not understand this. He is living in an ivory tower. He speaks of the strength of the meek, of the power of the disarmed, of the conquests of the spirit. Fortunately, my followers everywhere are ready to carry arms. However, His Holiness promised to help in another way. He promised to order all Christian soldiers to lay down arms and leave the Emperor's legions to live for Christ.

Constantine: For this we shall fight .

Apepi: I humbly beg your pardon, Sir. Not for this, but for Egypt we shall fight. **(Everyone looks at him) .**

Achilles: Tomorrow each shall worship his god in peace. Africanus, when we finish, go with the Monk to my office and discuss the plan with him. Give him all the arms he asks for to distribute among his men. One last word, Panofer.

Panofer: Yes, Achilles

Achilles: Raise your arms against the enemies alone.

Panofer: This is what I do.

Achilles: No. Your fiery spirit needs to be strongly bridled. You complain of persecution, and yet you persecute others. Rustica-

use. (**While Panofer recites the verses from the Sermon on the Mount, Constantine Kneels down; Achilles and Philammon follow his example, muttering a short prayer; they all rise when they finish**).

Constantine (Hiding his face in his hands) : Enough, enough. Religion is one thing and the State is another.

Panofer (To Achilles in amazement) : So you are one of us, Achilles !

Achilles (In profound grief) : Yes. Yes. (**He looks at Manetho, Damon, Frisca and Apepi distractedly, then walks like a somnambulist to the busts of the Roman gods nearest to him and gently passes his hand over their faces**). How happy you must be, Manetho, to be able to worship your god in the open. And you, Apepi, you walk proudly and unafraid to the Temple of your god Thoth whenever it pleases you. As for me, I worship my God in closest secrecy, when I am left alone to myself in my bed-chamber. Even in my bed-chamber I fear the watchful eyes of my pagan wife, Faustina. In the halls of my own palace I look right and left that I may not be seen by anyone. I, the Prefect, Emperor Diocletian's deputy, I have to burn offerings to these idols because my Emperor worships the gods of Rome. Miserable me. Miserable me.

Constantine: And I, Constantine, am I less miserable than you, Achilles? My mother, the pious Helena, nurtured me since the cradle in the faith of the One God and of our Saviour Jesus Christ. Yet I have to conceal my faith when I walk in the

Panofer (Sadly) : Twenty sided with his Holiness the Patriarch and twenty sided with me. Our father the Patriarch said : "No Christian shall carry arms. Passive resistance is the way to salvation". I said : "The Romans sow the seeds of evil in the country and therefore they must be uprooted". His answer was: "Christ said: Ye have heard that it hath been said An eye for an eye, and a tooth for a tooth : But I say unto you that ye resist not evil: But whosoever shall smite thee on the right cheek, turn to him the other also' ". I said we must hate the enemies of the country. He answered : "Your lord and mine said : 'Ye have heard that it hath been said: Thou shalt love the neighbour, and hate thine enemy. But I say unto you. Love your enemies, bless them that curse you, do good to them that hate you, and pray for them who despitefully use you, and persecute you' ... Blessed are the meek: for they shall inherit the earth... Blessed are the peacemakers: for they shall be called the children of God .. Blessed are ye, when men shalll revile you, and persecute you, and shall say all manner of evil against you falsely, for my sake' " When I said : "The Romans plunder our riches and use us as beasts of burden" the Patriarch repeated : "And if any man will sue thee at the law, and take away thy coat, let him have thy clook too.

And whosoever shall compel thee to go a mile, go with him twain' ". We argued to no end. It was no use, no use, no

in the Holy Concilium. His religious ideas do not appeal to them. But this young monk is fire and thunder when he speaks to the multitudes. When he is full of pathos, their tears flow down on their cheeks; when he is full of wrath, their blood burns in their veins. He also can argue with the holy fathers for ten hours and never flinches. I say there is a spark of the Godhead in him, **(He shrugs his shoulders)** but they do not like him much in the concilium.

Constantine (Showing interest) : What displeases them in his religious ideas ?

Arius (Lifting his finger as if he were talking from the pulpit) : I say that God did not suffer in Christ. I say that Christ who was crucified and who suffered was a mortal man of flesh and blood, that the mortal body is only a shadow, a mere appearance. But the essence of Christ is the Spirit and the Word of God, and the essence cannot be crucified nor can it suffer. I say he was only crucified in appearance. I say that Christ the Word was raised to heaven, but christ the mortal man was crucified on earth. Yet the simple-minded imagine that the Spirit of God suffered in the body of Christ and that Christ was raised to heaven soul and body .

(Achilles, Constantine, and Philammon look disturbed).

Constantine: No wonder they do not like his ideas.

Achilles (To Panofer) : Why did you bring him here, Panofer?

Panofer: Because he is my right arm in organizing popular resistance.

Achilles: And what is the opinion of the Concilium ?

out by Apepi and Philammon directed by Damon of Armant. The rest of the plan is with my lord the Prefect **(Bowing deeply to Achilles)** I mean my master Emperor Achilles of Alexandria .

Achilles (Chiding him gently): Not so soon, Africanus, not so soon. **(Enter officer through the right door and announces : "The Monk Panofer:. The Prefect nods. Exit officer and enter Panofer, a monk with a black, bushy beard, a black tunic, a black cape, and a black turban on his head, age about forty with Panofer enter a young monk, slightly over twenty, dressed exactly like him. They hail in the Egyptian manner).**

Achilles: What was his answer, His Holiness the Patriarch?

Panofer: He said he cannot do it. He said he serves with the spirit and not with the Flesh, but he will pray for you, Achilles. He said he will shut himesif up in the white chapel for three days to fast and pray for you. **(Seeing Prince Constantine he is struck with amazement)** Lord and Master ! **(He rushes to him and kisses his hand).**

Achilles (Warning him with his finger on his lips, then pointing to the young monk): Who is your friend ?

Panofer (Still gazing at Constantine) : Perhaps my Lord Constantine can persuade our father the Patriarch. **(Turning to Achilles, then to the young monk)** This is .. Arius. He is my gift to you, Achilles. The Monk Arius, the shining star of the new generation of the order. They do not like him much

him, some equally surprised) . This is indeed a great surprise .

Manetho: Control yourself, Apepi. This is the night of great surprises and you will have much work to do. I know that you have been waiting impatiently for this moment, but do control yourself. **(Unrolling a third scroll which Achilles takes, scrutinizes muttering "Fine ! Fine" then gives it to Africanus)** : This is the decree dismissing Rusticanus and appointing Africanus in his place as commander of the garrison of Alexandria. **(A fourth scroll is examined by Achilles who gives it directly to Damon of Armant).**

Achilles (To Damon) : Damon, go through the names. 38 names. Arrest them all to-night,immediately after the party.

Damon: Immediately,sir.

Achilles: Africanus.

Africanus: Yes, Sir.

Achilles: You may tell them now.

Africanus (Addressing himself mainly to Manetho, Damon, and Frisca) : Everything is set : The hour and the minute. The dawn is the zero hour. The three commanders Agrippa, Lysias, and Maximius will occupy Canopus, Cleopatra, and the harbour respectively. You Frisca will be stationed in the lazaretto and you Damon will occupy Camouz. You may not leave your posts before the garrison completely surrenders. Agapius will spread his cavalry legion from Bacchus to the harbour. As for the arrests,they will be carried

to be persuaded.

Manetho (Unrolling Panofer's warrant of arrest) : The warrant to arrest Panofer. I have sealed it .

Achilles (Examining it) : No objection. **(Sighing)** It is better that he should bear the blame **(Achilles passes the scroll to Africanus whispering in his ear; Africanus in turn passes it on to Philammon who takes it reluctantly).**

Africanus (Laughing, then in a low voice) : I see you hesitate, Philammon. If Christ gives an order and the Prefect gives another, which of the two would you obey?

Philammon (Embarrassed) : Christ. I mean the Prefect. I mean to say Christ .

Africanus (Laughing, with a significant look) : If you continue to be so undecided, you will please both Christ and the Prefect.

Philammon (Smilling) : I understand, Sir.

Achilles (Seriously but calmly) : The other warrant, Manetho Is it ready?

Manetho (Unrolling the papyrus) : Yes, Achilles. **(Achilles scrutinizes it and is about to pass it on to Africanus. Manetho shakes his head in sad warning).** Have you fully considered the matter, Achilles?

Achilles (Smiling, shakes his head in the affirmative) : Stop worrying, Manetho. **(He passes the scroll to Africanus who reads it then Gives it to Apepi)**

Apepi (Pleasantly surprised after reading the scroll): By the great Amun ! I am ordered to arrest Rusticanus ! **(They all look at**

names they take from their holy book, such as Luke, Matthew, John, Mark, Zacchary, Miriam, Martha ...

Achilles: What a strange idea !

Manetho: And that every Christian carry the sign of the cross branded on his wrist.

Constantine: For what purpose ?

Manetho: He says this way it would be easier to distinguish them and segregate them. Now, he says, the followers of Christ still go on calling themselves Atum, Pahor, Panofer, and this makes it extremely difficult to distinguish them from the followers of Ammon, Thoth, and Ptah. He also wants to ban the Egyptians calling themselves by Greek and Roman names. He describes this as cheeky presumption that ought to be stopped .

Constantine: This man is mad.

Achilles: Even the Emperor himself cannot issue such a law. However, this is my wife Faustina's idea.

Manetho: Rusticanus also says that if the riots do not come to an end, he will have to ask for the arrest of the Patriarch himself and all the members of the concilium and propose the revocation of the imperial licence granted to the Christians to hold their religious rites publicly, even if he had to go to Nichomedia in person to persuade Diocletian.

Achilles (Sarcastically but calmly) : Or to Rome to persuade the Senate. Diocletian will have to come himself to Alexandria

Manetho (Advancing with Constantine and conversing with him like old friends) : And how is my mistress, Empress Helena?

Constantine: The inconsolable Helena is still seeking solace in the memory of a vanished glory and dreaming of a greatness dimly foreshadowed.

Achilles: My lord Constantine, this is Damon of Armant.

Constantine: We have heard much about your valour in fighting the Blemmyes, noble General. **(Damon bows).**

Achilles: And this is Frisca, conqueror of the Nobadae .

Constantine: And you, sir, your loyalty to Achilles has been the talk of every court. **(Turning to all of them)** Empress Helena sends her greetings to you and to her beloved Egyptian people. She hopes that you will firmly rally round Achilles and that you will follow her counsels faithfully so that Alexandria might become again the seat of the world .

Manetho: All her orders are strictly obeyed, my noble Prince. Shall I proceed, Achilles?

Achilles: Yes, indeed.

Manetho (Unrolling his papyri) : This is a decree prepared by Rusticanus for the arrest of the Monk Panofer" He asks you to seal it . My lady Faustina too asks that Martha, the dancer, be exiled from the country. Oh, yes. Rusticanus also has another strange request. He wants a decree issued, no, a law passed compelling the Christians to call themselves and their new-born infants by the strange new

altar, kill as many as we can, then set fire to the place.

Achilles (Nodding thoughtfully) : Sunday is many many days ahead .

Africanus: My lord Achilles has a surprise for you. Here he comes.

(Enter through the left door Prince Constantine, son of Emperor Constans, a tall and extraordinarily handsome young man of about twenty-three. As soon as he appears Manetho, Damon, and Frisca start and stare with surprise, at once pleased and awed. Manetho rushes to him and kisses his hand).

Manetho: My lord and master Prince Constantine !

Damon (Staring at him) : Crown Prince of Byzantium !

Constantine (Making a gesture with his hand) : No. No. No.

Frisca (Aside) : Son of the Egyptian Helena.

Damon (Aside) : Unhappy Empress.

Frisca (Aside) : Her sorrows are felt by every heart. Abandoned by the ambitious Constans to please the treacherous Diocletian, she is now cloistered in her little palace on the shores of the Bosphorus, shedding bitter tears over her ruined home and pouring curses on Theodora who usurped her place. If it were not for the wicked Diocletian, the Egyptian Helena might have now been seated on the throne of the Empire,

Achilles (Overhearing them) : Enoungh. Enough. My lord constantine has come to us incognito. You are warned not to speak a word about his arrival. He lives in Africanus' quarters under the name of the officer Narcissus. He will go back to the court of Diocletian in Nichomedia in a day or two .

through the left door. Philammon is also about to leave, but is stayed by Manetho. Enter rather hurriedly through the right door Damon of Armant and Frisca, two Egyptian generals).

Damon: We are deeply sorry we are late. Has the Prefect come.

Manetho: Welcome Damon. Welcome Frisca.

Frisca: When Will he arrive?

Manetho: Any minute now.

(Enter through the left door the Prefect Domitianus, popularly known as Achilles, a Roman of a quiet disposition, age about fifty, accompanied by Africanus, Commander of the Palace garrison, Alexandrian-born but of unidentified nationality, probably a Moor. All present salute in the Egyptian fashion).

Manetho: My lord Achilles, I have brought all the documents.

Achilles: Later, Manetho, later. **(Beckoning to Apepi to come nearer)** What news of Rusticanus, Apepi ?

Apepi (Approaching) : His fury mounts higher and higher every day . His thirst for blood has become unquenchable. He now openly sets Romans against Egyptians and insults our gods on every occasion. As for the Christians, he is seized with a paroxysm when they are mentioned. He is now planning a massacre of Christians in the district of the Prophet Daniel next Sunday . I am ordered by him to invade their church with twenty cavalry men, on the pretext of searching for a Christian who has deserted from the army, and smash their

Philammon: Setting fire to churches and monasteries.

Manetho: Even the sacred temples of the immemorial Egyptian gods were not spared. They stationed their horses in the great Temple of Ptah, and after setting fire to the Temple of Isis, they enthroned on the altar of the great goddess a Cyprian prostitute, utterly naked, and brought her offerings in the midst of roaring laughter and cries of ridicule **(He perspires heavily and is overtaken by vertigo).**

Philammon: How can we ever forget.

Manetho (Forgetting himself): And the pertinence. How can we ever forget ? **(Coming back to his senses).** No, no. Let us not dwell on these unhappy memories. We are all loyal subjects to the Emperor. All loyal to Rome. **(Loud bugle. Each straightens himself. Manetho to Armanus and Philammon) :** Stop bickering, my sons. We are all brothers. **(Enter Apepi through the left door to take Armanus' place) .**

Apepi: General Rusticanus has sent me to take your place **(Almost whispering)** because of the mission. The Monk, Penofer, has an audience with the Prefect. Don't arrest him in the Palace, I warn you. Wait until he goes out .

Manetho: You will soil the honour of the Empire if you arrest the Prefect's guest. **(Mockingly)** Besides, if you do, you will cause us endless trouble with the mob who worship him .

Apepi (To Armanus) : I will send you the warrant properly signed. **(He hands to Manetho a rolled papyrus. Exit Armanus**

when my step-father made me a page in the retinue of the Prefect. On the day of his coronation, Aemilianus sat on the imperial throne in that wretched hall and I saw him wear the imperial purple, while I carried the censer and walked behind the high-priest singing in the choir your abominable anthem : "Glory be to Pharaoh ! ... "

Philammon (Forgetting himself) : "Lord of the two lands ! Egypt is your seat ! Alexandria is your crown ! The whole world is the soil on which you tread !"

Armanus (Sarcastically): Pharaoh ! Pharaoh ! Where is Pharaoh now ? But one year had passed and Alexandria was all in ruins : fire and ruins everywhere.

Manetho (Stung by the memory) : Fifty thousand stout heroes fell at the walls of Alexandria in the harbour, in the streets behind barricades, at door- steps ...

Armanus: Indeed, fifty thousands of your mutinous Egyptian rebels and our perfidious Roman traitors and of mercenaries of every kind fell in the infamous battle. I saw my step-father fall at the palace-gate. Had not my mother escaped with me to the camp of the conqueror Theodotus, bearer of the Emperor's sword, I would have died a traitor among traitors.

Manetho (Shaking his head full of rueful memories) : I still remember this unhappy city overrun by Theodotus' soldiers, drunk with wine and blood ....

Philammon: Slaughtering women and old men .

Manetho: Carrying children on their spears like hoisted flags

"You have the courage of the inexorable Achilles; you have the strength of the doughty Hercules". I am sure if you did not fear his sword you would say to him "You are as Almighty as Jupiter himself". But the noble Domitianus will not be corrupted by your flatteries because he is a Roman soul and flesh.

Philammon (Insinuating) : Exactly like our master, Diocletian.

Armanus (Looks at him suspiciously) : What do you mean, Philammon ?

Philammon (Still equivocally) : Have I made a mistake ?

Manetho (to Armanus) : No insinuations meant, my son. We are all loyal subjects to the Emperor of Rome .

Philammon: He is blinded by his anger .

Armanus (Continues) : Of course. I am nothing but a junior officer who has no right to speak his mind in the presence of Manetho. the Grand Chamberlain. But this is the truth. Before Domitianus, did you not deceive the poor Aemilianus and proclaim him Emperor of Alexandria ? **(Pointing in the direction of the coronation hall)** Did you not crown him there, right there in the coronation hall, and incite him to unsheath his sword and defy his master, Emperor Gallienus? Where is poor Aemilianus now. A skeleton with a severed head, tombless and accursed. An infamous name inscribed in the scroll of traitors. Even now, I remember the broad-fronted Aemilianus walking in the pomp of purple through the halls of the palace, with rows of courtiers on both sides taking deep bows. **(Dreamily)** I was then a boy of eight,

lammena.

Philammena: Yes, my lady .

Faustina: Is Isidorus among the guests ?

Philammena: Yes, my lady. So is his wife. I sent the invitation to the high gymnasium.

Faustina: Cancel the invitation .

Manetho (Protesting) : No. No. The Rector of the University of Alexandria always attends court ceremonies and festivities.

Faustina: I said cancel the invitation, We shall teach this trouble-maker not to disturb our master the Emperor with absurd petitions for a legislative assembly in Alexandria, **(Sarcastically)** pleading that it was a gift of Pharaoh to his people from ancient times that was taken away by the Romans .

Philammena (Perplexed) : But my master the Prefect ....

Faustina: Your master the Prefect is a kind-hearted man. He feeds serpents. Let us go through the guests-list. **(Sighing)** In the Past Philammena did all these trifles, but now I must attend to everything myself. I must. One has to be very careful: **(Her voice falls)** even the butlers, the cup-bearers, the cooks... **(Exit Faustina with Hathor through the left door, followed by Philammena. Distant bugle).**

Philammon: The Prefect Achilles.

Armanus (Sarcastically) : Achilles ! Achilles ! Domitius Domitianus is his name: a true son of Rome; Emperor Diocletian's deputy. But he will not be deceived by your tricks and wiles. You say to him : **(Changing his voice to imitate flatterers)**

nine. **(Sighing)** She was the cleverest girl of them all and, when she picked up everything, she left us. They said she fell in love with a Christian publican in the district of Cleopatra, but I knew since, that Martha is crazy only about two things : **(Laughing)** art and sex.

Faustina (Angrily) : I know that she is a dangerous woman. She is the rage of the town, why do the mob worship her ? Manetho, ask the Prefect to exile her from Alexandria. No, from the country.

Manetho (Stunned): Martha is a complicated woman, but she committed no crime.

Faustina: I said ask the Prefect to exile her .

Manetho: What will people say ?

Hathor: Martha is a good girl. She shares her riches with the poor .

Faustina: Precisely. This is why we should put an end to this witch .

Hathor: Is that a crime ?

Faustina: They say that she cures the sick .

Hathor (Laughing): So much the better. That saves the Prefect sending doctors to the slums.

Manetho: The lady Faustina is right. This spreads superstitions among the simple-minded. I once heard it said that Martha is a saint who wanders in the dark and visits the hovels of the poor before the dawn to leave them their daily bread. But to exile her is another matter.

Armanus (Contemptuously) : This is Christian propaganda, my lady .

Faustina: We shall see. We shall see. This is an order, Manetho. Phi-

Hathor (Coldly) : If you wish, Faustina .

Faustina: Tafeeta, Philammena, Marina, go and fix the curtains in the reception hall .

(Exit Tafeeta and Marina through the right door) No, you wait, Philammena.

(To Hathor) Who is the dancer in tonight's party ?

Hathor: Martha .

Faustina (Both anxiously and wrathfully) : Martha ? The Christian Martha ? Couldn't you find anyone better than this Christian prostitute?

Hathor: She is not Christian .

Faustina: Then why does she call herself Martha ?

Hathor: Her real name is Mryt Ammon, the Beloved of Ammon, so people nickname her Martha. However, Christian or no Christian, she is the best dancer in Alexandria.

Faustina: No. Hathor. I refuse. She lives by black magic. The mob worship her. The nobility prostrate themselves to kiss her feet. Even the Roman patricians leave their wives to drink wine in her shoes. Haven't you heard the obscene songs sung by the soldiers about her ? "Christ has a beautiful paradise; Come and visit his paradise with Martha: . She is a dangerous woman .

Hathor: There is no need to exaggerate, Faustina. You know very well that the Christians detest love. Martha learned the sacred dance in the Temple of Isis. I taught her all the rites myself since her mother brought her to the Temple at the age of

flesh and blood ; but you cunning Alexandrians call him Achilles to dupe him.

Philammon: Speak softly .

Armanus: Let me speak .

Philammena: It is my lady Faustina, the Prefect's wife .

(Enter Faustina, the Wife of Domitius Domitianus, age about thirty, beautiful and arrogant. She is followed by two ladies-in-waiting, Tafeeta, an Egyptian, and Marina, a Greek, both about twenty-five. In her retinue there is also Hathor, high-priestess of the goddess Isis, a woman of fifty who still retains some damaged vestiges of a once unequalled beauty. Hathor speaks to Faustina with marked self-assurance emphasizing her words with movements of her hands and head, but her voice is inaudible. Philammena courtesies, while Philammon, Armanus, and Manetho salute Faustina).

Faustiana: Philammena. have you sent out the invitations to all the ladies of the court ?

Philammena: Yes, my lady ' since the morning .

Faustina: And how are you, Manetho ?

Manetho: Quite well, Faustina.

Faustina: And my new dress ?

Philammena: It is ready, my lady, and I have removed the Egyptian pleats around the waist.

Faustina (To Hathor): From now on the fashions come from Rome Enough of this courtesy to the Egyptians .

Manetho: We are all the Emperor's loyal servants, Rusticanus.

Rusticanus: What god do you worship, Manetho ?

Manetho: Don't you know ?

Rusticanus: Remind me .

Manetho: I worship Thoth, like Apepi, your faithful aide-de-camp.

Rusticanus: Then why has insurrection spread among the sect of the god Thoth ?

Apepi (Correcting him politely): Insurrection has spread among all the sects, my noble commander.

Rusticanus: You are right, Apepi. Thoth, Ammon, Ptah, Christ, your philosophers of Plotinus. Treason is rampant everywhere. There are traitors in every nook. I shall eradicate them. But the most horrible of them all are the Christians. They multiply with frightful rapidity . Even Rome is full of them. Everywhere the mob rally around them. They have infiltrated even into the Imperial Court. But I swear I shall eradicate them, **(With hand on hilt)** utterly, I say utterly, before this cancer destroys the Empire. **(Exit Rusticanus through the left door, followed by Apepi. Distant bugle).**

Manetho (Sighing): Ye gods, save us from this scourge .

Armanus (Frowning): What did you say, Sir ?

Manetho (Faltering): I meant the insurrection. I meant the scourge of the insurrection. **(Second bugle)** .

Philammena: The Prefect !

Philammon: The Prefect Achilles !

Armanus: You mean the Prefect Domitius Domitianus. He is a Roman

Philammon(quickly): No Sir. No Sir. I am the Emperor's most humble servant. Your most obedient servant, Sir.

Armanus (Joyfully but in a low voice) : Grace be to Jupiter. **(He looks thoughtfully at the bust of Jupiter):**

Rusticanus: What did you say ?

Armanus: Nothing, my noble Commander.

Rusticanus (To Philammon): Are you a Christian ?

Philammon (Hesitatingly): Yes Sir .

Apepi (Interfering): But he is loyal to our master the Emperor .

Rusticanus (To Manetho with affected politeness, pointing to his papyri) : If you please, as soon as the Prefect comes, show him the warrant for the Monk's arrest to sign it. Treason ! Mutiny ! Treason and mutiny everywhere. Even in the Prefect's palace itself. Maybe in his privy council. But thanks to the gods, **(He puts his hand on the hilt of his sword)** the army is still intact. If I had had my way, I would have torn this horrible Monk to pieces, torn the Patriarch to pieces, torn all the Christians to pieces, **(Forgetting himself in the crescendo)** torn all the Egyptians to pieces.

Apepi (Smiling politely): Sir !

Manetho (Sarcastically): I do not think that our master the Emperor would be pleased to hear such words.

Rusticanus: I beg your pardon, Apepi. I did not mean the loyal ones, like yourself, **(Turning to Manetho with a vague questioning look)** and like Manetho ?

hear your monks say: "Marry her in Church".

(Footsteps outside)

Philammon (Warning): Hush. Back to your post.

(Each of them assumes his former posture).

(Enter through the right door Rusticanus, Commander of the garrison of Alexandria, a-hundred-per-cent Roman, age about fifty, followed by his aide-de-camp, Apepi, a handsome Egyptian officer of about thirty, who is exceedingly cunning. Apepi had enlisted in the Roman army and gained Rusticanus' absolute confidence, They are followed by the aged Manetho the Prefect's Grand Chamberlain, over seventy, who moves slowly with all the dignity and impressive appearance of old age . Manetho wears a long, white, fluffy beard and is carrying rolls of papyri. As Rusticanus enters, Armanus and Philammon salute him in the Roman fashion).

Rusticanus (To Armanus and Philammon): To-night you arrest him.

Armanus (Puzzled): Arrest whom, Sir ?

Philammon (Equally puzzled and at the same time): Arrest whom my noble commander ?

Rusticanus: The Monk, you idiot. The Monk, you idiot.

Philammon (Terrified): Panofer ! **(Philammena nervously shrinks, but subdues her pain while Armanus looks boyishly gleeful).**

Rusticanus (Noting their different reactions, to Philammon sarcastically) :

Any objection ? Are you one of them ?

that Holy Concilium gave it out last week that Christians may not marry pagans .

Philammena: Then poor Maria will not be able to marry Apepi, Rustic-anus' aide-de-camp.

Philammena: No. No. The ban applies only to marriages between Egyptians and foreigners. As for Egyptians, the Concilium is divided in opinion. His Holiness the Patriarch and a minority on his side want the ban to be categorically enforced on all mixed marriages between Christians and pagans even among Egyptians. But the Monk Panofer caused a great hubbub and left the concilium crying: "This is treason. This is treason against Egypt" .

Armanus: I call this *treason* against the Emperor. I call this *mutiny*. Who rules here ? The Emperor of Rome or your cunning Concilium and your bands of mutinous monks and your secret congregations who meet in catacombs among the ruins, and in the necropolis of the city and talk of a new crucified god who was levitated to heaven. If the Prefect knew about this, he would certainly order the Patriarch himself to be arrested. Mixed marriage is a custom sanctified by our Emperor Constans, Jupiter's faithful servant, who, on visiting Egypt thirty years ago, was ravished by the beauty of the Egyptian Helena, mother of our lord Prince Constantine, made her leave the convent and share with him the throne of Byzantiun. When he conducted her to the Temple of Venus, we did not then

Philammena (Rushing to Philammon): Well ? Have you come to an agreement ?

(Philammon does not answer but gesticulates shaking his head and shoulders purporting : No).

Philammena: What happened, Philammon ?

Philammon: I said : "Each keeps to his religion:. He said : "No".

Armanus (Dryly): The Monk stipulates that I become a Christian. **(He stretches his lips with disgust)** Impossible.

Philammon: The Monk says: "New orders" .

Armanus (Approaching .them): I said : "We will be married in the Temple of Venus". He said: "you will be married in Church". I said: "Neither Temple nor Church; We will be married by the notary public". He said: "You will be married in Church". I said: "Then we will be married in both Temple and Church".

His answer was : "You will be married in Church and in nothing else". **(Angrily)** What does he think, this b... **(He proudly restrains himself)** I am a Roman and I keep to the religion of Jupiter, the religion of my ancestors. I say each keeps to his religion and the children choose for themselves. Have you seen greater tolerance than this ? Who are the fanatics ? The Romans or the Egyptians .

Philammena (To her brother): What happened, Philammon ? Didn't John of Fayoum marry his pagan cousin Nephthys .

Philammon: All this is quite well-known. But the Monk Panofer says

maraissee enjai taik-mait-ooro.. **(Her voice falls)** Pait aihnâk maraif shopi, em-evreety khain et-vai, naim heejain pi-kâhi .. **(Her voice gradually vanishes)** Pain-ôyk entai ressti meef nân em-vo-oo.. **(She continues to mutter audibly for a few seconds)** Amen .

(She rises, hides the cross in her clothes, and takes out a picture of the Virgin after rummaging her clothes for it while muttering to herself: "The picture of the Virgin .. Where is it". She then goes to the bust of Diana and places the picture on Diana's head, kneeling down and praying).

Philammena: Oh Mary, Mary, Mother of God, for the sake of your beloved Son, open Arman's eyes to see that God is One and that Jesus Christ is His true son.

(Her voice fades away. She murmurs a few seconds' then proceeds with a clear voice) . Teach him to forsake his idols and bless our love in the name of Him Who carried the cross to redeem us from everlasting fire. **(Footsteps outside. Angry voices and fulminating discussions. She rises terrified and hides the picture in her clothes. Enter Armanus and Philammon through the right door. Armanus looks furious and resumes his previous posture at the left door. Philammon, an Egyptian officer in the Royal Guard, is about thirty and is dressed, like Armanus, in Roman attire. He stands sentinel at the right door) .**

every day in spite of your silly beliefs. When shall we get married, my sweetheart ?

Philammena (Walking away and looking up to heaven as though in a trance) : When you realize that there is only one God, Arman. When it so pleases God. **(Laughing gently)** Or should I say when it so pleases Jupiter ?

Armanus (Distastefully) : What has Jupiter to do with marriage? Oh, you Christians! You drag in Jupiter in everything. You should pray for the blessings of Venus, you idiot.

Philammena: Hurry, hurry. If you want us to get married you must hurry.

Armanus (With disgust) : The one god ! The one God !

(Exit Armanus through the right door)

(Philammena looks quickly right and left with great caution and looks through the left door to make sure that no one is watching her, then gives a sigh of relief. She takes out of the folds of her dress a wooden cross, one foot long, and places it on the bust of Jupiter then kneels down and prays with joined palms, her eyes fixed to the cross) .

Philammena: Our father which art in heaven, Hallowed be thy name. Thy kingdom come. Thy will be done, on earth as it is in heaven **(Her voice gradually fades away until it is heard no more, then it rises again audibly as she repeats the Lord's Prayer in Coptic) .**

Painyôt ait khain ni-viouwwee maraif-tovoo enjai paikran,

Philammena : Rape ! Rape ! That is all you know, you Romans ! Even your gods ....

Armanus (Warning) : Philammena !

Philammena : Forgive me. For a moment I forgot that you are a Roman, and that we are in the Viceroy's palace. However, let us stop this nonsense, Armanus. My brother Philammon is waiting for you .

Armanus : Where is Philammon ?

Philammena : At the Great Gate with the Mo̅nk. **(She utters the word "Monk" ecstatically) .**

Armanus : How can I leave my post ? The other shift will not be here before an hour.

Philammena : It will be perfectly safe. It will only take you a quarter of an hour.I have much work to do with my lady Faustina, the Prefect's wife. Hurry .You must hurry .

Armanus : All right. All right. **(He takes her in his arms and kisses her without making any attempt to put away his sword or spear. He is intoxicated with the kiss).** Philammena, sweatheart! When shall we get married ? **(Pressing her violently, he feels a hard body hidden within the folds of her dress. (He leaves her angrily)** . What is that you are hiding in your dress ?

Philammena (Defiantly) : Arman! you know very well what I am hiding in my dress.

Armanus : Forgive me, Philammena. My love for you grows stronger

Armanus (Musically) : Philammena, Philammen, not too fat and not too lean.

Philammena (Warning With her finger) : Hush! Is our master here ?

Armanus (Leering) : There is no one here. Come. Come here my little duck. **(He opens his arms without moving)** Come in my arms, Philammena .

Philammena : Not unless you unbuckle your sword and put away your spear .

Armanus: Unbuckle my sword ! Put away my spear !

Philammena : Yes, Unbuckle your sword and put away your spear .

Armanus (Approaches her laughing coarsely): Two spears have I. Which of them do you want me to put away ?

Philammena (Shyly) : Stand off, you rogue. **(Reproachfully)** Listen, Arman. If you do not stop your dirty-minded obscenities, I shall never marry you. **(Shrugging her shoulders)** But you are a Roman and lewdness is in your blood .

Armanus : Your prudish Egyptians are not so innocent, you know .

Philammena (Sighing) : If I did not love you, Arman ....

Armanus (Still laughing coarsely) : Come here. Don't let my spear frighten you .Come. Give me a **(He makes a noise with his lips meaning : "a kiss")** .

Philammena: I said put away your arms you get a **(She makes the same noise).**

Armanus (With the same coarse humour) : A Roman soldier never puts away his arms, even if he were in bed with Venus .


Philammena : And an Egyptian Venus never surrenders herself to Mars until he puts away his arms .

Armanus : Have you forgotten that Mars raped Venus ?

ACT I

(A hall in the Palace of the Roman Prefect, L. Domitius, popularly known as Achilles, at Alexandria. The date is A.D. 296 The Columns in the four corners of the hall are of the Cornthian Type. The fresco of the ceiling and the decorative patterns on the doors are all gilded. The door on the right leads to the reception hall, that on the left to the coronation hall. On both sides of each column, there are niches carved in the walls, and in each niche a marble bust of a Roman deity. The busts are, in order, those of Jupiter and Juno, Mars and Venus, Apollo and Diana. The two front columns have one bust each, placed on the interior side of each column. Otherwise, the hall is completely bare. The floor is made of immense quadrangular tiles, alternately black and white. Armanus, sometimes called Arman for Short, a Roman officer of the Royal Guard, age about forty, is standing sentinel at the left-hand door, fully armed and restlessly knocking the floor with his long spear .

Philammena, pronounced Philammeena, a lady-in-waiting to Faustina, the Prefect's wife, is a young Egyptian maiden of about twenty-three. She looks caustiously right and left and, on seeing: (Stamds Armanus, stands still, obviously embarrassed).


Louis Awad
The Monk
A Historical Drama in Three Acts
Bibliotheca Alexandrina
07749539
تصميم الغلاف: عمرو الكفراوى